

البط الذي تمنى أن يظل أسود

وسبعون أخريات!

مهاب السيد



البط الذي تمنى أن يظل



وسبعون أخريات

مهاب السعيد



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

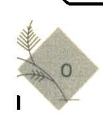
رقم الإيداع	٢٠٢٠/٢٦١٣
الترقيم الدولي	978-977-6706-24-8
مراجع لغوي	أحمد عز
تصميم الغلاف	كريم حلمي
إخراج فني	مركز البينة Centerelbeyeina@gmail.com
نشر وتوزيع	دار المعالي




المحتويات











❁ لماذا يقرأ الناس؟!

هـذا سؤال مثير للاهتمـام، وسبب أنـه مثير للاهتمام أنك لا تعرف مـن المقصود بكلمة النـاس؟ أعنـي، هـذا طيف واسـع مـن المخلوقات البشرية، طيف واسع من الاهتمامات والقدرات، لنـا أن نتوقع جميع الأسباب إذن!

على سبيل المثال، فلديك (يحيى بن مجاهد الزاهد)، كان يأخذ من كل علم طرفًا، وفسر هـذا السلوك منـه بأن: «سماع الإنسان قومًا يتحدثون وهو لا يدري مـا يقولـون غمة عظيمة». هـذا سبب قوي فعـلًا في رأيي للقراءة!

هنـاك سبب آخر، الرغبة في الأخذ من كل شيء، مثل (محمد بن عبد الباقي الأنصاري) الذي نُقِلت لنا عنه هذه الرغبة منه بوضوح، ولما أسره الروم ووضعوا الأغلال في عنقه، وأرادوا منـه أن ينطق بكلمة الكفر رفض، ثم تعلم منهم الخط الرومي!

يخبرنـا أرسطو بسبب ثالث للقراءة. فحين سألوه كيف تحكم على إنسان؟ قال أسأله كم كتابًا يقرأ؟ وماذا يقرأ؟ بينما يدلنا الفيلسوف الأمريكي (ثورو) على سبب لم يكن في حسباننا للقراءة حين قال: كم من رجل أرّخ عهدًا جديدًا من حياته من يوم قراءة كتاب!

ماذا عن النزهة؟! (ابن دريد) كان يعتبر القراءة نوعًا من النزهة، فلما تحاكى أصحابه أمامه عن أجمل المنتزهات فذكروا أماكن مثل غُوطة دمشق، ونهر الأُبلَّة، وسُغد سمرقند، ونهروان بغداد، وشعب بُوّان، ونوبهار بلخ. كان ما قاله ابن

دريد من أماكن نزهته المفضلة: (عيون الأخبار) للقتبي، و(الزهرة) لابن داود، و(قلق المشتاق) لابن أبي طاهر. وعلل ذلك بأن هذه منتزهات القلوب لا العيون!

بل ماذا عن الدواء؟ كان ابن تيمية ممن يقرؤون للتداوي! فلما مرض وأمره الطبيب بالراحة، والكف عن القراءة، قال له: إني أحاكمك إلى علمك، أليست النفس إذا سرّت وقويت الطبيعة دفعت المرض؟ فإن نفسي تسر بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجد راحة!

هذا يذكرنا بابن المكوي الذي كان يقرأ للراحة والسرور؟ حتى أن صديقًا له دخل عليه في يوم عيد فلم يلحظه من شدة انهماكه في القراءة فقال له: في أيام عيد ووقت راحة مسنونة؟ فأجابه: ما لي لذة ولا راحة في غير النظر والقراءة.

وللبيروني سبب خاص جدًا للقراءة، فحين دخل عليه صديقه وهو يحتضر في نفسه الأخير أصر على أن يتعلم منه مسألة الجدات الفاسدة، فلما سأله: أفي هذه الحالة؟ قال: أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ألا يكون خيرًا من أن أخليها وأنا جاهل بها؟! فما خرج من عنده صاحبه حتى فارق الحياة بالفعل. لو أجابنا البيروني عن سؤالنا الخاص بـ (لماذا يقرأ الناس) فأحسب أن جوابه سوف يكون: كي يتسنى لهم توديع الدنيا بمثل هذه الأناقة!

كان على خزانة (أبي بكر القفال) أبيات شعر تكفي لإجابة سؤالنا بإحكام، وكان في مطلعها:

خليلي كتابي لا يعاف وصاليا　　　وإن قل لي مالٌ وولّى جماليا

مثلما أنشد سلمان بن عبد الحميد بن الحموي يشرح لنا لماذا يقرأ هو فيقول:

وقائلة أنفقت في الكتب ما حوت　　　يمينك من مال فقلت دعيني

لعلي أرى فيها كتابًا يدلني　　　لأخذ كتابي آمنًا بيميني



وجاء بعدهم أحمد شوقي بسنين ليخبرنا بإجابته الخاص:

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافيًا إلا الكتابا

❁ **وهكذا**... هناك من يقرأ ليطرد عنه النعاس! مثل ابن الجهم الذي يقول: إذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتابًا من كتب الحِكَم فأجد اهتزازي للفوائد أشد إيقاظًا لي من نهيق الحمير وهدة الهدم. وهناك ابن المبارك الذي كان يقرأ ليجالس أحبابه، كما أجاب من سأله إن كان لا يستوحش من الناس بجلوسه في منزله بأن قال له: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟! وهناك من يقرأ ليبتعد عن نقطة الجهل قدر المستطاع كما قال العقاد. وهناك من يقرأ لأن الذين يعرفون كيف يقرؤون هم من سيقودون الجنس البشري كما قال فولتير. وأما (تيودور باكر) فقد كان يقرأ لأن: الكتب التي تعنيك أكثر هي التي تدفعك للتفكير أكثر!

❁ **لماذا يقرأ الناس؟**

للكثير جدًا من الأسباب! للفريد جدًا من الأسباب! للمختلف جدًا من الأسباب!

أوليس هكذا هو الإنسان الواحد حتى من داخله؟! كثير، وفريد، ومختلف؟

لذلك، ربما سوف تعذرني حين أخبرك أني فشلتُ في تحديد نمط موحّد لهذا الكتاب يصلح كسبب وحيد لك لقراءته! أو ربما حتى سوف تفهمني حين أخبرك أني أتمنى خروجك من هذا الكتاب دون أن تقدر أنت أيضًا على تحديد سبب واحد استمررت من أجله في القراءة!

❁ **أطمع** أن تجد هنا جميع أسبابك للقراءة، أطمع أن أنجح في أن أجعل صفحات هذا الكتاب تجيب عن أسئلة كانت عالقة هناك دائمًا في ذهنك ولكنك



لم تلحظها قبل قراءة صفحاته، ربما أطمع في ما هو أكثر من ذلك حتى وأظن أني قد أستطيع الإجابة عليها.

❁ **لا أخفيك سرًا..** فهذه إجاباتي أنا، بناتي العزيزات اللاتي أؤمن أن جميعهن على صواب، ولكنهن لسن بالضرورة بناتك!

إجابات ربما تشتمل على بعض الحكمة مختلطة بالقليل من الهراء، ربما ستغير من طريقة تفكيرك في الحياة، أو ستجعلك تعايش الكون الواسع بنفس قد صارت أوسع من ذي قبل.

ربما سوف تخبرك بما عليك أن تفعل في زمان صار كل شيء فيه سائلًا بنكهة لاذعة وطعم بائخ، أو ما يجب عليك أن تكونه كي لا تتحول أنت بنفسك إلى أحد البائخين!

ربما تحوي بعض ملامح صراع الإنسان والمادة، ذلك الصراع القديم بقدم الزمان ذاته، أو تعطيك بعض الإرشادات البسيطة التي تمنعك من أن تصطدم بذات الحائط الذي تلوث بدماء جباه معظم المارين من أمامه، وربما تساعدك على أن تقترب أكثر من ذلك الذي لو اقتربتَ منه لاقترب منك كل شيء آخر.

ربما يحدث هذا كله وربما لا يحدث أي منه، وما بين الـ(رُبّمات) الكثيرة يقع طيف واسع من الاحتمالات يناسب طيف البشر الأوسع.. ولكن المؤكّد أنك لن تتفق مع جميع الإجابات..!





أن تـرى بخـدّك!

هل يمكنك أن تختبر ما يراه الأعمى؟ يبدو الأمر بسيطًا، فقط نغلق أعيننا! لكن الحقيقة أن ذلك غير صحيح.

حين تغلق عينيك أو تكون في غرفة حالكة الظلام، فإن هناك مقدارًا ثابتًا من الاستثارة العصبية لمستقبلاتك الضوئية، وعصبك البصري يستمر بإرسال تدفقاته العصبية إلى المخ، يجعلك هذا ترى السواد المميز إياه، لكن الأعمى فاقد عصبه البصري لا يرى أي سواد! هو في الحقيقة لا يرى شيئًا، حتى السواد لا يراه. إنه وكأنك تحاول الرؤية من خلال خدّك أو إبهامك؟ هل ترى به لونًا أسود؟ هل ترى به شيئًا؟!

كان بكر بن عبد الله المزني يقول: «يا ابن آدم لو أردت أن تعرف قدر ما أنعم الله عليك فغمّض عينيك»، يا سيدي حتى لو فعلت ذلك فلن أستطيع أن أتخيل ما يراه الأعمى فعلًا!

الأصم الذي ولد كذلك، بأيأي لغة يفكر في داخل عقله؟ هل فكرت في ذلك من قبل؟ سألوا الصُمّ عن ذلك فأجابوهم: نفكر بأصواتنا الداخلية. لم يكن ذلك كافيًا بالنسبة لنا، فأصواتنا الداخلية تتخذ دومًا صورة لغتنا الأم، فكيف تكون لهم أصوات داخلية غير خاضعة لأيلأي لغة؟! لا يمكننا أن نتخيل ذلك أيضًا!



كيف نتخيل الحياة بدون النعم والمزيات المعتادة؟ وحين أقول معتادة فأنا أعني ما هو أكثر اعتيادًا مما تظن! هل يمكننا أن نتخيل الوجود دون خط الزمن؟! هل يمكن أن نتخيل الحركة دون البعد الثالث (العمق)؟! هل يمكن أن نتخيل الوعي البشري دون إرادة؟!

شيء جميل ومخيف يخص آلاء الله، أنها تبني لك كل العالم الذي حولك، بكل تفصيلة صغيرة فيه، حتى تصل إلى الأساس الذي كنت تظن أنه لا يوجد قبله شيء فتتفاجأ بأنه في الحقيقة يوجد تحته شيء، فقط لا يمكنك أن تتخيل ذلك لأنه أكثر أهمية وأساسية في حياتك مما كنت تظن.

❁ من آيات النعم في القرآن أعشق تلك التي تتحدث عن النعم الأساسية، الحد الأدنى، الـ (باكيدج) التي يحصل عليها أي إنسان بمجرد تسجيل عضوية وجوده في هذه الحياة. مثل سورة النحل التي لم تتحدث عن نعمة البيوت الفاخرة ولكن تحدثت عن نعمة وجود معنى البيوت أصلًا، وقدرتها على منح الشعور بالطمأنينة والسكينة! ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل: ٨٠].

❁ أو مثل سورة الرحمن التي لم تحدثنا عن نعمة العلوم المعقدة والشهادات الثمينة ولكن عن أمر أبسط من هذا بكثير: مجرد القدرة على التبيين والإيضاح وشرح مكنونات النفس للآخرين ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣، ٤].

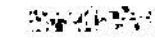
❁ أو مثل سورة النجم التي لم تحدثك عن مستويات معقدة من السعادة ولكن عن الطيف الواسع المتباين لمشاعرك البشرية البسيطة ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣]، لم تحدثك عن نعمة الأموال المكدسة والمقتنيات الفارهة

ولكن عن وجود معنـى (الاقتناء) والتملك ذاتـه! ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨] لا عجب إذن أن تنتهي سورة النجم بسؤال توبيخي من طراز خاص: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٥٥]؟!

❁ **يشبه الأمر** أن تحاول تخلية البصل من حلقاته، حلقة تلو الأخرى حتى تجد أنه لا يوجد لُب، البصلة كلها حلقات! تحاول أن تفكر في انتزاع نطاق (تفضّل) الله عليك لتتفاجأ أنك ستنزع كل شيء، بالمعنى الكامل لكل شيء، لا يوجد إلا العدم المحض، لا يوجد إلا شيء أقل من أن تصفه بشيء!



كان العبقري (أبو حامد الغزالي) يقول: «إن جميع المعجزات طبيعية، وإن الطبيعة ذاتها معجزة!»، وتخبرنا الفيلسوفة الفرنسية (سيمون ڤايل) إن: «من ليس في قلبه الله فليس بإمكانه أن يشعر بغيابه»، ويقول المثل الإنجليزي: «هل هناك من هو أشد صممًا وعمى من ذلك الذي اختار ألا يسمع ويرى»؟! بينما تسألنا الآية الكريمة بصراحة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]؟!







اعتباط الإنسان

❁ معظم الأديان لديها تصور عن وقت حلول الروح في الإنسان الجديد في رحم المرأة، لكن من وجهة نظر لادينية بحتة، ما هي اللحظة الفاصلة في حياة الإنسان؟! متى يمكن اعتباره شيئًا حيًا؟

تبدو الإجابة سهلة لأول وهلة، يمكننا أن نفترض أنه يكون حيًا بالتنفس، معنى ذلك أنه طوال مكوثه داخل رحم المرأة يعتبر شيئًا آخر، بالتالي قد لا نعتبرها جريمة لو مددنا شيئًا داخل الرحم في الشهر الثامن من الحمل فصلنا به رأسه عن جسده وأخرجناها بهدوء ثم فعلنا ذلك مع بقية الأطراف اللطيفة وعقمنا غرفة العمليات بعدها وخرجنا لتناول الشاي وكأننا كنا بصدد عملية استئصال زائدة جلدية، وعلى خلاف ما تظن هناك من يقول ذلك بالفعل، ويدعي ضرورة السماح بالإجهاض إلى لحظة الولادة.

❁ **من الممكن أن تفكر، لحظة! ما الذي يجعل الإنسان حيًا فعلًا؟**

سوف تجيبك وجهة النظر اللادينية بأن ذلك يحدث عند بداية تكوين جهازه العصبي المركزي، أي مع بداية تكوين الحبل الشوكي في اليوم الخامس عشر من الإخصاب، البعض يرد بأن الاستعداد لتكوين جهاز عصبي في الأساس يجب أن يكون هو اللحظة الفارقة بين الموت والحياة، معنى ذلك أن هذا يحدث عند بداية الحمل، بينما الشكل التشريحي الظاهري من

المفترض ألا يشكل أي فارق، لكن المشكلة أنه منذ تخصيب الحيوان المنوي للبويضة يمر الجنين بخطوات مرتبة متعاقبة من الصعب جدًا فصل إحداها عن بقية المراحل.

ربما الجنين يعتبر حيًا إذن من لحظة إخصاب البويضة، ولكن ماذا عن أطفال الأنابيب؟ يتم في هذه التقنية تخصيب عدة بويضات بالسائل المنوي للزوج، من ثم الحصول على عدة بويضات مخصبة ثم يتابعها المختص ليرى أكثر هذه الأجنة أخذًا في النمو الطبيعي، ويجمد بقيتها أو يتخلص منها، هنا برز سؤال أخلاقي في الغرب إذا اعتبرنا أن هذه أجنة لبشر أخذوا في الحياة بالفعل، هل يمكننا أن نوافق على التخلص منها؟

جادل البعض أنه لا! يجب أن يتم زرع كل هذه الأجنة (الأحياء) في أرحام متطوعات كي ينموا، من الصعب أن تقنع امرأة أن تتطوع لاستئجار رحمها لتسعة أشهر لجنين كونّاه بالخطأ ولا ندري كيفية التصرف فيه لأننا لا نملك القدرة على الحكم إن كان كائنًا حيًا أم لا!

❁ **في النهاية** سوف نفعل ما نجيد أن نفعله، نحدد فاصلًا اعتباطيًا تمامًا بين الحياة والموت ونتراضى به ونشرع قوانيننا على أساسه، كي نتجاهل حقيقة أننا في مذهبنا المادي لا نعرف فعلًا ما الذي يحدد حدود ما هو إنسان بالفعل.

❁ هل ظننتَ أن هذا هو الفاصل الاعتباطي الوحيد الذي سنضطر إلى القيام به؟ يا حبيبي لقد كنتَ متفائلًا للغاية!

❁ **ماذا عن زواج المحارم؟** الفكرة ذاتها تصيب أي إنسان بالتقزز، الماديون اللادينيون يدعون أن ذلك لأن التطور جعلنا نستبشع الفكرة فقط لأن هذا

أدعى بالابتعاد عن طريقة من التزاوج سوف تتسبب في أطفال ملأى بالجينات المتنحية والأمراض.

حسنًا ماذا لو تزوج أخ عقيم بأخته؟ ماذا لو تزوج ابن بأمه التي بلغت سن اليأس ولم تعد تنجب؟ ماذا لو تزوج أخ مثلي بأخيه المثلي بعد إقرار زواج المثليين؟ هل توجد أي محكمة في العالم توافق على مثل هذا الزواج برغم عدم وجود ضرر من ذلك؟

❁ **وماذا عن أكل لحم البشر؟** لحظة، أنا لا أتحدث عن قتله، بل أكل جثته الطازجة بعد موته والاستفادة من اللحم لإطعام الدول الفقيرة، هل نترك إنسانًا يموت من الجوع في تنزانيا لمجرد أن لدينا «تابوهًا» غامضًا ألا نسمح بطهي جثة إنسان طازجة؟ لماذا لا نكسر التابوه كما كسرنا تابوه تقبيل رَجلين لبعضهما على رصيف محطة القطار بدعوى أن المثلية أمر طبيعي موجود لدى الحيوانات.

وبمناسبة ذكر نقطة المثلية المحببة لعاشقي الجدل، ماذا عن الاغتصاب؟ بعض فقمات البحر تقوم بالاغتصاب بشكل طبيعي، وهناك أمثلة كثيرة من عالم الحيوان على الاغتصاب -ربما هي أكثر من أمثلة المثلية-. فـ.. ماذا؟ لا مزيد من التابوهات نرغب في كسرها هنا؟

❁ **نعم.. نعم**، بالطبع الاغتصاب يتعلق بحقوق إنسان آخر، بمعاشرة امرأة بدون رضاها، لا يمكن السماح بذلك. لكن في الحقيقة نحن لا نملك أي فكرة موضوعية عن معنى كلمة حقوق، أو قيم، أو أخلاق، من المستحيل تأسيس أي شيء من هذا إلا على أساس ديني، وبقليل من الصدق مع النفس

يعترف الملحدون بذلك، مثل (ريتشارد دوكينز) لما سُئل: «أنت تقول إن قولي إن الاغتصاب أمر خاطئ هو قول اعتباطي تمامًا كحقيقة أننا تطورنا بخمسة أصابع بدلًا من ستة»، فقال: «نعم، يمكنك قول ذلك».

❁ **أمر آخر**، لماذا نصر على نبذ العنصرية؟ ألا ترى ذلك أمرًا سخيفًا من رجل يؤمن أنه تطور عشوائيًا من قرد أسود إلى رجل أسود يسكن في أفريقيا ثم هاجر فظهرت منه سلالات بيضاء؟ هناك دراسات كثيرة تحاول أن تثبت صحة اليوجينيا، هناك سلالات من البشر أذكى وأجمل من غيرها لأنها متطورة عنها فحسب، كلها دراسات تعتبر علمية بالمناسبة.

لو تعاملت مع الإنسان كما نتعامل مع الجماد، كمجرد شيء، فمن نخدع إذن؟ بالطبع نحن حينها لن نكون متساوين، سوف يتم التفرقة بين الأقوياء والضعفاء، الأبيض والأسود، الرجل والمرأة، الغني والفقير، الذكي والغبي، بدون وضع الله في المعادلة والذي خلقنا سواسية ويحاسبنا كذلك، فهل يمكننا حقًا أن ندعي أن العنصرية فكرة بلهاء؟

ولكني أعلم ما تفكر فيه، العنصرية ستنتج الطبقية، مزيدًا من حروب الهوية، مزيدًا من الشقاق والخلاف، لا يوجد مناخ معتدل مع إباحة الاغتصاب أو أكل لحوم البشر أو قتل الأجنة على قارعة الطريق. لا يوجد مجال وسط كل هذا للقيام بأي إنتاج سوي، المجتمع يجب أن يظل هادئًا، يجب أن يظل جميلًا، حتى لو اضطررنا إلى.. قوانيننا الاعتباطية.

❁ **وبالعودة لذات السؤال**، من وجهة نظر لادينية بحتة، ما هي اللحظة الفاصلة في حياة الإنسان؟ الإجابة الحقيقية: لا شيء!



الإنسان مجرد شيء آخر من هذه الطبيعة، ليست له أي مكانة مزعومة، فُنونه لا تعني شيئًا فعلًا، قِيَمه احتيالات من جيناته كي يتسلق شجرة التطور، الحب طريقة للتكاثر، الإيثار تبادل منفعة، ونظرته الحالمة إلى السماء وشعوره باحتواء الكون في خاطره كانت مجرد طفرات أعنف من اللازم، ناتجًا ثانويًا عن ذكاء كان يحتاج إليه كي ينجح في صراعه من أجل البقاء.

❁ **من وجهة نظر المادة فالإنسان مادة،** تتحول إلى أشكال المادة الأخرى ويوم أن يفنى ويموت ويتحلل جسده إلى نيتروجين يدخل دورة حياة الشجرة أعلى مقبرته -فلا يوجد شيء قد حدث فعلًا، بالنسبة إلى الوجود فوجوده وعدمه سواء، وعذرًا لك سيدي، لو كان هذا الإنسان عزيزًا لديك أن أقول هذا الكلام، يمكنك اعتبار كل ما تملكه تجاهه من مشاعر أو ذكريات أوهام الكيمياء في مخك، مثلما شعورك بذاتك أنت أيضًا وهم. لا إنسان، فقط طبيعة وذرات وعناصر وطاقة وإنتروبيا.



إذا لم يكن الله موجودًا فالإنسان غير موجود!

الإنسان في عيون الشامبانزي

كان (جان جاك روسّو) يرى أن الإنسان كائن خيّر بطبعه، بينما كان (توماس هوبز) يؤكد على أن الإنسان بطبعه هو أشرّ الكائنات. من الجليّ أن كليهما مصيب. أم يا ترى كلاهما مخطئ؟!

حين ترى أساتذة الجامعة المرموقين يتشاجرون على منصب بسيط في جامعة حقيرة في مدينة إقليمية لدولة متخلفة، ألا تلاحظ في ذلك لمحة من لمحات سلوك القردة الذين يتقاذفون بحبات الفول وفضلات الأمس لفرض سيطرتهم على بعض أشجار الغابة؟

وحين ترى نظرات الغيرة والحقد بين الفتيات الأرستقراطيات والمنافسة العلنية في تحديد صاحبة الفستان الأجمل منهن في حفل الزفاف الفخم، ألا يذكرك ذلك بصراع إناث الشامبانزي على الذكر الألفا؟ بالله عليك هل تجد فعلاً كبير فرق؟

هل الإنسان في خلقته مجرد قرد آخر؟ وأنا هنا لا أقصد إشارة من قريب أو بعيد للتطور أو الداروينية، ولكن أقصد في طبيعته العميقة هل يشبه طبيعة الحيوانات الأخرى؟ أم أنك ستؤمن بذلك فقط إلى اللحظة التي ترى فيها تلك النظرة الإنسانية الحائمة المرفوعة نحو النجوم، تلك البسمة الحالمة

التي يواجه بها طفله، تلك الأسئلة العالقة في لبّه، وذلك المزيج الحرّيف المميز لأصل الحزن الإنساني؟!

«من ظهره يبدو الإنسان كحيوان حقيقي، ولكن ما إن يستدير ليواجهني حتى يصيبني حزنه كطلقة في منتصف جبهتي»، هكذا عبر الشاعر البيروفي (سيزار بايخو) بعبقريته الخاصة عن نظرته للطبيعة الإنسانية، يبدو كأنه حيوان فقط إلى اللحظة التي ترى فيها عليه الحزن!

بينما عالمة الأنثروبولوجي (جلينا إيزاك) كانت لها رؤية مختلفة: «لو كان بإمكان الشمبانزي أن يصف ما يميز الإنسان لأشار أولًا إلى أنه الكائن الذي يقتسم الطعام مع الآخرين». بالنسبة لها فالإنسان يتميز عن غيره بقدرته على اختيار الإيثار! ربما يحمل بداخله الرغبات الحيوانية ذاتها، لكنه يملك القدرة على اختيار القيم، لربما هذا بالفعل أول ما سوف تندهش منه القردة حين تصفنا!

❁ من وجهة النظر الإسلامية يمكنك أن ترى رؤية (مزدوجة) للإنسان، فهو ذلك الكائن الذي كان بطبعه: ﴿ضَعِيفًا﴾ ﴿هَلُوعًا﴾ ﴿عَجُولًا﴾ ﴿كَفُورًا﴾ ﴿قَتُورًا﴾ ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ وبرغم كل ذلك فهو ﴿خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾. وهو أيضًا ذلك الكائن المُتوّج المُكرّم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]..

هل يمكنك أن تحكم على الإنسان من حيث هو إنسان وبدون أي اعتبارات أخرى؟ لا أظن أنه يمكنك ذلك! إنه وكأني أحاول أن أصف لونًا للضوء الأبيض الذي يحوي بداخله كافة أطياف الألوان! وكأني أصف طولًا واحدًا لجميع هضاب

العالم، وكأني أضع قيمة موحدة لأكثر السلع في الوجود تفاوتًا في القيم؟!

الإنسان هو ذلك الكائن القادر على ارتكاب أبشع الجرائم أو القيام بأنبل التضحيات، ذلك الذي يأتي يوم القيامة فيكون خيرًا من الملائكة، أو أخس من الحيوانات. ذلك الذي أخبر عنه الله ﷻ فقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، ذلك الذي ذكر عنه النبي ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ مِثْلِهِ إلا الإِنْسَانَ»، وأنشد ابن دريد عنه في مقصورته: «وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ... وَوَاحِدٌ كَالأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَا»!



في رأيي، فكل من (هوبز)، و(روسو)، و(باييخو)، و(إيزاك) لم يصيبوا الحقيقة كاملة فيما يخص الطبيعة الإنسانية. الإنسان ببساطة هو ذلك الكائن الذي بإمكانه أن يختار الطبيعة التي يحبها لنفسه!



تتقلص مساحاتك الآمنة

لا جديد تحت شمس الغروب الصفراء، إنها نفس الشمس الخاملة التي تراها كل مرة. اعترافات الانكسار وإمضاءات الضعف على الأوراق البيضاء تاركًا كل الورق خاليًا لتكتب الحياة فيه ما تشاء. ستبقى الأشياء دائمًا بداخلك، تلك الأشياء المخجلة، التي تمنعك من القدرة على النظر طويلًا في المرآة. تلك الأشياء المُسكِرة، التي تتحول معها إلى نسخة مختلفة من ذاتك. ذاتك التي تكرهها كالأفعى وتعشقها كالخليلة الحسناء.

ستبقى الأشياء دائمًا بداخلك تسقيك من ملوّثاتها. أرأيت نهرًا يتعكر كل يوم عشرات المرات، هل يبقى على حاله بعدما تمر عليه من الأعوام ثلاثون؟ الثوب الذي دخلت به الدنيا كانت أصباغه أفتح من ذلك بكثير، والأفكار كانت أنقى، والبسمات كانت أصدق، والآمال كانت صغيرة، والأحلام كانت تدور حول التوت، الذرة، عصائر البرتقال الباردة، تجمعات العائلة حول المدفأة، وقطع الأخشاب المنحوتة حول رسوم الكرتون. الآن آمالك الكهلة صارت بنفس وقار لوح الجرانيت المزركش، إنه أصلب للمهمة، ولكنه خالٍ من الحياة كآمال رجل عجوز. هي هي ذات الأشياء الشريرة، ذات الشمس الصفراء، ذات الأرواح المتسخة، ذات الآمال العجوز.

مع الوقت تكثر الخلافات لأن الدنيا ليست بهذه البساطة، يخطئ

الآخرون في حقك وتخطئ في حقهم أكثر، تتخذ قرارات مؤلمة في حق أصدقائك لأنك فطنت أن القليل من القسوة تلزم من يريد العبور من كل تلك المضائق، في النهاية سيصير عدد من تقدر على أن تصارحهم بما فيك دون خوف عتاب ولا عدم فهم أقلَّ، مجموعات الواتساب التي لا تتفاعل معها تتراكم، من تتابعهم على الفيسبوك يتضاءلون، من تحتفظ بأرقام هواتفهم أقل مما سبق، من ترد على رسائلهم فور وصولها أقل ممن يؤملون، وفي كل يوم يكون هناك مكان جديد محرم عليك، محل جديد لم تعد تقدر على الشراء منه لأنك تشاجرت مع البائع، رجل جديد لم تعد تثق فيه لأنك سمعت القيل والقال.

مع الوقت تصغر دائرتك الداخلية بعد إعادات التنقيح المستمرة منك للآخرين ومن الآخرين لك، يحيط بك الظلام أكثر بعدما هزم النور في معارك جديدة تشتعل كل يوم دون أن تفطن لها إلا بعد أن تفجأك نتائجها، تنتشر غمامات التقييم تغبّر وجوه البشر من حولك، توحشك وحدتك الاختيارية، تتقلص مساحاتك الآمنة!

❁ هاك بعض ما يمكنك فعله حين تتقلص مساحاتك الآمنة..

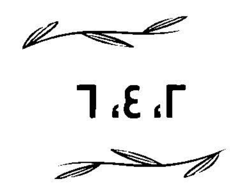
اصنع شايك لنصف الكوب فقط حتى تنهيه دون أن تشبع. أغلق الفيسبوك بعد أن تقرأ منشورًا جميلًا قبل أن تصل إلى جوانب النيوزفيد الرديئة. أنهِ محادثتك مع حبيبك بدون أن تخبره بكل ما في نفسك، اترك بعض مشاعر الحب بداخلك ولا تطلعه عليها. أغلق الكتاب دائمًا عند أكثر أجزائه تشويقًا حتى تعود إليه. اجعل عناقك لصديقك أقصر مما تحتاج إليه فعلًا، أبقِ نفسك دائمًا في شوقٍ إليه. قم من الجلسة اللذيذة قبل أن تَمسخ، اقطع

الرحلة المثيرة قبل أن تمل، اخرج من مجالات شغفك قبل أن تفتر. أن تكون الذكرى جميلة أهم من أن يكون الحاضر كاملاً. احرص على جذوة طاقاتك المشتعلة من التهابات الأطراف المبتورة وسعي الأشياء الناقصة نحو الاكتمال. أبقِ حلاوة المذاق على لسانك لفترة أطول، حافظ على مسافات الحماس، احترس من فخ الشبع!

❁ البعض يحبون أن يستبقوا دفء القرب إلى النهاية، يخاطرون بلسعات البرد التي سوف تفرسهم عند النهايات. والبعض يفضلون أن يقطعوا اللذات قبل اكتمالها، يحبون أن يُبقوا على العاطفة خامدة، على الشغف باردًا، وعلى الحماس خجلان. في نظرهم لوعة الفقد سوف تكون أخف عند خفوت المشاعر. والبعض لا يبالون بوضع حد لتلك الأمور، يرون أن الحياة سوف تقوم بالمهمة من أجلهم، سوف تفجؤهم الحياة تارة بهذا وتارة بذاك، يتساوى الاثنان في نظرهم، سوف يموت كل شيء في النهاية أو في البداية، ما الفرق؟ الزمن؟ وهل الزمن يستحق؟ ما قيمة الزمان نفسه حين يكون حتمي المآل؟ كل ما هو دائم شيء جميل، وليس بجميل كل ما هو إلى زوال.



في النهاية، ليس بإمكانك أن تهرب من دائرة الانتهاء، يمكنك فقط أن تختار الطريقة التي بها تحب أن تفنى من حولك الأشياء!



٢، ٤، ٦

❁ في ١٩٦٦ قام عالم النفس الإدراكي البريطاني (بيتر كاثكارت واسون) بتجربة شهيرة جدًا غيرت من رؤيتنا للمنطق البشري بأكمله، سميت باسم (Wason selection task)، أو اختصارًا بـ بطاقات واسون.

في هذه التجربة يقوم مصمم التجربة بعرض أربع بطاقات على المنضدة للأشخاص موضع التجربة، كل بطاقة عليها لون من جهة، ورقم من جهة، والبطاقات معروضة كالتالي: بطاقة حمراء، بطاقة خضراء، بطاقة عليها رقم ٨، وبطاقة عليها رقم ٣.

يتم إخبار الأشخاص بالتالي: لدينا نظرية! كل البطاقات التي تحتوي على رقم فردي، ملونة من الجهة الأخرى بلون أحمر. فبأقل عدد ممكن من الحركات، ما هي البطاقات التي ستقوم بقلبها على الجهة الأخرى لتثبت هذه النظرية؟

❁ لدهشة (واسون) فإن ١٠٪ فقط من الأشخاص قاموا بالحل الصحيح! في المقابل كل من أخطأ في الإجابة اندهش من سهولة الحل حين تم إخباره به. وأظن أنك كنت ستفكر مثلهم ومثلما فكرت أنا عند عرض اللغز عليّ بقلب الورقة الحمراء.



ولكن الحل الصحيح لم يكن بقلب الورقة الحمراء، فسواء كانت الورقة الحمراء زوجية أو فردية هذا لا يثبت خطأ النظرية، مقدم النظرية في البداية لم يدعِ أن كل الورقات الحمراء أرقامها فردية، بل أن كل الأرقام الفردية لونها أحمر. لذلك فالحل الصحيح هو بقلب الورقة ذات الرقم الفردي ٣ للتأكد أن لونها أحمر.

غير أن هذا ليس بكافٍ، فلربما كانت هناك ملاحظة أخرى تتنافى مع هذه النظرية، لذلك لا بد من قلب الورقة الخضراء، للتأكد أن رقمها ليس فرديًا، حيث بحسب النظرية لا بد أن لونها سيكون أحمر وليس أي لون آخر.

بحسب علم النفس الإدراكي فسبب الإجابات الخطأ على هذه التجربة هو في ميل المتعرض للتجربة باختبار (صحة) نظرياته لا (خطئها)! إنه الافتراض الذي نفترضه ثم (نحب) و(نتمنى) ونسعى إلى أن نتأكد منه حين تتفق الملاحظات مع نظرية بعينها، دون الاهتمام أو الرغبة بالبحث عن الملاحظات التي تتناقض معها!

لفهم ذلك يمكننا أن ننظر لتجربة أخرى من تصميم (واسون) أيضًا سابقة على هذه التجربة بست سنوات. في ١٩٦٠ قام (واسون) بتصميم تجربة (٢، ٤، ٦)، وفيها يقوم بذكر هذه الأرقام الثلاثة للشخص موضع التجربة، ويقول له: أنا لدي تتابع معين في ذهني يتفق مع هذه الأرقام الثلاثية، لتعلم ما هو التتابع في ذهني عليك أن تقترح ٣ أرقام آخرين وتسألني: هل تتفق هذه الأرقام أيضًا مع تتابعك أم لا؟

على الفور قام المتعرضون للتجربة بافتراض هذا التتابع، افترضوا كما لا



بد أنك افترضت أن التتابع هو الجمع مع رقم (٢)، فقالوا: ٨، ١٠، ١٢. هل يتفق هذا مع تتابعك؟ قال: نعم. قالوا إذن: تتابعك هو بالجمع مع رقم ٢. أجاب: لا!

❁ شعروا بالدهشة وافترضوا افتراضًا آخر، وبدأوا يعرضون عليه أرقامًا أخرى، وفي كل مرة تتفق الأرقام مع تتابعه، وفي كل مرة يخمنون تتابعه بشكل خاطئ!

ما أثار دهشتهم في النهاية أن تتابع ويلسون كان أي ثلاثة أرقام مرتبة تصاعديًا. لم يصل إلى هذا الحل إلا أقل من عشر المتقدمين للتجربة، والسبب أنه قد تم تضليلهم بافتراض افتراضاتهم الخاصة ثم محاولة إثبات صحتها! لقد كانوا من جديد يبحثون عن كلمة (نعم)، وليس (لا)، وفي كل مرة اصطدموا بخطأ الافتراض كانوا يبدؤون من الصفر.

❁ أثبتت هذه التجارب أن البشر يفكرون عادة بما يعرف باسم (الجمع الاختياري للأدلة) Selective Collecting of Evidence ، أو ما يعرف بالانحياز التأكيدي Confirmation Bias، وهناك اسم ألطف وأكثر ظرفًا لهذه الظاهرة وهو Myside Bias وتعني الانحياز للجانب الخاص بي!

❁ في ٢٠١٩، ومنذ شهور قليلة صدر كتاب لعالم الإحصاء اللبناني الأمريكي (نسيم طالب) بعنوان (البجعة السوداء) The Black Swan.

كان البشر قديمًا يفترضون أن كل البجع أبيض، لقد كان ذلك واضحًا لديهم، لم يسبق لأحد أن رأى بجعة سوداء من قبل. ولكن ذلك لم يدم طويلًا، اكتشفنا وجود البجعة السوداء بالفعل في أستراليا، كان يرى نسيم أن هذه الطريقة في المنطق الاستدلالي البشري قد أثرت على كل شيء في عالمنا من

الحرب العالمية وحتى سلوكنا الشرائي في السوبر ماركت.

ذكرني ذلك بالقصة المشهورة عن عالم الأحياء (أوجست وايزمان) الذي أراد إثبات خطأ النظرية اللاماركية في توارث الصفات المكتسبة والتي تفترض ببساطة أن الخلايا الجسدية المتعرضة لإصابة أو تغير من البيئة تمرر هذه الصفة للأجيال القادمة، كان (لامارك) يفترض أن هذا هو السبب وراء نشوء الأنواع المختلفة في شجرة الحياة قبل مجيء (داروين).

ما فعله (وايزمان) أنه أحضر ٦٨ فأرًا أبيض وقطع ذيولهم، وانتظر الجيل التالي منهم، وجدها كلها بذيول سليمة غير مقطوعة. هل هذا يثبت خطأ النظرية اللاماركية؟ للأسف لا! فالنظرية لم تفترض وقتًا معينًا لتوريث الصفة المكتسبة، بل افترضت إمكانية أن يحدث ذلك في أي جيل!

❁ لذلك كان على (وايزمان) أن ينتظر الجيل التالي، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه.. وهكذا، حتى امتلأ معمله بـ ٩٠١ فأرًا أبيض كلهم بذيول سليمة من خمسة أجيال متتابعة، ومع ذلك لم يكن ذلك ليثبت خطأ النظرية التي لم تحدد وقتًا ما لحدوث التوارث!

❁ دعا (كارل بوبر) فيلسوف العلوم الأهم في القرن العشرين هذه الخاصية في النظريات الخاطئة بـ: عدم القابلية للتخطئة. واعتبر أن شرط صحة أي نظرية علمية هو في الـ Falsifiability، أي تقديم النظرية لطريقة يمكن بها إثبات خطئها. كل ذلك هربًا من الانحياز التأكيدي المميز للمنطق البشري، بدون القابلية للتخطئة فإن كل من سيتبنى النظرية سيفترض أنها صحيحة لأنه سيجمع بعناية شديدة كل الأدلة على ذلك!

❁ تجربة (وايزمان) ذكرتني بتلك المناظرة التي عُقِدَت بين رجلين أحدهما ملحد، والذي سُئِلَ من مناظره: ما هو الدليل الذي لو حدث لك ستؤمن بوجود الله؟

قال الملحد: أن أدعو الله فأطلب منه أن ينزل نيزكًا على جاري بطريقة معينة وفي ساعة معينة وفي يوم معين ثم يحدث ذلك. فقال له المؤمن: ولكن ما زال من الممكن أن يحدث ذلك مصادفة وليس إجابة لدعائك. فقال له: نعم، بالفعل من الممكن ذلك، أسحبُ ما قلتُه!

لا أذكر عدد مَن قابلتهم من الشباب الملحدين الذين تميزوا بهذه الخاصية في التفكير: الثقة الشديدة من أنهم على صواب، والمشكلة الأكبر: اعتبار وجود هذه الثقة لديهم دليلًا على صحة ما يعتقدونه.

بالنسبة إليهم، فما معنى أن تكون الحقيقة الكاملة المطلقة التي تفسر الوجود بأكمله يتسرب إليه فيها بعض الشكوك والتفكير؟ هو يرى أن إمكانية الشك يعني خللًا في نسيج اليقين الكامل، وثغرة في بناء الإيمان، وعيبًا في الفكرة الدينية!

ولأن نظريته الخاصة بالإلحاد لم تقدم وسيلة يمكن تخطئتها بها، لذلك فهي عنده صحيحة دائمًا، والجمع الانتقائي للملاحظات المتفقة لن يتوقف، سوف يجد دائمًا ما يدعم افتراضاته الخاصة التي وضعها، وسوف يتعمد عدم انتقاء أي ورقة خضراء يمكنه لو قلبها أن يرى خطأ فكرته واضحًا أمام عينيه!

❁ بالنسبة للمؤمن فقد قدم لك كل إمكانيات تخطئته لو كنت تقدر على تخطئته! سوف تثبت خطئي حين تثبت لي أن عالمنا المدهش يمكنه أن يوجد

ويبقى على حاله المعجزة دون صانع قادر حكيم عليم بما يفعله! وبالنسبة للملحد فالشيء الوحيد الذي سيؤكد أن نظريته خاطئة هو أن تريه الله جهرة، وما كان لله أن يرينا نفسه جهرة، إنه في غنًى كامل عن إيمان المتكبرين المغرمين عليه، هؤلاء المنقادين بأغلال حواسهم الأَنِفين من دلائل عظمة ربهم في الوجود.

❁ **هل يجعل ذلك الملحد في طمأنينة من إلحاده؟** نعم، بالتأكيد، ربما طمأنينته أكبر من طمأنينة بعض المؤمنين حتى، إنها طمأنينة الغافل عن إمكانيات خطئه، المائل إلى جانبه المفضل، (المتأكد) دائمًا -ليس لأنه على صواب، ولكن لأنه يختار الانحياز إلى ما يؤكد كلامه!



كطمأنينة هؤلاء الذين أخبرنا الله بهم: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٧]!





سُلطة الشعر المجعّد

(الباروكة المُجعّدة) أو Frizzy Wig Experiment هي تجربة نفسية شهيرة من تصميم عالم النفس الأمريكي Elliot Aronson. في هذه التجربة يقوم بإعداد مقابلات عمل لمجموعة من الرجال مع امرأة جذابة. المرأة لديها شعر مستعار مجعد قبيح الشكل، ترتديه لتصبح قبيحة إن أرادت مع بعض الـ Makeup اللازم. نصف المتقدمين يقابلون النسخة الجذابة منها، نصف المتقدمين الآخر يقابلون النسخة القبيحة ذات الـ(باروكة). ثم تعطي هؤلاء وهؤلاء تقييمات -إيجابية للبعض وسلبية للبعض-.

الذين قابلوا المرأة الجميلة سجلوا أنهم شعروا بالسعادة حين تلقوا تقييمات إيجابية منها، والذين تلقوا تقييمات سلبية حرصوا على التسجيل معها مرة أخرى لإعادة المقابلة ومحاولة تغيير انطباعها عنهم، بينما الذين قابلوا المرأة القبيحة لم يبالوا فحسب بتقييمها، سواء كانت إيجابية أو سلبية.

لقد كانت نفس المرأة بذات الطباع، ولكن الشكل الخارجي لها غيّر من طريقة تلقي هؤلاء الرجال لأنفسهم بناء على كلمات يسيرة تتفوه بها من فمها! ربما أنت نفسك قد عاصرت تجربة شبيهة لو شعرت يومًا بالتهديد أو الضيق المبالغ فيه من مشاجرة (سوشيوميدياوية) تافهة مع فتاة تبدو جميلة في صورة البروفايل الخاصة بها. أنت كنت في هذه اللحظة واقعًا تحت تأثير ال Frizzy Wig الموصوف.



❁ في دراسة مسحية على مجموعة من الطلاب والطالبات الجامعيين تم سؤالهم عن الشيء الذي من المرجح أن يزيد من فرص رغبتك في موعد ثانٍ في حالة مقابلتك لأحدهم بشكل مُرتّب Blind date.

كانت إجابات الخاضعين للدراسة تشمل: الدفء، الحساسية، الذكاء، التعاطف، الفكاهة. ولكنهم رفضوا بشكل جماعي ملحوظ أن يكون للشكل الخارجي أي تأثير في ذلك. من وجهة نظرهم إنه لأمر سطحي أن تحكم على إنسان من خلال شكله الخارجي.

خضع طلاب ذات الجامعة لمتابعة نسبة حدوث موعد ثانٍ بالفعل بعد التواعد المُرتّب، وكانت النتائج مكذبة لدماثة أخلاقهم السابقة، في الحقيقة، كان الشكل الخارجي مؤثرًا -وبشدة- في احتمالية حدوث موعد ثانٍ!

يبدو ذلك صادمًا، بل يبدو غير عادل! لماذا خلقنا الله وسط بشر يُقيِّمون الآخرين من خلال شيء أعطاهم الله إياه دون اختيار منهم؟!

لكن الحقيقة أن تلك الدراسات تتبعت فقط نسبة حدوث موعد ثان، ولم تتتبّع العلاقة ككل ولا مصيرها النهائي، أمر كذلك سيكون صعبًا على أي دراسة مسحية.

❁ من الصعب إثبات أن العلاقات العاطفية لدى البشر تكون أعمق من مجرد الانجذاب الجسدي. لو أننا فقط لدينا وسيلة يمكننا بها اختبار ذلك.. لكن في الحقيقة أنه لدينا الوسيلة لذلك بالفعل! من خلال التوائم المتماثلة.

❁ التوائم المتماثلة Identical Twins متطابقون شكلًا وليس مجرد تشابه، نتحدث عن نسبة تطابق قريبة من ١٠٠٪ في المحتوى الجيني، نتحدث

عن شكل جسدي واحد، نبرة صوت واحدة، قامة واحدة، ووجه متطابق تمامًا. وبرغم ذلك فحين سُئِل هؤلاء المتزوجون بأحد التوائم المتماثلة عما إن كانوا شعروا بانجذاب تجاه توأم شريك حياتهم المتماثل، كانت الردود كالتالي:

❁ «أنا متزوج من ٨ سنوات وعلاقتي بزوجتي على ما يرام، ولكن توأم زوجتي مجنونة تمامًا، وهي واحدة من أسوأ البشر الذين عرفتهم في حياتي!».

❁ «أعشق زوجتي، وأما توأمها فأتمنى لو استطعت إلقاءها تحت عجلات القطار!».

❁ «أحيانًا أسأل نفسي إن كنت سأقع في غرام توأم زوجي لو كنت قابلته أولًا، لكن الحقيقة أن لا، فطباعنا مختلفة تمامًا».

❁ «كل ما أستطيع أن أقوله إنني متزوج باللطيف بينهما».

❁ «توأم زوجتي هي النسخة الشريرة منها، لا أستطيع لمسها حتى لو كانت حياتي تعتمد على ذلك».

❁ «لا أستطيع التفرقة بين زوجي وتوأمه حين نسير في الشارع، لكن حين نجلس سويًا وتتبين شخصية كل منهم أشعر أنه لا يوجد أي تشابه بينهما وأجده غير جذاب إطلاقًا».

هناك الكثير من هذه القصص، لم يكونوا جميعًا يكرهون التوأم الآخر، ربما احتفظوا لهم بمشاعر ود أخوي، لكن الغالبية العظمى منهم يتحدثون عن اختفاء تام لأي انجذاب جسدي أو روحي تجاه ذلك المتطابق شكلًا مع الشخص الذي يكن له كل الانجذاب الجسدي والروحي!



❁ تبدو ظاهرة ال Frizzy Wig عبثية الآن، أليس كذلك؟ من الواضح أن العلاقات طويلة الأمد لدى البشر أعمق من مجرد انطباعات سريعة تتعلق بالشكل الخارجي.

ولكن، هناك ما هو أغرب! هل يمكن أن يكون ذلك الانطباع ليس فقط مؤقتًا، ولكن أيضًا مزيف؟

❁ هناك تجربة بعنوان Painful Shock Experiment، فيها يطلب من كل من مجموعتين من المتقدمين تقييم انجذابهم الجسدي تجاه مقدم التجربة، ولكن قبل ذلك إحدى المجموعتين يتم إعلامها بتعرضهم لصدمة موجعة خفيفة بعد قليل.

ضربات القلب السريعة الناتجة عن توقع الألم أدت إلى اختلال شعوري لدى أصحاب تلك المجموعة، هؤلاء الذين وجدوا الممتحن جذابًا وسطهم كان أعلى من أفراد المجموعة الأخرى. لقد ظنوا أنهم واقعون في الإعجاب لمجرد تنشيط الجهاز العصبي السمبثاوي بذلك!

❁ هناك تجربة شبيهة، ولكن بدلًا من توقع الصدمة الموجعة طُلب من أحد المجموعتين الركض قليلًا قبلها على (مشّاية) كهربائية، فيما يعرف بـ Treadmill Experiment، من جديد فهؤلاء الذين كانوا ينهجون من الركض ظنوا أنهم واقعون في الحب أكثر من الآخرين!

❁ هناك تجربة أكثر عبثية من ذلك، في هذه التجربة يطلب من المتقدمين من الرجال سماع صوت ضربات قلبهم من خلال Headphone أثناء تصفحهم لصور نساء مختلفة من إحدى مجلات الإثارة، في إحدى هذه

الصور يسمع المتقدم للتجربة صوت ضربات قلبه العالية، ويتم سؤاله بعدها: أي هؤلاء شعرت بالانجذاب لها أكثر، كانوا يقرون بصاحبة ذات الصورة التي سمعوا فيها ضربات قلوبهم المتراقصة.

الجميل أن التجربة مصممة لخداعهم، هم لم يكونوا يستمعون إلى ضربات قلوبهم من خلال الـ Headphone، لقد كان صوتًا مسجلًا لضربات قلب شخص آخر. بينما يقوم المختبر عمدًا بإدارة بكرة المسجل لتسريع صوت ضربات القلب عند تصفحه لامرأة بعينها، وينتظره في نهاية التجربة ليصارحه الرجل أنه وقع في غرامها بالتأكيد!

أتحمس لكل الدعاوى التي تتهم البشر -من حيث هم بشر- بالسطحية، الأنانية، أو سماحهم لهرموناتهم الجسدية بالتحكم بحياتهم حتى. لكن على ما يبدو لنا فالإنسان -من حيث هو إنسان- هو شيء أعمق من ذلك.

قد تكون لامرأة جذابة السلطةُ والرهبةُ في قلوبنا حتى نهتم بآرائها في الحياة -بل وفينا شخصيًا-، سوف توافق الفتاة على الخروج مجددًا مع شاب قابلته وتبين أنه وسيم فتيّ. بالرغم من كل ما ندعيه، فالشكل الخارجي يجذبنا بالفعل، ويلوي أعناق قلوبنا ولو لفترة (مؤقتة).

ولكن مع اليوم والاثنين والشهر والذي يليه، يبدأ الإنسان منا في التحكم بمجريات الأمور ويأخذ دفة القيادة عن الطبيعة المادية الحيوانية فينا، نبدأ في إدراك ما هو أعمق من تلك الظواهر، والتي لا تكون خادعة فقط، بل ومخدوعة أيضًا!



❁ **نمحّص إعجابنا المبدئي بالمزيد من التدقيق**، وحتى لو تبين أنه حقيقي غير ناتج عن انطباع خادع من ضربات قلب سريعة تلت كوبًا مركزًا من القهوة. فحينها سوف نفطن إلى أن الشكل وحده لا يكفي للشعور بالامتلاء بالحب، سوف ننظر إلى توأم شريك حياتنا المتماثل بكل نظرات الاغتراب.



الحب هو السكينة والطمأنينة والراحة في أحضان من تحب، وفيما يتعلق بدوام وصحة العلاقة طويلة الأمد فالقشرة الخارجية سرعان ما تفقد تميزها وسط المعايير الأبقى والأقدر على التأثير من الشعر المستعار المزيف.



البط الذي تمنى أن يظل أسود

❁ **أذكر أنه** في اللقاء الرباعي الذي عقده كريستوفر هيتشنز في بيته مع سام هاريس ودانيل دانيت وريتشارد دوكنز، والذين أطلق عليهم الفرسان الأربعة للإلحاد الجديد، تلك التسمية التي كانت محاكاة ساخرة لفكرة فرسان يوم القيامة الأربعة في سفر رؤيا يوحنا. في هذا اللقاء تجادل (ريتشارد دوكنز) داعية الإلحاد الأشهر مع (كريستوفر هيتشنز) الذي يعد أوقحهم وأعنفهم جميعًا في فكرة: هل يتمنون انتهاء الدين من الوجود؟

تذكر أن الأربعة هم مؤلفون لكتب تعتبر أساسية في أدبيات الإلحاد الجديد، وجميعهم شاركوا في مناظرات وأفلام وثائقية ومؤتمرات لدعم الإلحاد المتشدد Military Atheism والذي يقدم نفسه على أنه مخلص العالم من شرور الأديان، وبرغم ذلك كان هيتشتز يجادل أن: لا، هو لا يتمنى انتهاء الدين من العالم، لأنه بدون طرف الدين لن يكون لما يفعلونه معنى! وأشار بيده بمعنى: يد واحدة لا تصفق.

❁ **لاحظ** أن الكتاب الأشهر لهيتشنز عنوانه: (الله ليس عظيمًا، كيف يسمم الدين تقريبًا كل شيء). أي إن الكاتب الذي كتب عن أن الدين هو الذي سمم كل شيء في العالم لا يتمنى نهايته لأنه يريد شيئًا يبقيه في دائرة الضوء.

❁ **اندهش** دوكنز وبقية الحاضرين من ذلك قائلًا: ولكن، ألن يكون ذاك شيئًا جيدًا؟! يمكننا حينها العودة للانشغال بمشاغلنا الأصلية!



ولكن ما لم يدركه دوكنز أن هذه هي مشاغل هيتشنز الأصلية، فدوكنز في النهاية بيولوجي، وهاريس عالم أعصاب، ودانيت فيلسوف علوم، ولكن هيتشنز كان كاتبًا صحفيًا، ولم يشتهر إلا من خلال معارضته للدين، بالفعل وكما ظل يجادل هيتشنز، هو يحتاج إلى وجود الدين من أجل لقمة عيشه حرفيًا.

ليس معنى معارضة الثلاثة لهيتشنز أنهم لا يفكرون مثله، ربما فقط هيتشنز كان أكثر تهورًا من أن يخفي هذه الحقيقة غير الملائمة.

لكن الواقع أن كلًا منهم لم يسطع نجمه بشكله الحالي إلا بعد مرحلة معينة من حياته ارتبطت بالإلحاد وبمهاجمة الأديان، سام هاريس بعد كتاب (نهاية الإيمان) في ٢٠٠٤، دوكنز بعد (وهم الإله) في ٢٠٠٦، ودانيت بعد (كسر السحر، الدين كظاهرة طبيعية) في نفس العام.

حتى من خارج هذه المجموعة الرباعية، فهناك فيكتور ستينجر مؤلف كتاب (الفرضية الفاشلة)، وهناك مايكل شيرمر رئيس تحرير مجلة المتشكك The Skeptic ومؤسس جمعية بذات الاسم. جميع هؤلاء لن يكون لما يفعلونه معنى كما قال هيتشنز -أو (ثمن) كما قصد في الحقيقة- لو لم يكن هناك مزيد من ذلك السم الذي يسمم كل شيء، لو لم يكن هناك المزيد من تلك الفرضية الفاشلة!

❁ هناك قصة أخرى أقل أناقة وأكثر وضوحًا وهو-وهي في وضع مروجي الإلحاد في عالمنا العربي، مصر تحديدًا-، هناك (أ. ح.) الذي أفل نجمه الآن لحسن حظ المنطق والحس الجمالي العام. لم يكن يجيد فعل أي شيء تقريبًا ولكنه أجاد إقناع المهتمين من أصحاب الأموال أنه مروج جيد للإلحاد في مصر مع مجموعته البائسة المسماة بالبط الأسود، وصديقه الأشد بؤسًا (إ. م.).

الاسمان السابقان هما اللذان ظهرا في الفضائيات المصرية لينالوا الطرد بعد دقائق لأن الإعلاميين في مصر -كما هو حال مروجي الإلحاد- لا يجيد أي منهم ما يتقاضى أجره ليعمله بالفعل.

في المشاجرة الأخيرة بين (أ. ح.) وبين زوجته السابقة الملحدة (ن. م.)، ذكرت طليقته أنه كان قد اتفق معها أثناء علاقتهما على خطف فتاة ملحدة قاصر تبلغ من العمر ١٦ عاما من أهلها لتعيش معهم في علاقة جنسية ثلاثية، وأنها لما هددته بنشر ذلك انزعج بشدة لأن هذا سيضايق فلان والذي هو الداعم الأساسي ماليًا له. ذكرت أيضًا عنه أنه أعد كتيبة إلكترونية لتعلق على منشوراته على فيسبوك بانزعاج أو بتأييد لما يكتبه، حتى يبدو أمام داعميه في الخارج أنه ما زال مؤثرًا في عقول الشباب، حتى لا يتوقف المال.

لم تكن فكرة الأموال تلك مقبولة مجتمعيا من قبل، كانوا ينكرونها سابقًا. وبعد أن أتاحت منصة الباتريون ذلك للجميع ظهروا في فيديوهات صريحة للاعتراف بأن هذا أمر طبيعي أن يحصلوا على دعم من الخارج من أناس يظنون أن ما يفعلونه (مهاجمة الدين) في صالح المجتمع أو الإنسانية، رصيد حساب باتريون الخاص بـ (أ. ح.) الآن حوالي مئتا دولار، وهو رقم ضئيل ولكنه أكبر بكثير من تأثيره الحقيقي، على سبيل المثال فرصيد الباتريون الخاص بـ (ش. ج.) -حسب ما أذكر- حوالي ١٠ آلاف دولار شهريًا حتى وقت كتابة هذا المقال (أكتوبر، ٢٠١٩)! حوالي ١٥٠ ألف جنيه في الشهر مقابل أن تهاجم فقط الإيمان والأديان! هل هذه لقمة خبز هينة؟

ما سيحاول هؤلاء وأولئك أن يقولوه لك إن لديهم الكثير من الدوافع لاعتبار أن الدين يسمم كل شيء، أن احتمالهم الأذى والصبر على



مقارعة ما استقر في وجدان الناس إنما هو في سبيل شمس المعرفة أو نبع الحقيقة أو أيًا يكن من تلك الأشياء اللطيفة التي يحب أن يسمعها أبناء الثلاثة عشر عامًا.

ولكن ما سيجيدون إخفاءه أن كل هذا لن يكون له معنى لو لم يكن هناك ما يمكن أن يُلحَدَ به! بدون الدين لن يفقد هؤلاء شهرتهم أو مصدر تميزهم فحسب، بل سيكون عليهم أن يقوموا من نومهم صباحًا ليبحثوا عن وظيفة حقيقية تتضمن جهدًا عضليًا أكبر، وربما فتيات ذوات ستة عشر عامًا أقل!

ولكن أغلبهم لن يستطيع عمل ذلك، إنهم كساحر القبيلة البدائية الذي لا يجيد الصيد ولا الغزل ولا الزراعة، فأجاد إقناع أهل قريته أنه يستحق حصة من أرزاقهم لأنه سوف يخلصهم من الأرواح الشريرة، يمكنك أن تتأكد أن المستفيد الأكبر من هذه الأرواح الشريرة سوف يكون ذلك الذي يتقاضى مرتبه مقابل أن يطاردها.

❁ **هل هذا سبب كافٍ للتشكك في صدقه؟** ربما. هل هذا سبب كافٍ للتخوف حتى من ألا تكون هناك أرواح شريرة على الإطلاق، ولكن حياته تعتمد على أن يجيد إيهامنا بوجودها؟ ربما أيضًا!



ربما لكل هذا سوف يكون عليهم أن يتمنوا المزيد من ذلك السم الذي يسمم كل شيء، لأنهم يبيعون ترياقه المزيف.



من سخمت إلى دراكيولا!

❁ هناك مصاص دماء دائمًا في ثقافة كل شعب كما علمنا الدكتور الراحل/ أحمد خالد توفيق.

المصريون القدماء لديهم معبودة اسمها (سخمت) على شكل امرأة لها رأس أسد كانت مولعة بشرب الدماء. الإغريق لديهم (لاميا) عشيقة (زيوس) التي لعنتها زوجته (هيرا) فجعلتها تمتص دماء الأطفال. وفي رومانيا الساحرات مصاصات الدماء (ستريجوري في)، والموتى العائدون لمص دماء الأحياء (ستريجوري مورت). في الهند هناك الـ (بوتا) الغول الذي يمص دماء البشر ليلًا، و(كالي) ذات الأذرع الأربعة والأنياب الحادة. في غانا وساحل العاج هناك (الأساسابونسام) الذي يتوارى بين الأشجار. في أرمينيا هناك (الداشنافار) الذي يمتص الدماء من أقدام المسافرين ليلًا. في بلغاريا (أوبور) الذي يهاجم النساء في الغابة. في الصين (شيانج شيه) المنتحر الذي يعود من الموت. وفي اليونان (الفرايكولاكاس) الذي يستأذنك أولًا قبل الدخول لدارك. اليهود لديهم (ليليث). في اليابان لديهم ثعالب مصاصة دماء. وفي ماليزيا الرأس الزاحف (بينانجالانج). وفي ألبانيا نجد (اللوجات). وفي أستراليا (اليارامايهاهو).

وبالطبع في النهاية هناك الشخصية الحقيقية (فلاد المخوزق) حاكم والاشيا الذي سموه مصاص الدماء لأنه كان سفاحًا، فاستلهم منه (برام

ستوكر) روايته الخالدة (دراكيولا). والذي تسلل تراثه إلى عدد خرافي من الروايات والأفلام صانعًا المزيد والمزيد من الأساطير المُطوّرة.

نعلم اليوم أنه لا يوجد مصاص دماء في الواقع بالفعل، اللهم إلا إذا كان ذلك الكائن الذي يقفز على سيارتك ليلًا فجأة من اللامكان ويتدلى منه شيء أصفر يلطخ به سيارتك ويأخذ منك نقودك عنوة في وحشية. هناك من يسمونه (السائس) ولكنه يبدو كمصاص دماء بالنسبة لي.

وبرغم أنه غير موجود في الواقع إلا أن هذا لا يمنع من نسج الأساطير بهذا الإتقان الثري، فيما يخص الشعوب فلن تجد أوفر من الخيال دائمًا، وما بين مدام (سخمت) المصرية ذات رأس الأسد التي تتنفس الصحراء، وبين القامبير الرومانسي الوسيم الذي تهيم به المراهقات حبًا، فهناك طيف واسع من تطويرات وتنويعات الأسطورة التي من الواضح أن الشعوب تناقلتها بصور تتناسب مع بيئاتها، وتفسيرات نابعة من ثقافاتها الذاتية، حتى ولو لم تكن للفكرة أصل صحيح تستمده من العقل أو الفطرة.

فما بالك بتلك الفكرة ناصعة البياض اللامعة في وجدان كل بشري، الدال عليها كل منطق وكل استدلال عقلي نظر إلى الوجود فعلم أنه لا بد له من صانع؟! كيف يمكننا أن نتخيل التفاعل الذي قد يحدث بين فكرة ضرورية كهذه وبين خيالات الشعوب ذات الثقافات المختلفة؟ هل سنجازف إن قلنا إن نتيجة هذا التفاعل لا بد أن تنتج كل هذا الكم من الآلهة الخرافية في كل مكان؟ كل هذه القصص، كل هذه الأساطير، كل هذه الديانات التي مزجت بين فكرة حق -مثل وجود الخالق- وبين كل أنواع الباطل المختلفة!

❁ لذلك فبحسب كتاب (نمو الدين) لـ جوزيف مكيب -الصادر في ١٩١٨-، فإن رأي السير (مونير مونير ويليامز) بروفيسور اللغات السنسكريتية في جامعة أكسفورد وجماعة من الباحثين، أن: «التوحيد متقدم على كل صور الشرك التي ظهرت لاحقًا، فالديانة الهندية مثلاً بدأت بحسب نصوص في (الفيداس) بالتوحيد ثم تحللت إلى صور متعددة للشرك».

❁ **وجاء في مقال بعنوان** (أصل الدين وتاريخه المبكر) في دورية (الإنسان البدائي) Primitive Man الصادرة عام ١٩٢٩ عن معهد (جورج واشنطن) لدراسات الأعراق البشرية: «يظهر أن تاريخ الدين عبارة عن تحلل أو انحراف من صورة مبكرة خالصة ونقية من التوحيد».

❁ سألت إحداهن (دوكنز) الملحد الشهير: «ماذا لو كنتَ مخطئًا فيما يخص الله؟»، ولأنه سيظهر بمظهر سيئ إن قال الكلمة التي يعتقدها فعلاً: «أنا لا أخطئ، كل ما أقوله رائع تمامًا»، فهو لم يستطع قولها، ولكن قال: «وماذا لو كنتِ أنتِ مخطئة فيما يخص الإله (جوجو) الساكن في قمم الجبال وتؤمن به قبائل وسط أفريقيا؟».

حسنًا، يا سيدي، من الواضح أنه ليس عليّ أن أفنّد كل أسطورة في العالم كي أخلص إيماني من السخافات! يكفيني أني لم أؤمن بأي خرافة، بأي تحريف، بأي زيادات خيال إنسان واهم!

❁ **الله واحد!** كل شيء يصرخ بذلك، نمط خلقه الموحد، اتساق الكون بإرادة قاهرة واحدة، وعلوه حين علا بشأنه عن كل شيء آخر. إنها الفطرة التي تنطق بداخلنا أن الله لا يتجزأ، والمنطق الذي يقودنا إلى أن وجود غير إله

واحد ليس ضروريًا حقًا كي نفترضه، والعقل الذي يطالبنا بوجود دليل يكفي لادعاء بهذه الخطورة.



تلك الرسالة التي نجدها في القرآن نجدها تتسق مع كل شيء!

تلك الرسالة التي تقول لكل كائن بشري على وجه الأرض:

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤]...

﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

مئة على طاولة المفاوضات

تلقيت رسالة تقول: (تلح عليّ الرغبة في خلع الحجاب وأن الآية في القرآن لا يتضح فيها أنه فرض، هذا غير أن واحدة من زميلاتي خلعت الحجاب قريبًا وشجعها الجميع، فالصراحة الظروف مناسبة جدًا لأخذ قرار الخلع، أريد شيئًا يمنعني من ذلك ولا أجد)!

❁ **قلت لنفسي:** ما الذي يجعل هناك الكثير من الحجاب أصلًا؟! لو فكرت، لوجدت أن الحجاب هو ما يثير العجب بالفعل!

❁ **ما الذي يمنع السائلة من خلع الحجاب؟** لوم من سيلوم سينتهي بعد أيام قليلة، وفرح من سيفرح بها على الأرجح سوف يدوم أطول. ويمكنها دومًا أن تقول لذلك الجزء اللائم من وجدانها إن القرآن لم يكن واضحًا في الأمر، هي تعلم أن الأمر ليس كذلك، هي تعلم أن تفسيرات الحداثة للتراث ليست مقنعة فعلًا لقلبها الذي سيوزن وحده على ميزان الله يوم القيامة، ولكن صدقني، كم هي كثيرة تلك الأمور التي نحن على استعداد للتغافل عنها مقابل أثمان هي أقل من هذا بكثير!

❁ **أخبرني**، هل هذا شيء يسير بالنسبة إليك؟ هل تقوم الفتاة المتمسكة بحجابها بفعل معتاد؟ تقول لي الحياء والفطرة.. هل تعلم كم يكلف في زماننا هذا البقاء على الفطرة أو التمسك بالحياء؟! لم تعد الفطرة هي الطبيعة. صارت في كل ما هو وراء الطبيعة والاعتياد!



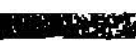
❁ **فكر في الأمر**.. في زمان قد يوصف بالكثير من الأشياء ولكنه يوصف أول ما يوصف بأنه زمان المادة! زمان (لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية)، زمان التكذيب بما لم نحط بعلمه، والزهو بكل ما أوتينا من علم. في زمان كهذا يصبح اليقين مهلهلًا، والإيمان رثًا، وذلك النور الذي كان يضيء في القلب فيجعلك في صبر على صلاة قيام طويلة أو صيام يوم حر في التطوع قد خبا عند الكثيرين، وحرارته صارت دفئًا ناعسًا بعد أن كانت نار وقود مشتعلة، لم يعد هناك من يطيق صبرًا على ما لم يحط به خبرًا، لم تعد لدينا الكثير من طاقة الاحتمال على شيء قد يكون وقد لا يكون، وكثيرة هي الأشياء التي صارت في قلوبنا مؤخرًا تحتمل قد وقد! لم نعد نرى الله في قلوبنا، وصار البعض يتساءل: ألن يكون أسهل لو رأينا الله جهرة؟!

في زمان كهذا تقوم الفتاة بشيء ضد الطبيعة المادية التي تشكل شطر الإنسان، تختار بكامل قواها العقلية أن تغطي جزءًا معتبرًا من جمالها، أن تصبر على أن تنحصر ملابسها في أقل من عشر الموضة العالمية، وأن تضع مقدارًا من الملابس أكبر مما يطيق جسدها في يوم الحر الشديد. تختار أن تتميز وتختلف عن الغالبية العظمى من نساء العالم واللاتي قربهن إليها كل قنوات الاتصال المفتوحة.

تختار أن تحارب وحدها، وبعلمها الذي قد يكون بسيطًا أمام كل تلك الأسئلة التي يطرحها عليها وجدانها -قبل أن تطرحها الفضائيات-، وفي كل مرة تتساءل عليها أن تفوز في تلك المناظرة المعقودة داخل عقلها، في أحد طرفيها تقف وحدها وفي الطرف المقابل يقف كل شيء آخر، وتكاد لا تجد على

نفسها معها من معين، نراها نحن هادئة وهي تدخل ذات المعركة داخل نفسها كل يوم، ومع كل يوم تصير أضعف، ويصبح جيش عدوها أكثر عددًا وعتادًا، ثم تخرج في كل يوم منتصرة!

❁ **هناك مئة سبب للفتاة لكي تخلع عنها حجابها**، وسبب واحد يمنعها! فكل احترامي لتلك التي لم تعبأ بالكثرة، وأدركت أنه برغم كونه سببًا واحدًا فهو السبب الوحيد المستحق لأن يوضع على طاولة المفاوضات!



أيتها السائلة العزيزة، ليس لدي الكثير مما أقوله لك لأنني لم أدخل نفس اختبارك، ربما الله يعلم أني لم أكن لأنجح لو كنت مكانك. لا أعلم، لا أثق في كثير من الأشياء مؤخرًا، هاك واحدة من تلك الأشياء القليلة التي ما زلت على ثقة تامة بها: الله يعلم منك صبرك.. الله لن ينساها لك!



وحيد في كونك الخاص

في مكان عملك مئة زميل لك آخرون معظمهم أبرع منك، في غالب الأحيان لا تكون أهم شخص في المكان الذي تجلس فيه، أغلب الأيام لا يشار لك بالبنان كونك بطل اليوم، أنت لست الشخص المهم الوحيد في حياة أحدهم، بائع البقالة يقابلك بابتسامة واسعة ولكنك واحد من ألف زبون، وصديقك الذي يمهرك بإعجاباته على مواقع التواصل يمهر المئات غيرك، حتى أمك لديها عدة أبناء آخرون، وابنتك الوحيدة لديها والدان أنت فقط أحدهما. وعلى كل حال وبشكل عام جدًا، فأنت كومبارس المسرح الذي لا يكاد يظهر من خلف الكواليس ولكنه يظن نفسه بطلًا للمسرحية.

❁ **ولكنك لست كذلك في رأسك!**

العالم يبدو لك هامشًا على محور أفكارك، ويكون العالم حقيقيًا فقط بالقدر الذي تودعه فيه من فيض مشاعرك الخاصة، وحين تتوقف عن الشعور -بالنوم أو الموت- فالعالم يتوقف بالنسبة إليك، حركاته الدائرة لا تعني لك شيئًا. ومخك يرى أرنبة أنفك أمامه طوال الوقت ولكنه يختار أن يتجاهلها كي لا تشوش عليه الرؤيا، أنت ترى أنفك الخاص قبل أن ترى أي شيء آخر، وصوت قرمشتك لرقائق البطاطس تسمعه بصوت أعلى من هتاف أي إنسان، أنت لا تعيش في الدنيا مع الآخرين، أنت تسمح للآخرين بالعيش على حاشية دنياك الخاصة.

❁ **سوف ترهقك هذه المفارقة**، دائمًا الأمور لا تبدو بنفس النظرة الضيقة التي كنت تحسبها، هي في حقيقتها أوسع مما كان في ذهنك المحدود بالكيلوجرام والثلث من خلاياك العصبية الخاصة. في غالب الأحيان لا تكون القيمة الموضوعية لنجاحك هي نفس قدرها المتوهم في وجدانك. مواقفك المحرجة التي تعرضت لها في حياتك تقض مضجعك أنت فقط بالليل، بينما قد نسيها الجميع، وخطاياك لن تطارد أحدًا سواك في الدنيا أو في الآخرة.

لكنك سوف تطمئن نفسك بأن هذه التناقضات الوجودية هي ما يصنع من الإنسان إنسانًا! سيصيبك الحزن من عدم التطابق في مكانتك في نفسك وفي العالم قبل أن تفطن إلى أنه ليس هناك عالم! كل منا يحيا في العالم الخاص به، وتتعدد العوالم بعدد ما خلق الله في الأرض من هذه الكائنات الذكية المعذبة. ستصيبك الدهشة من ذلك فقط إلى أن تلاحظ أن هذا هو المفترض أن يحدث في كون خلقه الله يحيا فيه الجميع ليحاسب كل واحد منهم على كونه هو!



الكون بالنسبة إلينا هو كون إنساني لأنه لا يكاد يتحقق في أذهاننا إلا بقدر الاهتمام الذي يسترعيه، ويكون العقل في أحسن أحواله حين يفطن إلى ذلك، وكان إبراهيم بن أدهم يرى أن الفكرة مخ العمل، بينما ذكرنا يحيى بن معاذ أن أبناء الدنيا يجدون لذة الكلام، وأبناء الآخرة يجدون لذة المعاني!

حاويات الأقنعة على الرصيف

في محطة القطار لا يشعر أحد بالانتماء للمكان، أكشاك البقالة في منتصف الرصيف لا تربي أي زبائن، النادل في (كافيتريا) المحطة لا يطمع في إكرامية سخية من أي عميل.

❁ **بشكل عام**، فالناس لا تهتم بوضع أقنعتها هنا، الفتاة الرقيقة لا تبالي إن بدت في حال يرثى لها من خليط العرق واللهاث والملابس المتربة، لا يوجد في نطاق نظرها من تؤمّل فيه لطلب يدها، لا يأبه الشاب بإثارة إعجاب أي فتاة أيضًا، سيراها ثم ينطلق كل منهما إلى قطارين متساويين في السرعة متضادين في الاتجاه. واللطفاء لن يعرفوا وسط قومهم بالشهامة لأن قومهم ليسوا معهم هنا، سيكون على كل منهم أن يكون لطيفًا فقط بالقدر الذي لا تسمح شهامته الداخلية بأقل منه.

❁ **بصفة عامة**، فالجميع هنا يبدون أكثر ما يكونون شبهًا بأنفسهم!

الناس هنا لا يحبون أمتعتهم أيضًا، ومع كل استراحة يضع عنه متاعه الثقيل إلى الأرض ليلتقط أنفاسه، لا بد أنه كان يتساءل حينها عن مدى حبه لذلك الحذاء الذي حشره في حقيبته البارحة فقط لأنه ظن أنه سيفتقده إن لم يفعل، أو عن مدى حاجته حقًا للكتاب الثقيل الذي يداري به ضعف ثقته في مدى جودته كقارئ. لا أحد هنا يمتن لعقلية الاستخسار التي جعلته يحشر كل

ما ليس له كبير فائدة، الكل يلوم نفسه بينما تتقطع أنفاسه على هذا الألم غير الضروري الذي يمزق كتفيه.

الناس في محطة القطار يتوقف بهم الزمان لحظات فيها يشعرون وكأنهم غادروا إلى أرض غير مستقرة، تنزاح من تحتهم بسهولة، ويختبرون فيها كيف هو شعور الرحالة الذي لا ينبغي له أن يستقر، بل عليه أن يركض دومًا صوب القطار المسرع الذي عادة ما يكون أسرع منهم.

❁ **الدنيا محطة قطار أكبر من أن تبدو كذلك**، لا يوجد فيها إلا ركض ولهاث وندم على أمتعة كان يمكن لها أن تكون أخف. لا يوجد إلا أناس نحبهم فنفارقهم، وأقنعة نتنازل عنها مع مرور الوقت، وانتماء فقدناه في الطريق تجاه أشياء لم تعد هنا. وفي لحظة بعينها ندرك أن الحقائق جميلة مهما كانت صغيرة، بينما نتنازل عن كل أنواع المجازات!



وكان النبي ﷺ دائمًا ما يدعونا إلى أن نكون في الدنيا كعابري السبيل.



تُطبّق الشروط والأحكام

المادة تحول الإنسان إلى صورة مشوهة من ذاته! صورة تتجاهل المعاني في مقابل الصور، وتتناسى بواطن كل الظواهر البراقة. المادة تذكر الإنسان بكل الأعطال والأعطان التي تعتريه، حين تصبح المادة هدفًا لك فأنت قد عقدت معاهدة بالفعل مع الطبيعة أن تكون جزءًا منها يستحق أن تجري عليه نفس القواعد وتطبق الشروط والأحكام.

الزهد غير عقلاني لو كنت طبيعيًا، زينون الرواقي اليوناني القديم كان طبيعيًا ولكنه دعا إليه واعتبره الانسجام الوحيد الذي يضعك في موضعك الحقيقي، أمام قطار الطبيعة غير مبال بها!

❁ **كل من يتحدث عن الروح دعاك إلى الزهد**، الرواقيون في يونان القديمة، والكلبيّون في روما، والرهبان المسيحيون في صحاري مصر، وفي الهندوسية فالزهد هو القاعدة الثالثة مما يطلق عليه (نياما يوغا). هذا غير كهنة البراهمة والبوذية والكونفوشيوسية والزرادشتية والطاوية والمانوية. كل الأفكار الروحية -الديني منها واللاديني- حرصت على الزهد. إنها طريقة الإنسان للشعور بذاته في عالم المادة. الشعور بأنه ليس مادة!

❁ **في الإسلام يذم الله هؤلاء الذين يحبون العاجلة!** يعنف القرآن من يحبون اكتناز الذهب والفضة، يمدح النبي ذلك الذي أعطاه الله مالًا فسلطه

على هلكته في الحق! يدعوك الله دومًا ألا تكون طبيعيًا، أن تتعالى على الجمادات البراقة، أن تعتبر نفسك فوق المادة.



الدين عمومًا في مجمله هو تدريب طويل على الزهد في الدنيا، محاولة للارتقاء على المادة، وأغلب الناس لا يفهمون ذلك -ولو فهموا لا يفعلون-، لأن الطبيعي أن تكون طبيعيًا، بينما الإنسان الكامل هو من نجح في الخروج من الطبيعانية التي تصبغ كل شيء آخر من حوله!



سفينة ثيسيوس

❁ **في تجربة فريدة من نوعها** في ٢٠١٠ قام فريق تابع لمختبر متخصصة العلوم الإدراكية في الأكاديمية الأمريكية للعلوم (لورا شولز) بإظهار صندوق زجاجي شفاف لأطفال رُضّع (عمرهم ١٥ شهرًا تقريبًا)، يحوي كرات زرقاء كثيرة وكرات صفراء قليلة، الكرات الزرقاء تصدر صوتًا عند الضغط عليها، والكرات الصفراء لا تفعل.

كانت الكرات الزرقاء في الصندوق كثيرة لدرجة تسمح بالتقاطها عشوائيًا باحتمالية كبيرة، كانت المساعدة الخاصة بها تسحب كرة زرقاء من الصندوق وتضغط عليها أمام الطفل فتصدر صوتًا، ثم تفعل ذلك في كرة زرقاء أخرى، ثم أخرى، ثم تخرج للطفل كرة صفراء وتعطيها له. ضغط ٨٠٪ من الأطفال على الكرة الصفراء حينها لأنهم توقعوا أن كل الكرات في الصندوق تصدر صوتًا عند الضغط عليها.

أعادوا التجربة، هذه المرة فالصندوق يحوي كرات صفراء كثيرة وكرات زرقاء قليلة، (تختار) المساعدة كرة زرقاء فتضغط عليها فتحدث صوتًا ثم كرة زرقاء أخرى ثم أخرى، ثم تخرج كرة صفراء للطفل وتعطيها له. هذه المرة فـ ٣٣٪ فقط من الأطفال من ضغطوا على الكرة، إذ افترض معظم الأطفال أن نسبة الكرات الزرقاء القليلة في الصندوق غير كافية لتعميم صفتها على باقي كرات الصندوق!

❁ **نعم**، كان الأطفال الذين تعلموا السير بالكاد يطبقون قواعد الإحصاء الخاصة بالعشوائية والاحتمالية ومتوسط القيم والانحراف المعياري قبل حتى أن يتعلموا الكلام! يملكون المبادئ العقلية الضرورية التي تخبرهم متى يفترضون أن القاعدة عامة ومتى يفترضون أنها شذوذ!

❁ **لنا أن نسأل**، في أفكار الحياة التي هي أعقد من مجرد كرات ملونة، كيف تقيس قابلية التعميم، اتساق النمط العام، أو عما إذا كان عدد الشذوذ هامشًا إحصائيًا مقبولًا أم خرقًا مزعجًا في ثوب التكامل المفاهيمي المطلوب؟!

هناك معضلة فلسفية شهيرة طرحها الفيلسوف اليوناني (بلوتارخ) منذ ألفي عام تعرف باسم (سفينة ثيسيوس)، حيث (ثيسيوس) ذهب لقتل وحش المينوتور، وأثناء عودته تم إصلاح سفينته فاستبدلت جميع ألواحها بألواح خشبية جديدة. هنا يسألنا (بلوتارخ)، لو تم استبدال لوح من السفينة لقلنا إن السفينة كما هي، ولو تم استبدال اثنين لقلنا ذلك أيضًا. ولكن لو تم استبدال ألواح السفينة بالكامل فهل ستظل هي هي سفينة ثيسيوس؟!

ثم أضاف (توماس هوبز) للمعضلة بعدًا جديدًا، افترض أننا استخدمنا كل ألواح السفينة القديمة لعمل سفينة جديدة، هل ستصبح السفينة الجديدة هي ثيسيوس؟!

❁ **من جديد نسأل**، كم عدد ألواح ثيسيوس التي تسمح بها؟ كم عدد الثغرات غير المفهومة التي تتسامح مع ابتلاعها؟ ومتى تتوقف وترفض وتقول عذرًا ولكن هذه صارت سفينة أخرى، لا أرى أيًا من ألواحي القديمة!



رفضتَ أن تعمم صفات الكرات الزرقاء على باقي الصندوق، أن تسلم بأنه من الطبيعي أن يعاني عقلك المحدود من بعض الانحراف المعياري عن متوسط يقينك، أن توافق على بعض الألواح المختلفة عن محكماتك المعتادة في سفينتك الأصيلة.

ثم اخترتَ أن تقنع نفسك أنه من الأيسر لك أن تؤمن بالفوضى الكونية لمجرد أنك وجدت حلقة مفقودة في النظام، أن تقنع بعبثية الحياة لأنك عجزت عن تفسير بعض أهدافها، أن تتبنى عَدَمية القيم لأنك تضايقت من بعض الشرور، أن تقفز إلى محيط الخواء والوهم لأنك تشككت في بعض حبات رمل الساحل أمام بنائك المتكامل شاهق الارتفاع؟!

اخترتَ أن تنتقل إلى سفينة جديدة لا يوجد بها أي لوح أصلي، يتم استبدال ألواحها كل يوم لأنها تتلف باستمرار، هي ليست ثيسيوس ولن تكون، مجرد سفينة أشباح صنعتها ظلال الشك، تبحر بلا انقطاع دون أمل في الوصول إلى أرض موعودة أو العودة إلى وطن مهجور.

لقد كان اختيارًا سيئًا يا صديقي.

الأناقة المقدسة



❁ **من أكثر ما أحبه في القرآن كأسلوب إنشائي بلاغي أنه أنيق!**

بداية من أسماء السور بالكلمة المفردة الموحدة القوية المتصلة بفكرة محورية أو متفردة في السورة.

ومرورًا ببداية السورة وتقديمها والتمهيد لفتح موضوعاتها، وتكوين قاعدة اعتيادية من ذلك بحيث تكون السور التي تبدأ مباشرة دون تقديم استثناء يلفت الذهن لروعة الانتباه.

ثم تسلسل الموضوعات وتأرجحها من اليمين للشمال، من الوعظ للأحكام، من قصص الماضي للمستقبل، من الحديث عن الله للحديث عن الإنسان، من النصح المباشر للتوجيه غير المباشر، من آيات الرحمة للعذاب، من المنطق المحكم المتسلسل المتكامل للعاطفة الجياشة المندفعة بلا سبق إنذار.

ثم في النهاية خواتم السور التي عادة ما تكون أجمل ما فيها، تتفاجأ فيها أن ما كان يبدو عشوائيًا لم يكن كذلك، وما كان يبدو خبطًا متأرجحًا كان يقودك إلى نتيجة تضيء في وجدانك من دون معونة، وتختم لك السورة نفسها في أعذب ألفاظها وأرق معانيها وأجمل تقاطيعها الصوتية.

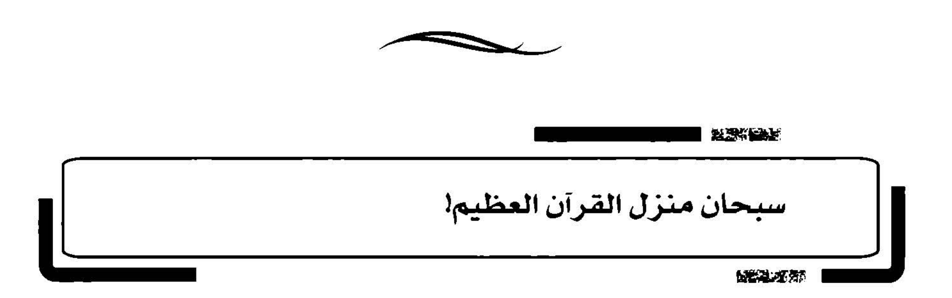
ثم هناك أناقة التفرد، كل سورة لها طابع خاص، بالتأكيد مذاق سورة



يوسف غير سورة النساء غير محمد غير النحل. لا يمكنك أن تخطئ ذلك المزيج الحريف المميز لكل خلطة في كل سورة منه!

❁ كل هذه الأناقة مع كون القرآن نزل مفرقا وقليلة هي سوره التي نزلت جملة واحدة! وإعادة الترتيب كانت متأخرة عن نزول آياته، ومع ذلك تموضعت كل آياته بكل هذا البناء الهندسي اللطيف.

❁ **فماذا لو أضفت إلى ذلك كونه لا يحوي باطلًا ولا لغوًا**، كونه مجملًا بغير إخلال ومفصلًا بلا ملل، كونه يتحدث عن أصعب الموضوعات وأكثرها جفافًا في ذاتها فيجعلها حية تتحرك أمام عينيك، ولم يكتف بموضوعات الشعراء الحالمين التي يجيد الجميع نسج الجمال فيها، وكونه في النهاية تجربة خاصة بك أنت، يجيب عن كل سؤال لك قبل أن تسأله ويتجول في خاطرك حين يجول بك خاطرك بعيدًا عنه؟



دوار الصورة الكبيرة

بعدما طلّق (جيف بيزوس) زوجته في عام ٢٠١٩ خسر ربع ثروته لها، ومع ذلك احتفظ بلقب أغنى رجل في العالم برصيد ١١٥ مليار دولار تقريبًا! لا أذكر الرقم فعلًا ولكنه كان قريبًا من هذا، هل هو ١١٤؟ هل ١١٧؟ ربما! لا أعلم. هل يختلف الأمر بالنسبة لك؟ بالقطع لا. هو مئة و(شوية) بالنسبة لنا، لكن الحقيقة أننا نتحدث عن اختلافات ببضعة مليارات من الدولارات، يمكنها شراء كل سيارة تسير في مدينتك ويتبقى مبلغ كافٍ لشراء كل منزل أيضًا!

❁ **كم مات في الحرب العالمية الثانية؟** في ذاكرتي أن العدد كان ٤٤ مليونًا من البشر. جَوجَلتها الآن وفي ذهني أني سأحصل على رقم محدد، فوجدت أن المُبَجّل جوجل لا يعرف بالضبط، ويخبرني أن الرقم ما بين ٥٠ و٧٠ مليونًا، لأنه لا أحد يعرف بالضبط! نسمع هذا فلا نندهش، هناك هامش يبلغ ٢٠ مليونًا لا يدهشنا لأنها مجرد إحصائية! تخيل لو مات جميع سكان قارة أستراليا فجأة. هذا هو حجم الرقم (الهامشي) الذي نتحدث عنه.

لو كان من وصف جامع للزمان الذي نعيشه فهو زمان الأعداد الكبيرة! ٧ مليارات من البشر، عشرات أضعاف ذلك من المجرات المكتشفة في السماء، تريليونات الخلايا أحصيناها في أجسادنا، ثروات لم يعرف البشر مثلها، وحروب تفني في عدة سنوات أعدادًا أكبر من كل تلك التي كانت تعيش على

الأرض منذ عدة مئات من السنين. وتوفرت لك المعرفة التي تخبرك أنك حين تمسح على شعر رأسك فأنت قد لمست للتو ١٠٠ ألف شعرة بالفعل!

النموّ الأُسّي سمة مميزة للمعرفة البشرية، كل المعرفة التي قدمها الإنسان حتى عام ١٩٠٠ تضاعفت في ١٩٥٠، ثم تضاعفت مرة أخرى في ١٩٦٠، وتتضاعف كل سبع أو ثمان سنوات. ويذكر العالم الأمريكي (جاليوس روبرت أوبنهايمر) أن التقدم التكنولوجي الذي حدث في آخر ٤٠ عامًا يفوق التقدم الذي حدث في آخر ٤٠ قرنًا. زادت المسافات المتاحة للإنسان من ١٠ أس ١٠ إلى ١٠ أس ٤٠، والحرارة من ١٠ أس ٥ إلى ١٠ أس ١١، والضغط من ١٠ أس ١٠ إلى ١٠ أس ١٦.

❁ **كل شيء يتسع**، والمعرفة تتضاعف، والحدود تتمدد، وصرنا محاصرين بصداع الأرقام الضخمة ودوار الـ Big Picture!

❁ **مجددًا**.. ماذا تعني الأرقام الصغيرة حقًا حين نتحدث عن الملايين، المليارات، التريليونات من الأشياء؟ ماذا يعني الواحد والعشرة والمئة؟ مجرد هامش إحصائي يمكن إغفاله حرفيًا دون أن تتأثر أي معادلة. دون أن تخطئ في أي منطق.

❁ **إحصائيًا**، أنت لا شيء في هذا الكون الفسيح. في هذا الكوكب الواسع، في تلك المدينة المزدحمة! بل في الحقيقة أنت رقم هامشي أيضًا حتى بالنسبة إلى مدرستك، منشأة عملك، أو شارعك المكتظ بالسكان.

يجعلك هذا تشعر بالجليد الروحي، والبلادة الحسية، وانطفاء الحماس للوجود! كل ما تريد قوله قاله أحدهم بشكل أفضل في لغة أخرى على حسابه

في تويتر ليلة أمس. كل فكرة ذكية خطرت في بالك يمكنك البحث عنها لتجد أنها قد طُبّقت بالفعل. كل تفصيلة تافهة بشأنك تضعها على منصات التواصل ليفاجئك الجميع أنهم يقومون بها! هل تمزحون؟! ألا يوجد شيء خاص بي في هذا العالم؟

جزء أصيل من حبك للإله وتعلقك به ينبع من كون الله هو الضمانة الوحيدة لتفردك! ذلك الإله الذي أحصانا وعدّنا عدًا، الذي سيكلمه كل واحد منا بشخصه ليس بيننا وبينه ترجمان، الذي يحدثنا أنه لن يضيع عمل عامل منا، ويخاطبنا بصيغة المفرد المحببة التي اشتقنا إليها في كل هذا العقل الجمعي المنصهر، فيقول: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨].



علاقتك الخاصة بالله هي ضمانتك الوحيدة للتحلي بالأناقة الروحية التي يحتاج إليها كل من يشتاق إلى أن يكون شيئًا خاصًا!



الرجل الذي لا يطير

لا يمكنك أن ترى شفرات مروحة السقف وهي تعمل، بدلًا من ذلك ترى قرصًا مستديرًا في مكان تحرك هذه الشفرات. هذا القرص غير موجود! في كل مرة تراه فيها فالشفرات تشغل حوالي ٤٠٪ من مساحته في حالة المروحة الثلاثية والباقي فراغ، سبب هذه الظاهرة أن شبكية عينيك لا يمكنها أن تدرك أي اختلافات تتم في الصورة في زمن أقل من عشرين جزءًا من الثانية، الاختلافات التي تتم في الصورة بشكل أسرع من ذلك لا ندركها، ومن ثم يرى مخنا صورة الشفرة في كل مكان في محيط القرص المستدير حتى بعدما لم تعد هناك.

لو لم تكن شبكية أعيننا تخضع لهذا القانون المحدد، لاستطعنا أن نرى الكثير من الأشياء، جزيئات الدخان وهي تنتشر ببطء في هواء الغرفة، أو أجنحة النحلة وهي ترفرف ٢٥٠ مرة في الثانية الواحدة، أو انبعاج سطح الماء بفعل التوتر السطحي وكأنه مطاط شديد الليونة لعدة أجزاء من الثانية قبل أن يخترقه جسد الغطّاس.

❁ **وبمناسبة شبكية العين**، فدعنا نتساءل، لماذا لا نرى الأشياء البعيدة بوضوح؟ الضوء المنعكس من حبة قمح في الحقل البعيد يصل إلى العين حاملًا معلوماته البصرية تمامًا كذلك المنعكس من هاتفك الذي تحدق فيه الآن، ولكن المشكلة أنك كي ترى شيئًا وتدرك أنه موجود أمامك تحتاج أن ترى حوافه

كنقطتين منفصلتين على الأقل أي تحتاج إلى تحفيز مخروطَي ضوء بينهما مخروط غير مُحفّز، هذا يعني أن يأتي شعاع الضوء بزاوية لا تقل عن (دقيقة) بوحدة قياس الزوايا. بدون ذلك تسقط حزمة الضوء الآتية من بعيد على مخروط واحد لا يكفي لإدراك حواف هذا الشيء.

قانون آخر للقدرة البشرية على الإبصار يتعلق برقم (مُحدّد) ومحسوب تمامًا ناتج عن طبيعة الأشياء التي خلقها الله لنا.

❁ **حرفيًا** يمكن بالتلاعب ببعض القيم الرياضية الخاصة بفسيولوجيا ومكونات العين، أن تنتج عينًا تستطيع أن ترى ذبابة تطير على بعد كيلومترات أمامك.

❁ **هل كان هذا ظلم من الله ألا يفعل لنا ذلك؟!** سؤال يستحق الاهتمام!

هاك سؤال آخر يستحق الاهتمام: هل يمكننا تخيل حاسة جديدة لا نعرفها كانت من الممكن أن يتم تثبيتها في أدمغتنا وتجعل الحياة رائعة بحيث يتمثل فقدها بحرمان يوازي -وقد يفوق- الحرمان من حاسة البصر، فقط نحن لا نعرف ذلك لأنه لم يجربها أحدنا بعد؟

❁ **هل يمكننا أن نواجه الله بهذا السؤال ونسأله عن عدله؟** الإجابة ستكون: بالطبع لا، وتفسير الإجابة سيكون: لأن هذا ليس من المفترض له أن يحدث!

نتقبل ألا نستطيع الطيران لأنه ليس من المفترض أن نطير، لكننا نجد صعوبة في تقبل أن نجد رجلًا أعرج، نقول: لماذا جعله الله يعرج؟ من المفترض له أن يتحرك بسهولة مثلنا.



❁ **لحظة**، ولكن جميعنا كنا سنتحرك بسهولة أكبر لو كنا جميعًا نطير! أوتعلم ماذا؟ لم يكن أحد منا سيتساءل عن موقع رحمة الله من عرجة الرجل لو كنا جميعًا نعرج!

لو لم يكن هناك ذلك القياس إلى حالة البقية، واعتماد ما هو طبيعي وما هو استثناء، لو كنا نتعامل مع (محددات) عامة تطال الجميع وليست (محددات) خاصة طالت هذا وذاك بالذات -لما نظر أحد إلى صاحب بلاء فوقع في قلبه أن الله قد ظلم!

❁ **في الحقيقة**، لا يشكل علينا أن الله يحرم أحدًا، ما يشكل علينا حقًا هو أنه أعطى ما حرم ذلك الرجل منه لآخرين!

كان يعلم الله ذلك منا حين أجابنا وذكّر وقرر وكرر: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣].



لا يوجد شيء من (المفترض) له أن يحدث. كل ما في حياتنا نعم، وكل النعم محض (تفضل)، يتفضل الله بها على من يشاء، دون من يشاء، وما زالت خزائنه ملأى، وما زال سيفيض غدًا على من تجاوزه اليوم، لأنه واسع لا يزال لديه الكثير، ولأنه عليم بما هو مفترض له أن يحدث!

خمسون مليونًا في الكهرمان

❁ هل فكرت من قبل فيما يخبروننا به عن أعمار الديناصورات أو الحفريات المحفوظة في الكهرمان في متاحف التاريخ الطبيعي؟

الكهرمان هو مادة صمغية متحجرة من إفراز الغابات الصنوبرية المنقرضة من قديم الزمان، أحيانًا تحبس هذه المادة الصمغية حشرة ما، حسنًا كيف يقدرون عمرها؟ أو كيف يقدرون أعمار الحفريات عمومًا؟

❁ هناك عدة طرق..

منها حساب عمر الصخور الذي توجد الحفريات فيها، وهناك عدة وسائل لذلك، مثل استخدام المغناطيسية Paleo-Magnetism حيث بعض المعادن في الصخور تحتفظ بداخلها بمجال وقوة مغناطيسية معينة يمكن مقارنتها بالمجال المغناطيسي للأرض لمعرفة عمرها.

أو طريقة التحلل الإشعاعي Radioactive Decay لبعض الذرات المشعة في هذه الصخور فيما يعرف بالساعات الذرية -وهي بالمناسبة نفس طريقة حساب عمر الأرض-. حيث إنه بحساب نصف عمر المواد المشعة ومقارنتها بنظائرها في الطبيعة يمكن معرفة منذ متى بدأت بالتحلل الإشعاعي. وهذه الطريقة تسمى بـ Radiometric Dating.

من الممكن أيضًا معرفة عمر الصخور الرسوبية التي وجدت فيها الحفريات بمقارنتها بطبقات الصخور فوقها وتحتها، ومقارنتها بطبقات الأرض الصخرية، وهذه الطريقة تسمى بـ Relative Dating.

من الممكن أيضًا معرفة عمر الحفرية بوجود حفرية أخرى معها معروف عنها أنها كانت تعيش في زمان معين فقط، على سبيل المثال: بالعديد من الأدلة وباستخدام مثل طرق القياس السابقة عرفنا أن الديناصورات انقرضت منذ ٦٥ مليون سنة، فوجود حشرة في كهرمان في نفس المجموعة الصخرية التي وجدت فيها حفرية عظمية للبنتاصورس يعني أن عمر هذه الحشرة مقارب لها، وهكذا. وهذه الطريقة تسمى بـ Biostratigraphy.

❁ **وبالنسبة للحفريات** في الكهرمان بالذات فهناك طريقة اسمها Exomethylene Signatures بتتبع تحلل جزيئات معينة موجودة في الكهرمان ومقارنتها بنفس الجزيئات موجودة في عينات أخرى معروف تاريخها.

❁ **وفي النهاية** لا يوجد ما يضمن بشكل نهائي العمر الدقيق لأي حشرة منها، ولكن الأرقام التقديرية تشير إلى الملايين!

❁ **فمن الحفريات المحفوظة** إلى يومنا حفرية عبارة عن جزء من وزغة طولها حوالي ٧ سم محفوظة في الكهرمان الذي يحافظ على الأنسجة الرخوة للكائن الحي. عمر هذه الوزغة -التي تظهر في صورتها عيناها وفمها وانثناءة ذراعيها حتى وكأنها ماتت بالأمس- على أقل التقديرات هو ٥٤٠٠٠٠٠٠ سنة!

الرقم الذي قرأته صحيح، ولم يكن ٥ آلاف سنة وقت الفراعنة، ولا كان ٥٠ ألف سنة -الذي يوازي حوالي ربع عمر الإنسان على الأرض حسب أقرب

التقديرات الأنثروبولوجية-، ولا كان مليون سنة -والذي يوازي أكبر رقم يمكن تخيله في عقول أطفال المرحلة الابتدائية لعدد من السنين وهم يتمنون لك عيد ميلاد سعيدًا-. بل ٥٤ مليون سنة!

❁ **وهناك حفريات أخرى شبيهة تشير التقديرات لعمرها بـ ٨٨ مليون سنة!**

الأرقام أعلى بكثير مما يمكن تخيله أو استيعابه، ليس أنك تعلم أن هناك من المخلوقات ما كان يعيش في هذا الزمن السحيق، ولكن أن ترى بعينيك هذا المخلوق نفسه بكل تفاصيل خلقته أمامك وتحاول أن تتخيل عدد السنين التي مرت منذ أن كان يعيش.

يأخذنا ذلك إلى ما هو أبعد، أقدم حياة معروفة على وجه الأرض يُقدر عمرها بـ ٣.٥ مليار سنة! من جديد نحن نتحدث عن رقم لا يمكن تخيله. عمر الأرض ٤.٥ مليار سنة، الصخور التي تراها في الجبال والمياه التي تراها في المحيطات كانت هنا منذ حوالي ٤ مليار سنة، لو ضغطنا هذه المدة من الآن وحتى لحظة تكون الأرض في ٢٤ ساعة، فالبشر ظهروا على هذا الكوكب في آخر دقيقة من اليوم كله. وتم اختراع الكتابة في آخر ٤ ثوانٍ فقط!

❁ **هل ما زلت ترى أن المصاعب مصاعب،** وأن الأفراح أفراح؟ هل يحتفظ العالم بنظرتنا المملة له حين نعلم كيف هو أكبر منا بكثير، وأقدم منا بما لا يقاس؟ هل ما زلت قادرًا على أن تشعر أن الدنيا تضيق عليك بخياراتها الواسعة لمجرد تجربة ذاتية مؤلمة، أو لحظة قاسية مرت بك حين كان عمر البشرية كلها في الكون مجرد لحظة؟ هل ما زلت قادرًا على الخلاف والشقاق والشجار بنفس

الحماس؟ هل ما زلت ترى أن إثبات أنك كنت على صواب في المحادثة التافهة التي جرت بالأمس في حفلة أحد الأصدقاء أمر على هذا القدر من الأهمية؟ أو أن الفتاة التي كسرت فؤادك تستحق أن تفني بقية عمرك في الرثاء لحالك من بعدها؟ هل ما زلت قادرًا على أن ترى الله بنفس النظرة السطحية الغبية إياها؟ ألا تتخيل عظمته أو تأخذك الجلالة لقدره وقِدَمه؟



هل ما زلت تتمحور حول ذاتك وتدور في فلك رغباتك بعد أن عرفت أنك -منطقيًا، بيولوجيًا، حسابيًا- أقل من أن تكون شيئًا مذكورًا؟

لطخة طين تعيش في مستنقع

❁ **حين يجهل الواحد منا نفسه فإنه يقوم بكل أنواع الحماقات الممكنة!**

ربما يأخذ طريقًا آخر مغايرًا لطريق الله ﷻ، ولكنه كان يجهل نفسه فنسي أنه سيفنى جزئيًا وكليًا، حرفيًا ومجازيًا. وستفنى معه كل آماله، نجاحاته، أمواله، حاشيته، وبريق الدنيا إذ لمع في انعكاس عينيه أمام مرآة الصباح البراقة تعده بالمزيد، بينما تعده إرادة الفناء أن تحصي عليه أيامه.

جعله هذا ينسى أن كل شيء يزول ولا يبقى إلا علم الله فينا. جعلته هذه الحماقة يراقب لذات الأيام وهي تتلاشى بين يديه مثل حبات رمال ناعمة حاول طفل أن يحتويها بين ذراعيه ناظرًا إلى بقية رمال الشاطئ في طمع متبوع بحسرة من علم أنه لن يأخذ منها شيئًا.

وربما يأخذ طريق الله ﷻ ولكنه كان يجهل أنه لم يصل بعد، ولن يصل أبدًا، فيبدأ في الظن بأنه قد صار تابعًا لفئة ما، فئة الصالحين ربما! حينها كيف يتسامح مع ضعفه وأخطائه التي لم تتوقف أبدًا يوم أخذ قرار الرغبة في الوصول؟ سوف يقع في اليأس حين يكتشف أن الملاك في مخيلته هو فقط في مخيلته. يقع في الإحباط حين يفطن إلى أن طريق الاهتداء الذي سلكه وجده مليئًا بأنواع جديدة من الضلالات! يقع في النفاق حين يجد أن أسلم حل لمعضلته هو في الانقسام إلى نسختين، نسخة ظاهرة للناس على ذات طريق الهداية لم

تتزحزح، ونسخة داخلية خاصة به قد استسلمت منذ زمن بعيد.

اختبر من نفسه أسوأ أنواع المشاعر! تلك التي نحرص على إخفائها جيدًا، تلك التي لن نسامح أنفسنا إن تسربت إلى الناس.

❁ **هناك** من يخبر الناس بكل مبائسه صادقًا، هذا رجل شريف، رجل نقي، من يقدر على أن يخرج كل أفكاره السوداء للعالم دونما وجل هو رجل أفكاره ليست بهذا السواد.

❁ **وهناك** من يخبر الناس بالحقيقة، ولكن ليست كل الحقيقة، يخبرهم بالتعيس المزعوم، بالسوء المُدّعى، وأحزانه الحقيقية يغلق عليها مئة باب سميك. هذا رجل ملوث، يعلم أن ما بداخله لون أسود حقيقي، مما لا يحب أن يراه الناس، مما لا يقدر أن يسامحه الناس عليه. هذا رجل مسكين، مثلنا جميعًا. يقرأ مرثيّات ذاته في كل ليلة، ويعلم دون جميع البشر، أن ذاته لا تستحق الرثاء.

حين جهل كل ذلك من نفسه نسي أن الله هو الذي أحب أن يخلق إنسانًا ضعيفًا أمام نفسه، وفوّت على نفسه تلك الفرصة الذهبية في أن يكون إنسانًا خجولًا، يقوم بالفظاعات طوال الوقت فيقوم متعثرًا ويكمل طريقه مترنحًا ويموت وهو على الاتجاه الصحيح.

وربما لا يبالي بتحديد طريقه أو اتجاهه، في الطريق إلى الله أو بالبعد عنه لن يهم، قال لنفسه إن الوقت قد حان لتلبية الرغبات، الأموال والطعام والحب والشهوة ولذة الأوقات المتعة مع الرفاقٍ. ولم ينتبه إلى دائرة الظلام الصغيرة الآخذة في الاتساع في صدره قليلًا قليلًا.



كلطخة طين تعيش في المستنقع، لا ترضى عن حماقات العالم ولا تجرؤ أن تتعالى عليه. كرجل يفكر طوال الوقت في موقعه من العالم، ويأنس بلحظات الحزن التي تجعله لا يبالي به. كبيت من أحجار الليجو قد بعثره أحدهم، يحتاج إلى الكثير من الجهد للملمة شتات نفسه. كوصلة كهرباء تم نزعها فجأة، فقد ذاهلًا شيئًا بداخله وصار يشعر بالغربة من كل شيء.

كان يتجاهل شبح الوحشة الحاضر هناك دائمًا، كان هشًا يأبى أن يكون كذلك! ولأنه كان يفعل كل ذلك لم يعلم أن هشاشته كانت تحتاج إلى رأفة، وأن الرؤوف لا يكسر عودًا ضعيفًا كان يبحث عن جابره.



حين يجهل الإنسان نفسه فإنه يقوم بكل الحماقات الممكنة. ولا يوجد أحمق من أن يجيب كل الإجابات الخاطئة في أهم اختبار عُقد في الوجود. اختبار كانت إجابته كلمة واحدة، ولأنه كان يجهل نفسه، ظن أنه لا يعرفها!





مدفأة الشتاء

❁ **يمكنك أن تفهم الكثير من الأشياء فجأة وتدرك الكثير من الأبعاد حين تفطن أنه ببساطة توجد صورتان من الحب الرومانسي!**

❁ **الصورة الأولى** يمكن تسميتها بالحب العذري. لماذا هو حب عذري؟ لأنه لم يُختَبر بعد!

هذا هو نوع الحب الذي نجده مترعرعًا كالزروع التلقائية في الجامعات والمدارس وكل التجمعات البشرية التي تجمع بين الجنسين. لا يحتاج صاحب هذا الحب أن يفهم ما يحدث كي يحدث له، إنه أشبه بعملية يصير فيها هو المفعول به طوال الوقت، ويعتمد الأمر على قدرته على المقاومة فحسب.

هذا هو نوع الحب الذي يمنعك من النوم -لا لأنك تفكر في حبيبك ولكن لأنك تشعر بالعطش!-، يمنعك من السعادة لأن كل لحظة تقربك من حبيبك تشعرك بالدفء الذي سوف تفتقده حتمًا ما إن يبتعد -وأنت تعلم أنه سوف يبتعد!

هذا هو نوع الحب الذي يحجز عيوب حبيبك عنك وكأنك لا ترى، ويجعلك في شرود متصل لأنه قد استحوذ على تفكيرك تمامًا، ويجعلك عاجزًا تمامًا عن أن تصيبه بأي مقدار من الضيق أو خيبة الأمل، وتأخذك الخيالات

طوال الوقت برغبتك المتوحشة للموت في سبيل نظرة رضا من حبيبك. حبيبك الذي لا تستطيع أن تمشي أمامه بشكل طبيعي أبدًا، تنسى دومًا كيف تحرك ذراعيك أو ما هو الموضع الطبيعي لقدمك على الأرض، ولو تفوهت بشيء سيكون حماقة غالبًا تخرج بنبرة مرتجفة من صوت متحشرج نسي كيف يكون الكلام.

هل هذا النوع من الحب جيد أم سيئ؟ هو ببساطة شيء مثير غير مكتمل! مجرد نار مشتعلة، تحمل كل صفات النار المشتعلة.. مشوقة! لامعة! جذابة! خطيرة! مؤلمة! لا يمكن التحكم بها أو بمساراتها، وقد لا يتم السيطرة عليها أبدًا.

أتدري ما أكثر ما يميز النار المشتعلة؟ أنها حتمًا سوف تنطفئ أو تخبو! قد يطول الوقت أو يقصر، ولكنها لم تخلق للأبد!

❁ **الصورة الثانية** من الحب يمكن تسميتها باسم كِليشيهي بامتياز ولكن لا يوجد خير منه تعبيرًا عنه للأسف، وهو الحب الناضج. هذا هو نوع الحب الذي تجده لدى أصحاب الزواج الناجح.

هذا هو نوع الحب الذي يجعلك تنام بسهولة، لأنك تشعر بالطمأنينة والسكن وعلمك أن حبيبك ينام بجانبك ولن يبتعد أبدًا. يمنحك شعور سعادة مطمئنة ولكنها خفية لا تعبر عن نفسها، يمكنك أن تدرك وجودها فقط حين تجرب غياب حبيبك عنك لفترات قصيرة، وكأنه مدفأة شتاء تنسى وجودها بجانبك بالاعتياد، فقط إلى اللحظة التي سوف تتحرك فيها عنها مبتعدًا لتشعر بالبرد.



هذا هو نوع الحب الذي يجعلك ترى عيوب حبيبك كاملة، فقط أنت لا تبالي بها! بالنسبة إليك هي أشبه بتضاريس ترسم ملامح وجهه، وتعرجات دقيقة تميزه عن غيره.

هذا هو نوع الحب الذي لا يمنحك شرودًا ولا سهادًا، وكأنه أمر كنت تحتاجه فلما نلته هدأت روحك القلقة. نوع الحب الذي لا يخجلك من أن تكون لئيمًا في المشاجرات لأنك تتشاجر مع ذاتك نفسها. نوع الحب الذي يجعلك على طبيعتك تمامًا أمام حبيبك، تشعر بالارتياح ربما أكثر من اللازم، وتجعلك في شعور دائم أنك قد انصهرت مع غيرك وصرتما شيئًا واحدًا.

❁ **من جديد، هل هذا النوع من الحب جيد أم سيئ؟** هو ببساطة الصورة النهائية للنار المشتعلة لو خبت ولم تنطفئ. إنه الدفء! بكل ما يمنحه لك الدفء من راحة! من لذة! من سكينة ناعسة! من اعتياد! من سأم حتى ربما! ولكنه آمن، نافع، دائم، يجعلك تستمر في ملاحقة بقية أهداف حياتك وقد وفيت بحاجتك دون قلق ولا تلفّت ولا عطش.

حين نكون في بيتنا الريفي مع عائلتي في الشتاء، يحرص أبي على إشعال حطب كثير خارج البيت بسرعة، يراقبه حتى يخبو بينما نقف أمامه منتظرين. ثم يصحب الجمرات الدافئة إلى داخل البيت لننعس بجانبها ببطء. حينها فقط تكون هي البداية الحقيقية لليلتنا السامرة.



سعر اللـذّة

❁ حين تشتري بقطعة من الورق النقدي وجبة طعام، من الذي يضمن لطرفي المقايضة أن أحدهما لا يخدع الآخر؟ ما معنى الجزم بأن الدجاجة تساوي ورقة الخمسين جنيهًا مثلًا؟!

الحل في وجهة نظر الاقتصاديين كان أن أشاروا لنا إلى وجود شيء يقبع داخل الدجاجة وسموه: القيمة.

ولكن ما القيمة فعلًا حتى نستطيع التعارف على المقدار المناسب منها في مقابل النقود؟

الاقتصاديون الكلاسيكيون يتحدثون عن الزمن الذي تم صنع السلعة فيه، أي إنك تدفع الخمسين جنيهًا في مقابل الزمن الذي تم فيه إنتاج الدجاجة. بينما علم الاقتصاد الحديث يتحدث عن مقياس آخر للقيمة.. اللذة الإنسانية!

شرح (ويليام ديفز) في كتابه فائق المتعة (صناعة السعادة) أن ذهنية المستهلكين هي في الواقع العامل الحاسم في تحديد سعر الأشياء. وكانت الثورة الحقيقية في علم الاقتصاد هي تلك التي قادها (ولیام جيفونز) مع (ليون والراس) و(كارل مينغر) في وضع نظرية تربط بين القيمة والمنفعة. وعليها قامت أسس الاقتصاد الحديث كما نعرفه اليوم.



باختصار طرحوا تصورًا للقيمة من وجهة نظر الشخص الذي ينفق النقود لا منتج السلع.

❁ **لفهم ذلك أكثر دعنا نتحدث عن ألاسكا!**

في ١٩٨٩ حدث أكبر تسرب نفطي في تاريخ الولايات المتحدة لما اصطدمت ناقلة ضخمة كانت تحمل ٥٥ مليون غالون من الوقود بشاطئ ألاسكا نتيجة لإهمال أصحاب شركة النفط. سببت تلوثًا عارمًا وتأذت معظم الثروة السمكية والحيوانية المجاورة.

ثار سؤال حينها.. كيف يمكن تغريم الشركة بما يعوض الشعب الأمريكي عن الكارثة البيئية؟

كان الحل غريبًا حيث أُجري استفتاء موسع في ولاية ألاسكا لسؤال الناس: في رأيك ما مقدار المال الذي قد تدفعه أسرة في المتوسط لمنع مثل هذه الكارثة من الحدوث لو كان يقدر على ذلك؟! وكان متوسط الجواب هو ٣١ دولارًا، وبالضرب في ٩١ مليون أسرة قدرت التعويضات التي يجب أن تدفعها الشركة المهملة بـ ٢.٨ مليار دولار.

طُلب من الناس أن يفكروا بعقلهم ليبحثوا عن رقم يرون أنه مساوٍ لشعور نقص السعادة الذي نالهم جراء الكارثة البيئية!

❁ **المفاجأة** أن علم الاقتصاد السياسي يقوم بذلك طوال الوقت! ويتم استخدام (دراسات الاستعداد للدفع) في تقدير السعر المحتمل الذي تستحقه حماية المعالم الجميلة، أو إتاحة الموارد الثقافية، أو زيادة سلامة النقل.

لو أرادوا تقييم السعر الواجب دفعه من ميزانية الدولة لإنشاء الحدائق العامة مثلًا يدرسون زيادة السعر الذي يستعد الناس لدفعه مقابل منزل في حي يحتوي على حديقة جميلة، ليصلوا في النهاية إلى رقم محدود، هو رقم قيمة الجمال نفسه عند البشر! واستعانت الحكومة البريطانية بتقنية مماثلة لتحديد القيمة النقدية للمكتبات والمعارض الفنية بالكشف عن مقدار السعادة الذي تصنعه تلك الأماكن، أي تحديد سعر الثقافة العامة! وكتبت (ريتا ساميولو) ورقة بحثية في ٢٠١٢ تستكشف فيها كيف كان تحليل الكلفة والفائدة يستعمل في حساب قيمة دفاعات مدينة البندقية ضد الفيضانات!

❁ **سيبقى الإنسان**، بقراراته التي يتخذها تجاه الأشياء، ومقدار اللذة التي يشعر بها تجاه هذا وذاك، هو المقياس الوحيد للسعر، للقيمة، للمال.. هو الميزان الذي يزن كل المقاييس من حولنا.

❁ **المصلحون في كل زمان ومكان كانوا يقولون لنا**: المال لا يساوي السعادة، لا تلتفتوا للمادة، أنتم من يصنع الفارق، أنتم من تجعلون للمادة قيمة! فكنا ننظر لهم بازدراء ونعتبرها مثالية حمقاء. بينما كان الاقتصاديون يسترقون السمع لذلك، يفهمونه، ويستخدمونه بعد ذلك في بناء العصر الحديث.



المال شيء صنعناه نحن لنتبادل قيمة الأشياء، بينما نحن من نصنع القيمة للأشياء! سعادتكم هي التي صنعت للمال معنى وليس العكس!



جرام مخ عشريني

❁ يخبرنا البيولوجيون أننا نفقد جرامًا من أمخاخنا في كل سنة بدءًا من سن العشرين، رباه! لقد قاربت أن أنهي عشرينياتي، كم جرامًا فقدت حين كنت أظن أني بعد ما زلت منتظرًا أن أعيش الحياة؟

شعرت بالرعب حين وجدت أني أراقب الشباب المتقافز على سلم محطة المترو بجانبي بينما أنا على السلم الكهربائي، شعرت بالرعب أني كنت أفكر وقتها: ماذا يفعل هؤلاء الحمقى؟ وفر طاقتك يا صاحبي، ما زال اليوم طويلًا والعمل متعبًا، وبعد العمل عمل، ومن بعدهما الكثير من المسؤوليات، لماذا تهدر طاقتك؟ ألا تشعر بالإرهاق مثلي... طوال الوقت؟

شعرت بالرعب حين أدركت أني رجل عجوز لم يبلغ الثلاثين بعد! ينقطع نفسي من حركات يسيرة وتئن عضلاتي من جلستي على كرسي العمل للكشف من خلال منظار ميكروسكوبي، أقل عدد ممكن من العضلات أستخدمه، ومع ذلك أتعب.. أتعب سريعًا.

لا يقتصر الأمر على التعب، صرت أغضب سريعًا أيضًا، أمل سريعًا، أتضايق سريعًا. لم أعد أحتمل الدعابات السمجة، الأسئلة الكثيرة، الثرثرة الفارغة، المزاح الثقيل، المعلومات الاعتباطية، التلميحات البعيدة بشيء لربما لا أحبه كثيرًا. لم أعد أحتمل البشر! في ذهني حتى أطلقت عليهم كلمة بشر! لا

أظن أن هذه علامة جيدة أن يصبح الآخرون بشرًا! لم أعد أحتمل نفسي كذلك!

❁ **رباه! أشعر بالصعوبة**، الحياة تزداد صعوبة، الأحلام تتعقد، كنت يا رب أحلم بالزواج وتكوين أسرة طيبة، لم تكن لدي فكرة أني سأنجب طفلة وأبدأ في التوتر: هل سأستطيع تزويجها وإغناءها بعد عشرين سنة من الآن كما فعل معي والداي؟

❁ **كنت أحلم بعمل كريم**، لم أكن أفهم أنه لا يوجد عمل كريم! كل الأعمال تأخذ منك شيئًا، لا يمكنك أن تحصل على مال وفراغ وصحة، على ما يبدو تختار واحدًا منها فقط! أحتاج إلى الثلاثة. كنت أظن وأنا طفل أني سأتمتع بالثلاثة.

❁ **أحلامي تتقلص**، أم لعلها تتراجع، لا أعلم، ولكني أعلم أن أجمل لحظات يومي تكون في الخلود إلى النوم في ساعات الصباح الأولى، حينها أفكر: شيء ما ليس على ما يرام. ليس من المفترض أن يكون أجمل ما في اليوم أنه ينتهي!

❁ **رباه!** أشعر بالقلق. ماذا أنتظر؟ الحياة لن تتوقف عن لكمي في وجهي في كل يوم بلا كلل، وأنا بعد لم أُصَب بالمصائب الكبرى التي أنتظرها في وجل! لم أفتقر أو أمرض أو أفقد أحد والديّ أو أفجع في عزيز عندي أو أغترب. كل ما أصبتُ به مجرد خدوش! ولم أعد أحتمل الخدوش!

❁ **كل شيء سينتهي**، وكل النهايات تفضي إلى الموت. أفكر في الموت فأشعر بالهلع، كنت أظن أن الفناء سيكتفي بدنياي التي لا تهم، فماذا عن إيماني المُرقّع، وذنبي المُرتّع، ووصالي المُقطّع؟ ماذا حين أفطن أني في نقصان مستمر؟ فطرة تتغير ونقاء يتلوث وقلب يصير في كل يوم إلى نسخة أسوأ من ذاته.

❁ **ماذا أنتظر؟ نهاية يوم جديد؟ شهر جديد؟ عقد جديد من عمري؟**

وكأن الله حين حكم على النار أن ترسل حرّها ولا يعود، حين حكم على الطاقة أن تنتقل من الأعلى إلى الأدنى ثم لا تلتفت، حين حكم على الحياة بالإنتروبيا، جعلنا جزءًا منها، جزءًا من كل شيء يرحل، من كل شيء ينقص، من كل شيء يخسر مع كل زمن جديد!



رباه! ما أجمل سورة العصر، حين أقسمتَ لنا بمرور الزمان أننا في خسر!

ثم استثنيتَ!

يا رب اجعلنا فيمن استثنيت.



يانصيب الكلب المرحوم

❁ هناك ثلاثة مستويات لمدى عمق اتضاح رحمة الله من خلال حديث المرأة التي غفر الله لها لما سقت الكلب، ذلك الحديث الذي يحفظه الجميع.

❁ **المستوى الأول** أن هذه المرأة كانت تقوم بواحدة من أسوأ الأشياء التي يستقبحها البشر، ولكن استقباحهم لهذه المهنة لا يقرب -مجرد قرب- من بغض الله لها.

تخيلي أن الله الذي أمركِ بالحجاب وأمركَ بغض البصر وأمر كلًا منكما بأن يحذر من ترقيق صوته ونحنحاته أمام الآخر -كل هذا مخافة أن يقترب أحدكما خطوة واحدة نحو مجرد احتمالية الوقوع في الزنا!-، ثم تخيل أن هذا الخطر الأكبر، تلك الفاحشة التي وضع الله حولها كل هذه الأسوجة والمساحات الشاسعة، لا تقوم بها هذه المرأة فحسب، بل تمتهنها، تعتاد عليها حتى تصبح لديها ليست مجرد إلف، ولكن طريقة للحياة.

أي حياء ذلك الذي ذهب من خلقها؟ والله يحب الحياء! أي انتفاء لمراقبة الله حدث في قلبها؟ والله يحب من عبده أن يخافه! أي طمع ذلك الذي وقع للشيطان أني قد ظفرت بهذه؟ والله يمس بالعذاب من كان للشيطان وليًا!



وبرغم ذلك كان عملًا صغيرًا جدًا ذلك الذي تطلبه الأمر كي تصل إليها رحمة الله! يذكرنا ذلك بأولئك الملائكة الذين أرسلهم الله لإخراج هؤلاء الذين كان في قلوبهم فقط مثقال حبة خردل من إيمان من النار! يذكرنا ذلك بالذين يخرجهم الله من النار بشفاعة الرحمن من أناس لم يعملوا خيرًا قط!

إنه وكأن رحمة الله تحاول أن تتشبث بظهورنا رغمًا عنا! تتلكأ لنا حتى ولو لم نكن نستحقها فعلًا. تخفض معاييرها الخاصة لتلائم ليس قدرها الحقيقي ولكن ضعفنا نحن! وكأنها هي التي تريد أن تدركنا ولسنا نحن من نريد أن تلحقنا.

وكأن الله يفسر لنا بهذه القصة قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]!

❁ **المستوى الثاني** هو أن ذلك الكلب، كريه الرائحة، نَجِس اللعاب، لاهث النباح، لم يكن فقط مستهدفًا برحمة الله، لم يكن فقط غير معيب في خلقه، لم يكن فقط غير مطرود من جمال الخالق أن يناله.

بل جعله الله هدفًا عالميًا من جميع خلق الله المختارين أصحاب الإرادة أن يرحموه فيرحمهم الله! جعل الله من ذلك الكلب البائس في كل بقعة متربة من الأرض قبلة لكل الباحثين عن الأمل بدخول ملكوت السماء! جعل الله على مجرد سقيا الماء له حين شعر بالعطش جائزة اليانصيب الكبرى التي يتمنى كل واحد منا أن يظفر بها ثم يموت.. أن يغفر الله له!

أي رحمة تلك التي تفيض من جلال الله حتى تجعل هالة الحماية تحيط بذلك الكلب؟ وما هو مقدار رحمته ببقية خلقه؟ وما ذلك القدر الذي قد

يصيبك منها أنت أيها الإنسان المكرم عنده عن بقية المخلوقات حين ترفع طرفًا مؤمّلًا إلى السماء ثم تخفضه بخجل إلى الطين، وتقول رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين؟!

❁ **المستوى الثالث** هو أعمقها جميعًا، أن تدرك أن الله غفر لهذه المرأة على هذا الفعل بالذات لأنها كانت تحاول أن تتشبه بصفة من صفاته يحب لنا أن نقلدها. حين وقع في قلبها جزء من مليارات الأجزاء من جزء الرحمة الواحد الذي تركه الله لنا في الدنيا نتراحم بها وترك تسعة وتسعين جزءًا يرحمنا بها يوم القيامة. أن سبب غفران الله الحقيقي لها أنه حدث في روعها شيء لا يفوّته الله لأحد بهذه السهولة، حين نظر إلى قلبها فوجد فيه صفته الحبيبة.

إلى أي مدى تظن الله يحب أن يقوم بهذا الفعل إذن؟ إلى أي مدى يمكنك أن تتخيل فرحه حين يعامل أحدًا بهذه الصفة عنده؟ إلى أي مدى سوف تشملك الرحمة التي يحتفي الله بكل من تبدو عليه آثار تمسحه بها؟

غفر أرحم الراحمين لامرأة بغيّ بكلب سقته، لأنه كان يريد أن يغفر لها، لأنه كان رؤوفًا بهذا الكلب، لأنه أحب رحمتها حين سقته!





الــداخـــل

❁ مـاذا ستفعل لـو تم وضعك في غرفـة لمدة ربع سـاعة لا يوجد بها إنترنت ولا تليفزيون ولا هاتف ولا شيء تقرؤه ولا شخص تتحدث معه ولا حتى طريق سفر تتسلى بمراقبتـه، لا يوجد بها إلا أفكارك الخاصة و.. وزر صغير يمكنك أن تضغط عليه لتصيب نفسك بصاعقة كهربائية مؤلمة خفيفة؟! هل تفضل أن تصعق نفسك حرفيًا بالكهرباء لأنك لا تقدر على تحمل الملل مع أفكارك الخاصة لبضع دقائق؟!

في **تجربة أمريكية** تمت بالفعل اختار ٢٥٪ من النساء و٦٧٪ من الرجال الزر الكهربائي! وهذا يعني أمرين، أولًا: نفهم السبب الذي من أجله تعيش النساء في الغالب أطول من الرجال، وثانيًا: أن البشر سوف يقومون بأي شيء حقًا يحميهم من الانسحاب إلى الداخل.

كم يكلفنا الهروب الدائم من الملل؟ الكثير جدًا في الحقيقة! الملل المتولد من القيام بأنشطة تستهلك جزءًا بسيطًا من الدماغ هو ما يجعل عقولنا تتجول هنا وهناك لتبدع وتفكر بحلول غير مألوفة وتخطط للمستقبل بل وحتى -وحسب بعض الدراسات- يجعلنا ذلك نفكر في الآخرين ونبالي بالشروع في الأعمال الخيرية أكثر، وكتب (مارك هوكينز) كتابًا سماه: (قوة الملل: لماذا الملل ضروري لصنع معنى للحياة)!

وبرغم ذلك فإن العقل البشري سوف يتفنن في ابتكار كل ما يمنعه من ذلك! في دراسة أمريكية أخرى أبلغ ١٧٪ فقط أنهم قاموا بالاسترخاء والتفكير قليلًا خلال أسبوع سابق في مقابل النسبة الغالبة ممن منعوا أنفسهم تمامًا عن هذا بأنشطتهم (الممتعة). السوشيال ميديا والهواتف الذكية وألعاب الكمبيوتر وعروض الشاشة وقصص الخيال سوف تروج إلى قيام الساعة أو إلى ابتكار وسائل أفضل وأنجح لإشغال إنسان قد يضحي بأي شيء في سبيل الهرب من ذلك (الداخل)!

لماذا؟ ماذا يوجد في الداخل؟ يوجد الكثير من عدم الراحة والإرهاق النفسي والإحباط حين تتلاقى مع كل ذلك الخلل في ذاتك والذي كنت تدفعه بعيدًا عنك لسنين طوال، كل ذلك التصحيح المساري الذي تجاهلت حاجتك إليه طوال حياتك، كل رسائل الـ Errors التي تظهر لك على شاشة الـ Monitor حين واتتك الشجاعة أخيرًا وقمت بتوصيل معالج قيمك الداخلية بوضعك الحالي الذي أنت عليه.

الكثير من الألم يحدث حين تنسحب إلى الداخل، لذلك لا تبقى هناك كثيرًا، سرعان ما ستجذب يدك إلى هاتفك، وتتجول بعينك في المارة في الشارع، وتشغل أذنك بالحديث قليلًا مع بشري آخر، ربما حتى لو لم تجد أي شيء لمددت يدك إلى زر صغير يصيبك بصاعقة كهربائية مؤلمة تفصل عنك ذلك الاتصال الأكثر ألمًا والذي حدث رغمًا عنك مع آخر إنسان تريد أن تتصل به.. أنت!

كان النبي ﷺ يخبرنا أن الله لما خلق آدم، صار إبليس يطوف من حوله، بنظرة احتقار وغضب وإعجاب وحسد وانبهار بذلك المخلوق الجديد، ولكنه ما



إن رآه «أجوف» حتى علم أنه «خُلِق خلقًا لا يتمالك»!.

الإنسان الأجوف لا يتمالك. لأنه في داخله جوف، في داخله فراغ مؤلم، فراغ ليس بخالٍ ولكنه مليء بالنقص والعَوَز والحاجة!

نحن هنا أمام مفارقة جديدة من تلك المفارقات المحببة للنفس المؤمنة حين تجد الكمال الذي شعرت بوجوده في الدنيا فقط من شعورها بالحاجة إليه.. تجده في الله فقط. فنحن أزواج والله واحد، ونحن فقراء والله غني، ونحن جُوف والله صمد!

❁ **الصمد في كلام العرب** هو ما ليس له جوف لأنه يسد حاجة كل ذي جوف! هو الذي ليس فوقه أحد لأنه فوق كل شيء آخر. هو الذي انتهى سؤدده في شأنه لأنه هو الذي يصمد إليه كل شيء آخر.

الإنسان بداخله جوع إلى الصمد، بوجدانه إشارة إليه، بجوفه دليل على اكتمال وجوده ووجود كماله.



وهو يبحث عن صمده في كل حين ولكنه قليلًا ما يعلم من نفسه ذلك!



❁ **تشريحيًا** لا يمكنك التفرقة بسهولة بين الوعاء الجسدي لامرأة عجوز وآخر لشابة. لا يمكنك أن تفرق كذلك في عضلات وأربطة الوجه بين أجمل وأقبح فتاتين سارتا على الأرض. جميع درجات البشرة وجميع ألوان العينين، لا تختلف في الحقيقة بعضها عن بعض سوى في بعض الخلايا الصبغية، مجرد نسب مختلفة من الصبغات السوداء لا تساوي شيئًا حرفيًا مقابل معجزات التكوين الأخرى فيها والتي تتساوى فيها جميع النساء.

يخبرنا التطوريون أننا نحب الصفات الثانوية الممتازة التي تظهر على الطرف الآخر فقط لأنها الوسيلة التي تهمس لنا بها الطبيعة بأفضل الفرص للإنجاب! المرأة الرشيقة تجذبك لأن صحتها جيدة، من المرجح أنها سوف تتحمل صعوبات الحمل والرضاعة، الفتاة الصغيرة تمتلك فرصة لعمر إنجابي أطول بالمقارنة بالمرأة الخمسينية، والشاب عريض الصدر قوي البدن سوف يحمي نسلكِ وقادر على الكسب فيطعم أطفالكِ جيدًا.

لا يوجد سبب يجعلك تقرأ كتابًا كاملًا لإدوارد ويسلون ليشرح لك سبب هذا، فمن الواضح كما يقول بيرلنسكي أن الرجال يحبون الشقراوات الفاتنات لأنهن فاتنات! المرأة كذلك تحب الرجل القوي لأنه قوي، أراهن أنها لا تفكر في أن قوته ستعطي فرصة أقوى لأبنائها في النفقة والطعام، وبنفس الطريقة التي



تجعلنا نراهن أن الشاب الذي يتبع فتاة التسعة عشر ربيعًا ببصره لا يفكر وهو يفعل ذلك: انظر إلى هذه الفتاة الرشيقة، سوف تكون وعاء حمل مثاليًّا لأطفالي!

لا نفكر في ذلك بالتأكيد ولا يوجد سبب علمي كافٍ يجعلنا نفترض أننا توارثنا ذلك من زمن استراتيجيات التجاوب مع البيئة في العصر الحجري القديم كما يحب أن (يلعب) مغرمو علم النفس التطوري!

❁ **لكن ما سر هذه القوة التي تحركنا إذن؟** ذلك الدافع الذي يشغل مساحة من تفكيرنا هي أكبر كثيرًا مما يفترض أن يكون، تدفعك هذه المساحة إلى مسابقة الحياة كي تحصل على بضعة آلاف من الجنيهات لتدخل إلى بيت أقرب فتاة من هؤلاء لتطلب (القرب)، تدفعك إلى الغرام والسهام وربما الحرام، هل تتخيل أن كل هذا بسبب أنك وبدون أن تشعر تبحث عن أفضل فرصة للإنجاب! العجيب أنك ربما لا تريد الإنجاب أصلًا! ولكن كل الهرمونات الذكورية التي تحركك، وكل الميكانيزمات الدورية التي تسري في جسدكِ كل شهر تقول عكس ذلك.

يشبه الأمر كما لو أن الطفل الذي سننجبه في النهاية كان موجودًا في أجسادنا منذ لحظة البلوغ وفعل كل شيء يمكن أن يفعله كي يجرنا جرًا إلى لحظة إنجابه. في الواقع الأمر يشبه ذلك جدًا، وبشكل مريب! إنها تلك الوسيلة التي اختارها الله وضُمِن بها -وبشكل حاسم- للجنس البشري أن يستمر!

❁ **وبذكر صاحب العزة والجلالة، الله**، يمكننا أن نسأل، ماذا كانت أوامر الله فيما يخص هذه الدافعية الذاتية العجيبة تجاه الجنس الآخر؟



مبالغة شديدة! أنت لا تنظر لها، وأنتِ احتجبي ولا تسمحي له بأن ينظر إليكِ، ولا تجتمعا وحدكما في مكان مغلق، ولا تحادثها إلا من وراء حجاب، ولا تشتم حتى عطرها!

مبالغة ولكن بمعناها الحميد، مجاوزة الحد المعتاد إلى حد غير معتاد، حدود عريضة كبيرة تفصل بين نطاقين، نطاق الأسرة الدافئ المليء بالرعاية والحنان، ونطاق العلاقات العابرة والشهوات المنتهية والذرية الضائعة بين أبوين بعيدين لا يطيق أحدهما رعاية ثمرة حبهما الذي لم يكتمل!

❁ هل الله لم يرد للإنسان البشري أن يضمن وجوده وتفرده فحسب، ولكن أراد له أن يضمن أيضًا فرصة رعايته الكاملة في سنوات ضعفه الأولى؟!



حين أراقب ابنتي تلعب سعيدة وتتنقل بيني وبين أمها لا أكف عن سؤال نفسي، ترى هل لديك أي فكرة عما فعله الله فينا من أجلك أنت أيتها الصغيرة السعيدة؟!

حقًا ما الذي قد غرّ الإنسان بربه الكريم؟!





❁ **رموز تاريخية وأعمال فنية** تختبئ بداخلها أسرار دفينة ومطاردات مع منظمات واسعة السلطة وألغاز ومؤامرات، إنه ذلك الخليط الذي كتب به (دان براون) سبع روايات كاملة، نفس الخلطة الجميلة السحرية -والتي باتت مملة بطبيعة الحال- لم يغيرها في شيء.

جريمة تتم في مكان مغلق يحوي مجموعة من المتهمين ويقوم المحقق الذكي، غالبًا هو (هيركيول بوارو) بفك ألغاز الجريمة والإشارة إلى الجاني منهم، ذلك المزيج الجميل غير المتجدد صنعت منه (أجاثا كريستي) أربعًا وثلاثين رواية وخمسين قصة قصيرة شكلت أشهر أعمالها.

مجموعة من الشخصيات المعقدة نفسيًا أحدهم غالبًا مصاب بالصرع في صراع يدور بين المال والفضائل وأحاسيس الحب المرهفة، طابع مُوحّد لا يمكن أن تخطئه في روايات (دستويفسكي) الأربع عشرة.

رائحة الحركة والتشويق ومؤامرات البلاط الملكي ومبارزات السيوف والانتقام لا يمكن ألا تلحظها في الإنتاج الغزير الذي تركه لنا (ألكسندر دوماس).

الكآبة السوداء والتشاؤم والإحباط مع رائحة حصار ما لا يمكن أن تنفصل عن روايات (كافكا)، والعوالم الجديدة المليئة بالمخلوقات الغريبة في صراع فولكلوري رمزي بين الخير والشر الخالصين سمة تميز جميع إنتاج (تولكين)، والجو الأنلجوسكسوني المنمّق لا يمكن أن ينفصل عن كتابات (ديكنز).

شاعت عند شعراء العرب أيضًا مثل هذه الظاهرة، فإذا أردت أن تتمتع بشعر الخنساء فاقرأ لها في الرثاء، وأما المدح فلزهير، وامرؤ القيس اقرأ له وصفه، وللفرزدق الهجاء، وفي شعر الفخر لن تجد مثل عمرو بن كلثوم.

❁ **كل أديب له جانب يبرع فيه ويميزه** -وفي الغالب لا ينتج جيدًا في غيره-، كل أديب له مملكته الخاصة التي يصول فيها ويجول، ولربما يصاب بضمور الحركة في مملكة غيره. إنه عالمه الثري الذي يقبع أسفل جمجمته وبين ضلوع صدره يدخلك إياه بقلمه، عالم مميز تمامًا كمثل تميز ملامح وجهه أو بصمات أصابعه أو نبرة صوته.

❁ **جوانب إعجاز القرآن** وأدلة صدق مصدره الإلهي كثيرة ومتنوعة، لا يمكن اختزالها في كتاب أو اثنين، فضلًا عن مقالات قصيرة هنا أو هناك.

على أن منها -ولا شك- ذلك المذاق الأدبي الذي يلوكه من يتنقل بين الحنان والرقة المتبدية في سورة مريم وبين القوة والجبروت الطاغي في سورة محمد، بين تفاصيل الأحكام الدقيقة في سورة النساء وبين الإجمال الفخم في سورة الأنعام، بين التسلسل البديع لقصة الوجود في سورة الأعراف وبين السرد الإبداعي المتبعثر



في سورة المائدة، بين أناقة تسلسل واكتمال قصة يوسف وبين التشويق والإثارة في تقطيع قصة موسى، بين روعة قِصر الاختصار في سورة العصر وحلاوة إفاضة الإطناب في سورة البقرة، بين مذاق السور المكية المميز لعقيدة جديدة تحتاج أن ترسخ ومذاق السور المدنية المميز لعقيدة راسخة أتت بثمارها.



هذه عوالم ثرية مختلفة للغاية، هذه عوالم معقدة متباينة بشدة، تنوع يوحي لنا بأن كاتب هذا القرآن ليس بشاعر متميز أو روائي ناجح أو أديب عبقري، إنه مجرد أداة، مجرد وعاء، مجرد موضع تم اختياره لوحي من الله، كان كما يكون الله، فيه كل شيء، قادر على كل شيء، مصدر كل شيء، وحين يتميز بجمال، يتميز بكل أنواع الجمال.



❁ جثة العجوز كانت تحدق في وجهي لخمس دقائق وأنا مستند بالخطأ دون أن أدرك على قدمها منتظرًا انتهاء إجراءات تقرير الوفاة قبل أن يأخذها أهلها خارج الطوارئ ليدفنوها، حين أدركت أني كنت مستندًا بيدي العارية على قدمها العارية وأحدق شاردًا في عينيها المفتوحتين سألت نفسي، ترى كم من الناس يعتبرون ما أنا فيه موقفًا مرعبًا أو حدثًا جللًا في يومهم، أن يلامس ميتًا أو يصاحب نظراته الخاوية؟ نفس الموقف الذي لا يعني لي أي شيء، يمكنني حرفيًا أن أتناول غدائي بشهية طبيعية بجانب العجوز لولا احترامي لحرمة الأموات وحزن ذويهم.

لا يوجد ما يستدعي الفخر في ذلك، لا يوجد ما يستدعي الخجل كذلك، حين ترى الكثير من الموت تستطيع بسهولة أن تتصالح مع حقيقته. حين تعاين الكثير من الأجساد المفرّغة حديثًا من الحياة تفطن إلى معنى الجسد الإنساني.

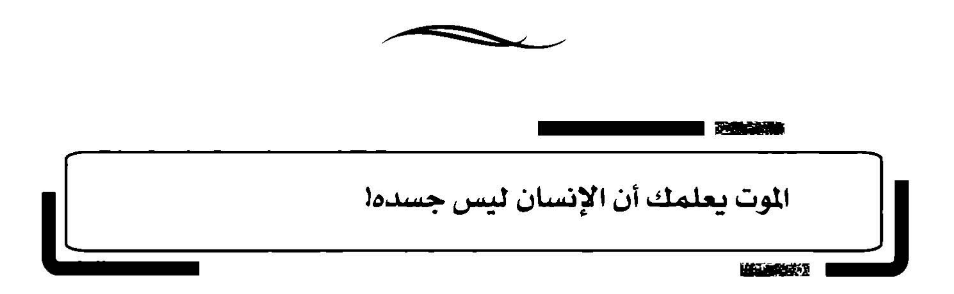
كان أول انطباعي عن الجثث أنها آنية فارغة، مجموعة من صور النيجاتيف للصورة الأصلية المفقودة، مجرد قوالب صلصالية تعكس شيئًا لم يعد موجودًا، دمية ماريونيت كانت تعج بالنشاط على خشبة المسرح وهي الآن مكومة في أحد الأركان بعد أن رحل محركها.



❁ **الموت يعلمك** أن الجسد الإنساني هو مجرد مجموعة من الأشياء، بعض اللحم، وقطعة كبد، والكثير من الدهون ومجموعة غضاريف.

❁ **الموت يعلمك** أن الجسد الإنساني في الحقيقة مجموعة من بضائع البقالة، غير مخيفة، غير ملهمة، غير جميلة. فقط حين يغادره الإنسان!

❁ **الموت يعلمك** أن الإنسان يحمل بداخله شيئًا يفيض على قسمات وجهه، على عضلات جسده، على عبرات عينيه، فتجعله يبدو بكل هذه الـ (حياة).



الموت يعلمك أن الإنسان ليس جسده!



قطـــار ٩٧٧

في **المحطة** وأثناء انتظاري لقطار ٩٧٧ رأيتُ إعلانًا على الشاشة لجهة خيرية ما مليئًا بأطفال رائعين من ذوي البشرة البيضاء والعيون الملونة والطلة البهيّة، فقط كانت هناك مشكلة واحدة، وهي أين ذهب -احم- أطفال مصر الاعتياديون أصحاب الجمال المتوسط المألوف، بالطبع تم انتقاؤهم بعناية وطردهم من (لوكيشن الإنترڤيو) مع بسمة صفراء لأهاليهم تقول: ابنك للأسف لا يمتلك الموهبة التمثيلية الكافية، وسيعود الطفل إلى بيته من دون أن يفهم أن ترجمة الجملة السابقة أنه ببساطة ليس جميلًا كفاية.

❁ على الطفل أن يكبر ويسير في الشوارع قليلًا حتى يفهم ما يجري، عليه أن يلاحظ أن لافتات طبيب الأسنان سوف تعرض دائمًا صور الفتيات رائعات الجمال برغم أن الفتيات الأخريات يملكن أسنانًا بيضاء كذلك. سوف يلاحظ أن شركات الأزياء لن تصمم أبدًا فستانًا لفتاة بدينة، رغم أنها سوف تراعي كل المقاسات والأحجام حين تبيعه بالفعل على أرض الواقع. سوف يلاحظ -كما لاحظ الكثيرون من قبله- أن رسوم ديزني المتحركة تخبرنا برسالة بسيطة، أنه يمكنك دومًا أن تنال الحب، ما عداك بالطبع يا أحدب نوتردام، فأنت لستَ وسيمًا.

سوف تدّعي الحضارة البشرية الحديثة أنها قد توصلت بالفعل إلى قيمة الإنسان، ولكنها سوف تقوم بـ (تشييئه) دائمًا من دون خجل، وسوف نحرص



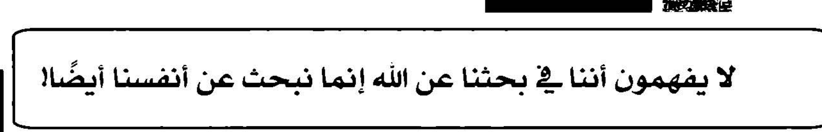
على أن نتغنى بقيمة المرأة المساوية للرجال ونسب الأديان بحماس وفي آخر اليوم سوف نحولها إلى سلعة مطبوعة على أغلفة مجلات الرجال المفضلة.

❁ **في عالم يحكمه المادة**، سوف نتحول إلى مادة، والمادة يسهل أن تصنفها حسب جودتها! حين نتحول إلى مجموعة من الأشياء سوف تلاحظ أن بعض الأشياء أجمل من بعض، أذكى من بعض، أكثر أناقة من بعض، لن تصبح الأشياء متساوية أبدًا، من نخدع؟

❁ **ولكن الحقيقة** التي لا تعترف بها إلا الأديان، أننا لسنا بأشياء، نحن لسنا مادة، وهذا هو المبدأ الوحيد الذي نستمد به قيمتنا، هو الضمانة الوحيدة التي تسمح لنا بأن نسب العنصرية بصدق.

نستمد قيمتنا المتساوية كبشر من ذلك المصدر المتعالي عن تصنيفات الجماد، ذلك المصدر الذي لطالما نتغنى بحسنه فلا يفهمنا المتشيّئون، يظنوننا في نوع آخر من العبادات الكَلتية الخائفة من مظاهر الطبيعة، أو السارحة في ظلمات الطواطم والتابوهات والقرابين والطقوس.

❁ **لا يفهمون أن هذا هو المنقذ الوحيد من العدمية التي لا تطاق**، الذي يضمن بوجوده لكل منا تفرده بإبداع من خلقه كذلك، يضمن لنا الغاية البارزة من دون اتجاهاتنا العبثية، يضمن لنا ألا ننتظر الوهم وألا يخيب الأمل، يضمن لنا أنه سيبقى دائمًا هناك يفسر كل شيء حين نعود إلى أصولنا لنتساءل: حسنًا، لماذا ذهبنا هناك ولم كان كل هذا؟!



لا يفهمون أننا في بحثنا عن الله إنما نبحث عن أنفسنا أيضًا!



لأني أبوء بذنبي

❁ **اللهم أنت ربي، فكم أنا سعيد! وكم حظي مديد!**

❁ **أن تكون أنت ربي!**

أن أكون شيئًا تملكه، خلقًا تحبكه، أن تقوم على حاجاتي، على مائي وزاد قوتي، أن تلهمني حيائي وصدق مودتي.

❁ **اللهم أنت ربي وأنا شيء من مملوكاتك**، خانة آحاد في أرقام معدوداتك، إن أردت أن ترحمني فمن الذي سيعترض؟ وإن أردت أن تعذبني فأي قاضٍ لحكمك ينتقض؟

❁ **لا إله إلا أنت.**

أنت السميع في كون من الصمم، أنت الرؤوف في عالم القسوة والألم. من دونك فالمال صنم، الناس صنم، الجاه صنم، أنت الإله وحدك وكل ما سواك صنم.

❁ **أنت الإله الواحد، أنت فرصتي الوحيدة.**

لو خسرتُها فقد حُكم علي بالشقاء دون استئناف. لو رددتني لسقطتُ من حافة الأرض إن كان لها حواف. لضعتُ من سجل الأزمنة، لصارت الآمال غير ممكنة.

❁ **خلقتني يا رب فأنت تعلم.**

❁ **بكل شيء في نفسي أنت به أعلم.**



۞ **لا يخفى عليك عيبي**، وانسحاقي تحت ذنبي، وقلة ذكري وصِلاتي، وسوء خشوع صلواتي.

۞ **خلقتني يا رب مسكينًا وكنتَ تريد أن ترحمني.**

۞ **خلقتني خطاءً لأنك تحب أن تعفو عني.**

۞ **خلقتني** يوم خلقتني وكنت عبدك، وسوف أظل عبدك، على عهد إيماني بك، على وعد انكساري لك.

ما كان لي أن أسوي بينك وبين شهوات عاجلة، فانية زائلة، قبيحة كالحة.

لم أنس أنك أكرم من أن تنسى، وأجمل من أن تعصى.

أنا على ذلك ما استطعت، على عهدك ووعدك ما استطعت.

لكم تعلم يا ربي...

لكم تعلم أني كثيرًا ما استطعت.

۞ **فأعوذ** بك يا رب من شر ما صنعت.

شرور ذنوبي التي أحاطت بي، من يخلصني منها غيرك؟

من يجيرني من ذنوبي التي حرمتني أن تكون الصلاة قرة عيني، أمرتني أن تصبح الدنيا أكبر همي، عدت أناجيك فلا أجد لمناجاتك لذة، أرأيت يا رب عبدا يناجي سيده الذي يحبه فلا يجد لمناجاته لذة!

لكم أنا مغبون، محروم بالشؤم معجون، مردود مطرود مفتون.

كل ذلك من ذنبي.

وقد كان ذنبي أكبر.

ولكنك غفرت عن كثير.

فأبوء لك يا رب بنعمتك علي.

ومن أنا حتى يتحدث عن نعمتك عليه.

أيشكرك على أنه يتحدث بالكلم، أم على غرقه في النعم، أم يشكرك على علمه بأنها كانت نعمتك عليه؟

أيشكرك على الشكر؟ أم يشكرك أن ألهمته شكر الشكر؟

أبوء لك بنعمتك علي أن سمحت لي بالاعتذار بعد أن عامدًا أخطأت، بالانكسار بعد أن كاذبًا للجبروت زعمت، سمحت لي بأن أعود بعد أن أعطيتك ظهري وتوليت.

❁ **فأبوء يا ربي بذنبي.**

❁ **والله لقد كان ذنبي أنا.**

لم يجبرني القدر عليه، لم يدفعني الشيطان إليه، ما ورثته عن آبائي، ما أمرني به بارئي.

بل فعلت الذنب لأني أحببتُه، اقترفت الخطأ لأني استصغرته، نظرت إلى جنابك فلم يوقفني، وذكّرني واعز الله في صدري فقال لي الله يراك فقلت له اصمت دعني أستمتع بذنبي ثم سأستغفر ربي وسيغفر.

نعم يا رب لقد كنت بهذا السوء، كنت بهذه الوقاحة، وأنا لا أفعل هذا مرة أو مرتين، بل أفعله في كل ساعة في كل يوم من عمري، وكلما كبرت حالي يسوء فيا رب بذنبي أبوء.



❁ **اغفر لي يا رب فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.**

اغفر لي فإن النفس تيأس والشيطان يُيئس، والصالحون مني لو عرفوا يتقززون والطالحون بي لو سمعوا يستهزئون، وأنا نفسي لا أقدر على أن أسامح نفسي وكيف وقد رأيت منها ما رأيت؟! يا رب لا يغفر الذنوب إلا أنت.

يا رب لو غفروا ما صفحوا، ولو صفحوا ما عفوا، ولو عفوا ما نسوا، ولو نسوا ما رضوا، ولو رضوا ما أدخلوني الجنة.

❁ **أنت وحدك من تأخذ عبدًا غارقًا بذنبه فتغسله منه وتطهره**، وتزكيه وتطيبه، وتمحو صفحات سجلاته، وتعفو عن جميع زلاته، ثم تبدلها حسنات.

❁ **لماذا؟**

لأنك ربي.

لأنه لا إله إلا أنت.

لأنك خلقتني وأنا عبدك.

لأني على عهدك ووعدك ما استطعت.

لأني أعوذ بك من شر ما صنعت.

لأني أبوء لك بنعمتك علي.

لأني أبوء بذنبي.



فيا رب اغفر لي...

لأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.





علبة سجائره الكينت

علبة سجائره الكينت كانت تحوي ١٤ سيجارة، واحدة منها كانت مهترئة من أسفلها وقد سقط بعض التبغ. كانت العلبة في سرواله القماشي المتسخ بآثار طين المطر اليابس، كانت هناك تكسّرات في ساقي سرواله تنمّ عن استعمال طويل طوال الأسبوع.

حقيبته كانت تحوي قائمة أسعار مطعم جديد، وشريطَ مسكّنٍ للصداع، وشاحنًا ملحومًا بشكل غير محترف، وبعض الأوراق غير المهمة، وكتابًا من الشعر الحر. جيبه كان به ٥٤ جنيهًا منهم جنيهان فضة، وبطاقته الشخصية، و«ريسيت» أسعار من السوبر ماركت، وبعض قشر اللب.

سطح مكتب حاسوبه الشخصي كان مليئًا باختصارات لبرامج لا يستخدمها، ومجلدات صفراء كلها اسمها New folder ولكن بأرقام مختلفة. كان متابعًا لـ ١١٣ شخصًا على الفيسبوك، آخر بوست له أخذ ١٤٢ إعجابًا.

هاتفه المحمول من نوع سامسونج، شاشته سليمة لكن السكرين الزجاج قد انكسرت في أكثر من موضع، لديه معظم التطبيقات المشهورة ولكنه لا يستخدم إلا ستة منها عادة، ومشترك في باقة إنترنت شهرية بـ ٢٥ جنيهًا، يجددها كثيرًا قبل انتهاء الشهر لأن استهلاكه أعلى منها في الحقيقة.



هو متزوج ويعول طفلين، أسماء أطفاله قد اعتاد عليها ولكنه لم يستسغها قط. آخر مكالمة مع زوجته انقطعت بسبب سوء الشبكة، قال شيئًا عن الشبكة قبل أن يغلق الهاتف.

يتابع خمسة مسلسلات أجنبية وينتظر الموسم الجديد من كل منها، من آن لآخر يدخل إلى الإنترنتالإنترنت لمعرفة موعد صدور كل منهم، هناك فيلمان ينتظر نزول النسخة الـ HD منهما بشغف، لقد شاهد لقطات من النسخة قليلة الجودة ولكنه صبّر نفسه وامتنع عن إكمال الفيلم حتى لا تضيع حلاوته، يشجع الأهلى وبرشلونة ويوفنتوس والأرسنال، يتابع قبل أن ينام أفضل الأهداف على اليوتيوب بشكل مستمر.



ترى هل تسنّى له عندما مات أن يندهش من أن لحظاته الأخيرة كانت عادية إلى حد الرثاء، خالية من التميز، من التوقع، من الأهمية أو التهيئة؟

هل تسنى له أن يفطن -متأخرًا- إلى قسوة ألعاب الحياة الهازئة بنا؟

هل فهم في لحظاته الأخيرة أنه قد خُدع؟



الفراغ الكمومي الأزلي

لي أصدقاء ملحدون ولاأدريون وربوبيون، أحافظ على علاقتي مع الأذكياء منهم جميعًا بعد أن تفشل (غالبًا) المحاورة بيننا، تقريبًا أجمعوا على وصفي بمزية واحدة، أني مستمع جيد ومتفهم لما يقولونه بخلاف معظم من يتحدثون معه. عن نفسي كنت أفضل -لو كانوا سيصفون لي مزية واحدة- أن أحصل على الوسامة أو الذكاء أو براعة المناظرة، لكن للأسف باتـ (ليسينزون) منهم دائمًا لسبب لا أعلمه.

الحقيقة أنا أعلمه، ولأني أكثر من يفهم نفسه، فأنا أعلم جيدًا لماذا يقولون ذلك، لأنني بالفعل أتفهم ما يقولونه ومنشأ حججهم المختلفة بغض النظر عن علمي بأن حججهم ليست بحجة على الله بالطبع.

يختلف الأمر تمامًا مع أصحاب طرائق التفكير السطحية منهم، تقريبًا يجمع هؤلاء على وصفي بأني عصبي غير صبور، أحدهم قال لي بعدما سألته عن انطباعه بعد لقائي أنني أجدت إخفاء رغبتي في تحطيم رأسه، إحداهن كنت أكلمها هاتفيًا بنبرة تبدو لطيفة بينما أنا في الحقيقة أتسلى بكتابة خطابات انتحار على الـ (واتس) لأصدقائي.

لا أطيق طريقة التفكير السطحية حين يتعلق الأمر بأخطر قرار في حياة الإنسان! مثل طالب الثانوية الذي يلح في الاتصال بي في ساعات الصباح الأولى لأنه لا يستطيع المذاكرة، حيث بدا له أن (الفراغ الكمومي الأزلي) قد أثبت له

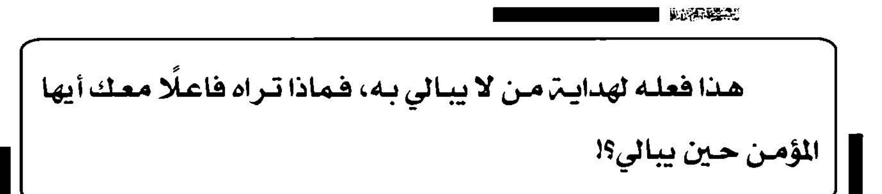
عدم وجود الإله، أنا قدّرت الصراحة أننا قبل امتحانات الثانوية جميعًا نشعر بفراغ كمومي أزلي ما، وجربت أن أناقشه بهدوء، فتبين أنه للأسف لا يعرف حتى الفرق بين فيزياء الكم والفيزياء الكلاسيكية، وبرغم ذلك أصر أنه لم يعد هناك إله فبالتالي لا حاجة للدخول لامتحان الثانوية.

الصراحة كل من جرب ذلك يعلم مقدار الإرهاق النفسي والذهني الذي تلاقيه كي تضطر أن تتناقش مع أحدهم في مسألة يسبق علمك فيها علمه بعدة عشرات من الكتب، لا عن تعالٍ ولكن عن واقع، يبدو الأمر صعبًا ومنهكًا للغاية ولولا شفقتي على هؤلاء ما استطعت أن أتجاوز خمس دقائق من الكلام. ومن الذي يفعل ذلك ويصاب بكل هذا (الزهق)؟ إنه أنا، كائن تافه تمامًا متوسط التعليم والثقافة وعلى قدر غير مميز من الذكاء.

❁ لذلك أندهش من الله!

هل تدرك معنى أن يحيط الله علمًا بكل شيء في عالمي الغيب والشهادة ثم حين يخاطب المتنكرين له الكافرين به يضرب لهم الأمثال، ويحكي لهم القصص، ويعيد لهم العبر، ويكرر لهم الوعظ، ويذكرهم بما قاله، ثم يذكرهم بأنه ذكرهم، ثم يعيد مثلًا آخر، ويحكي قصة جديدة، ويفصل لهم الآيات لعلهم يتذكرون؟!

الأجمل أن الله لا يبالي بمن يكفر به، إنه مستغن عنهم تمامًا، وهو يخبرهم متعاليًا دائمًا أن: آمنوا به أو لا تؤمنوا.





إلهة البوتاجاز!

(البوتاجاز) عند الإغريق له إلهة واسمها (هيستيا)! الإغريق كما نعلم يعشقون تفتيت ظواهر الحياة وتوزيعها على الآلهة، لذلك هناك آلهة لكل شيء مهما كان جزئيًا أو تافهًا، لا يقتصر ذلك على اليونان ولكن المصريين القدماء مثلًا كان لديهم إله للحمل والولادة، وإله للصحراء الغربية! حتى المرح والسرور له عندهم إله اسمه (بس)!

وبرغم كل هذا (التجزيء) والتفصيل ثم التضخيم والتقديس لكل ظواهر الحياة، كانت النظرة إلى جسم الإنسان مُختزَلة إلى حد كبير في شتى الحضارات ولمدة آلاف السنين. حتى أرسطو العبقري كانت نظرته لجسم الإنسان أنه (خلطة مظبوطة) من مجموعة من السوائل. وهي الافتراضات التي لم يبتعد عنها كثيرًا عمالقة الطب في زمانهم من أمثال أبقراط وجالينوس. ربما كان علينا أن نصل إلى القرن التاسع عشر، بمجيء شيلدين وشوان وبرنارد وغيرهم، حتى نفهم علم وظائف الأعضاء كما نفهمه الآن: مجموعة بالغة التعقيد من التراكيب البنيوية والأوامر الكودية والجسيمات الدقيقة التي تتحكم في كل شيء. والسبب الوحيد الذي يجعلنا لا نكتشف ما هو أعقد، هو أن آلات فحصنا لم تتطور بالشكل الكافي بعد!



خذ عندك مثالًا على ذلك: القشرة الدماغية للإنسان، والتي تعتبر بحق خريطة للمعجزات! مثلًا: الحركة. كي نقوم بالحركات المعتادة البسيطة فيجب أن تنقبض عضلاتنا بترتيب معين دقيق. والمسؤول عن ذلك هو (المنطقة الحركية الأولية) من القشرة الدماغية. وأما الحركات المعقدة المكتسبة مثل حركات السبّاح أو لاعب التنس فتحتاج إلى مرحلة بالغة التعقيد من التناسق الحركي، والمسؤول عنها (المنطقة أمام الحركية).

حين تستمع إلى شيء ما، فالمسؤول عن إدراك قوة الصوت وطبقاته هي (المنطقة السمعية الأولية). أما تركيب الأصوات الكاملة وربطها بالأصوات المخزنة بالذاكرة وتمييزها فهي مهمة (منطقة الترابط السمعي). ولكن في النهاية لن تكون لهذه الكلمات المسموعة دلالة معينة وإدراك حقيقي بدون مساعدة (منطقة فيرنيك).

وبالمثل تتعاون المنطقة البصرية الأولية التي ترى الأشكال والألوان مع منطقة الترابط البصري التي تحدد موضع ما تنظر إليه وكنهه وموقعه من الذاكرة. وأما لو خططتَ لأن تتكلم أو تقول شيئًا فلن تستطيع أن تقوم بذلك بدون معاونة (منطقة بروكا). وفي منطقة (مقدمة الجبهة) نجد أعقد وأنضج ما في جسم الإنسان كله، تلك المنطقة المسؤولة عن التفكير والتخطيط والحكمة وربما الشعور بالذات والكينونة أيضًا. وهي من الأجزاء التي يتميز بها الإنسان بيولوجيًا عن أي كائن حي آخر.

العالم الفيزيائي (ميتشيو كاكو) يرى أن الدماغ البشري هو أعقد شيء تعرفنا عليه في الكون كله، وقال الفيلسوف النمساوي (لودفيج فيتجنشتاين) أن

الجسم البشري هو أفضل انعكاس للروح البشرية! وقديمًا قال سيدنا علي رضي الله عنه:
«وَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ ... وَفِيكَ انطَوَى العالمُ الأكبرُ»، ونحفظ جميعًا قول
الله -تعالى-: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وعلى عكس القدماء، فنحن لا نحتاج إلى تفتيت هذه الظواهر التي
تحدث بداخلنا وتسمية كل منها بإله، فنحن نعلم أنه لا يوجد إلا إله واحد. ولكن
علينا أن نلتفت لكل تلك الأشياء المعقدة التي جعلها الله سببًا لإنفاذ حكمته
وإرادته بنا ومنا وفينا.



الله ﷻ هو الحكيم الذي لو شاء لكان خلق كل شيء بلا سبب يجريه وبلا تفسير نعلمه. هو الواسع الذي لا توجد حدود نعلمها لما يصنعه، عددًا أو حجمًا أو تفصيلًا. هو القيّوم، به يقوم كل شيء، وبه نقوم بكل شيء.

الله ﷻ هو الكريم الذي يهب كل هذا لمن يعلم أنه لا يستحق منه شيئًا.





ثيابي المتسخة

❁ **يا رب أشعر بالحرج، فأنا أعلم أنك رأيتَ روحي المتسخة.**

كل هذا الذي ظهر لنا من أنفسنا، كل هذا السوء، كل هذا النقاء الزائف والإخلاص الواهم والطهارة المزعومة، كل هذه المبادئ الصلبة التي تبين أنها عجين من الادّعاء وخليط من الاصطناع والكذب، كل هذه الرسوبات بعد بضعة اختبارات لم تكن صعبة إلى هذا الحد، كل هذا الذي تفاجأنا به بعد أن كبرنا قليلًا في العمر وراقبنا أنفسنا ونحن نغرق ونتشنج ونموت في ذات البحيرة التي لطالما أجدنا السباحة على شاطئها الرمليّ.

❁ **أتمنى لو لم يكن هذا قد حدث.** أتمنى بحق لو كان بإمكاني أن تتوارى بعض أجزائي عن بصرك. لكم أتمنى لو كنتَ يا ربي تنظر إلى ظاهري، لو كانت ذنوب جسدي فقط هي التي سأحاسب عليها لما كنت في كل هذا الخوف الآن.

❁ **سامحني يا رب على روحي المتسخة**، لكم تمنيت لو كان بإمكاني أن أكذب عليك وأقول إنها اتسخت بأوحال الحياة ودنس الأبالسة، لو كان بإمكاني أن أدعي أني لم ألاحظ اتساخها حين كنت أخوض بها عامدًا في البِرَك الآسنة، لو كان بإمكاني أن أدعي أن اختباراتك لي كانت عسيرة إلى هذا الحد، لو كان بإمكاني أن ألقي باللوم على أي شيء آخر سواي.

❁ **أتمنى لو أحصل على فرصة أخرى**، على ثوب جديد، على محاولة ثانية ملأى بالنقاء الذي لم يخرب بعد. أتمنى لو ترفعني إليك كما رفعتَ المسيح وتشق صدري كما شققتَ صدر المصطفى وتريني إحياءك لموات قلبي كما أريتَ إبراهيم ثم تعيدني من جديد لأكمل ما تبقى لي من حياة بروح نظيفة لا تخجلني أمام عينك.

❁ **سامحني يا رب** لأنك تعلم أنك لو فعلتَ كل هذا فإني على الأرجح سوف أعود إليك بعد أعوام قليلة بثوبي الجديد وقد اتسخ أيضًا وأنظر للأرض في خجل وأقول لك: أرجوك تجاوز عن ثيابي المتسخة.



سامحني يا رب أني لا أملك إلا ثيابًا متسخة.





مقايسة الزنا

❁ **هل الزنا قبيح؟!** الحقيقة، هذا سؤال مثير للاهتمام، كون الزنا في الأساس مثله مثل أي ممارسة جنسية، قائم على حاسة تذوق الجمال نفسه واستطعامه!

حين تنجذب إلى جمال وجه امرأة وتنجذب هي إلى جمال جسدك وترغبان في أن تجمعكما علاقة حميمة، من السهل حينها أن تفكر أنكما بذلك تنغمسان في شيء جميل! ولكن ماذا عمّا بعد ذلك؟!

هل تصبح العلاقة عابرة؟ وكيف نضمن حينها عدم تأذّي أحد الطرفين عاطفيًا من ذلك، لربما كنتَ تعني لها أكبر مما تعني هي لك. أم أن علاقتكما ستكون طويلة، ماذا إذن حين يأتي المَلال والخلاف، هل يصبح الأمر بسهولة الحظر على فيسبوك مع رسالة انفصال غاضبة؟ إلى أين تتجه حياتنا إن أمضيناها في التنقل بين شريك حياة وآخر؟ حينها يصبح اسمه شريك شهور أو أعوام، ماذا حين ندرك أنه لا توجد ضمانة ألا نكبر في العمر وحيدين؟ لا توجد ملامة على من أراد أن يتركنا دون استيفاء للحقوق أو إدراك لقيمة العلاقة الثمينة التي نفهم حين نكبر في العمر أنها أكبر من مجرد جنس عابر؟

❁ **والسؤال الأعقد ماذا لو كان بيننا طفل الآن؟** هل سيعرف شيئًا عن أبيه الذي عبر لشهور قليلة ثم رحل؟ أم يعرف شيئًا عن أمه التي لربما تفكر

في أن تعرضه للتبني قبل أن تلده؟ ماذا حين يحدث كل ذلك؟ هل من الممكن أن تفكر حينها في القبح الكامن وراء استمتاعك بالجمال؟!

❁ **ما الزواج إذن؟** في فلسفته البسيطة هو مجرد عقد في أبسط صور العقود، مؤلّف من كلمة بين شخصين، كلمة بسيطة تعني الوعد بتحمل مسؤولية العلاقة الكاملة وثقلها.

❁ **الزنا قبيح إذن، والزواج جميل**، ولكن ماذا لو أقمتَ علاقة عابرة مع امرأة جميلة ولم يجرح أحدكما الآخر وانتهى الأمر على ذلك، هل من الممكن أن تنال جماله دون التعرض لقبحه؟ ولو فعلت ذلك فهل من الممكن أن نتنازل عن وصفنا للزنا بالقبح من أجل حالتك المخصوصة؟

في الغرب فالخمر مسموح بها قانونًا، لكن من غير القانوني أن يقود السكران، ولكن هذا الذي قد وصل إلى السُكر في البارات كيف يمكن أن يُعاقب على قرار اتخذه بالقيادة وهو في حالة وعي مضطرب لا يجيد الحكم على الأمور بسبب شيء سمحوا له بشربه في البداية؟! هذا تناقض لا شك فيه، ولكنه ربما يكون هو الحل الأمثل، أو الأقل سوءًا بالنسبة لوضع سيئ يشرب فيه الجميع الخمر، لكن ألا يعطينا ذلك فكرة بأن الخمر في حد ذاتها قبيحة؟

ولو ضممنا ذلك لحقيقة الأعداد الغفيرة التي تموت جراء التليف الكبدي الكحولي، أو حالات العنف الأسري الكثيرة الناتجة عن إدمان أحد الأبوين للخمر، أو الطيف الواسع للجرائم الجنسية البادئة من الاغتصاب وحتى التحرش الناتجة عن سُكر صاحبها، وبالمناسبة فهناك بعض الدعاوى التي تقترح أن معاشرة امرأة جنسيًا في حال سُكرها يدخل أخلاقيًا تحت بند



الاغتصاب لأنها مُسممة كيميائيًا، حيث لا يمكن قبول الموافقة Consent التي أبدتها في حالة وعيها المضطرب تمامًا كما لا يمكن قبول موافقة البنت القاصر لنفس السبب.

❁ **الخمر قبيحة إذن**، لكن، ومن جديد، ماذا لو شربتها في جرعات بسيطة متقطعة لا تؤثر على صحتك على المدى البعيد ولا تصل بك إلى حالة السكر، هل تصبح في حالتك حميدة؟ ثم هل يمكن أن نصفها بأنها في ذاتها كذلك؟!

يضايقني قليلًا هؤلاء الذين يصفون تعاليم الدين بأنها تعبدية صرفة، يشرحون لك أن السرقة نافعة، والزنا ممتع، والخمر قد يكون مفيدًا لجسدك، ولحم الخنزير من أشهى ما يكون، ولكننا منعنا عن كل هذه الأشياء الجميلة للأسف لسبب لا نعلمه فيجب علينا أن نتحمل ذلك فقط لأن الله أمر.

هو معنى لطيف بالاستسلام والانقياد لله ولكن من الطبيعي بعدها أن يتساءل البعض، لماذا إن صح التعبير (يضايقنا) الإله بكل هذه القيود لو كانت لا تضرنا في شيء؟! مع قلق وجودي يلوح في الأفق، وماذا لو كان الدين خاطئًا؟ هل أضيّع حياتي من أجل وهم؟ وهو ذلك القلق الذي لربما يرافق صاحبه إلى الأبد بالمناسبة، لأن إيماننا أضعف دومًا مما كنا نتمنى أن يكون.

❁ **ولكن الحقيقة أن لا**، لم يجعل الله دواءه في أمر حرمه على الناس، بل يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وهو يعلم أن الخمر والميسر فيهما نفع للناس، ولكنه يذكرنا بأنه حرمهما لأن إثمهما أكبر من نفعهما.

❁ **الخمر قبيحة، والزنا قبيح**، حتى لو كانت في حالتك المخصوصة لن تصبح كذلك، لأنك لست المجتمع ككل، وأنت لست مقياسًا للبشر كافة، وحين تحب التمتع بجمال أحدها فلن تتمكن -مهما بالغت في الحذر- من الضمانة ألا تغرق في مستنقع القبح.

بقليل من التأمل تعرف أن الدين لم يمنع عنك إلا ما هو خبيث بالفعل، وكل ما هو طيب قد أحله الله لك، لا داعيَ لقلقك الوجودي، أنت لا تضيع حياتك، أنت تعيشها بشكلها الصحيح الكامل، بجمال خالص غير مصطنع، غير مشوب بالزيف.



وحين تفطن لذلك تفكر، يا له من دين جميل! يا له من دين متسق مع كل شيء! أنا لست مخدوعًا.



لعنة الإنسان الجمهور

كان (سقراط) يفكر في أمر لم يجد له حلًا، فاستمر في التفكير واقفًا من الفجر للمساء، فجاء رهط من الناس ومعهم الحصير والطعام (لزوم السهرة) واضطجعوا ليشاهدوا سقراط، هل سيظل واقفًا طوال الليل أم لا، فظل بالفعل حتى النهار التالي ثم سلم عليهم وانصرف لحال سبيله!

❁ يُقال إن (بوذا) تلقى إلهامه بعد وقفة على ضفة النهر استمرت ثلاثة أيام، والرهبانية النصرانية كانت عبارة عن تأمل في جوهرها، ويرى الفيلسوف الشكوكي (إسبينوزا) أن التأمل أرقى شكل وهدف للأخلاق، ورُوِيَ عن عيسى عليه السلام: «**طوبى لمن كان قيله تذكرًا وصمته تفكرًا**»، وقال الحسن البصري: «**تفكر ساعة خير من قيام ليلة**»، ويقول سفيان بن عيينة: «الفكرة نور يدخل إلى قلبك»، بينما ينصحنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**خذوا حظكم من العزلة**».

لكن المشكلة التي لم يعرفها سيدنا عمر، أننا لم نعد نطيق أن نأخذ حظنا من العزلة! هواتفنا المحمولة ومحطاتنا الفضائية و(سوشيالاتنا) الكثيرة وولعنا السائد الحالي بالحديث والاجتماعيات والتواصل، لن يسمحوا لنا بأن نحصل على خمس دقائق بانفراد مع هذا الكائن الذي يقبع في آخر الجمجمة، آخر مرة سمعنا فيها صوت أنفسنا وهي (تُفكِّر) كان منذ زمن طويل!

ماذا يمكن أن يخسره الإنسان حين يكف عن التأمل، عن التفكير العميق، عن الحديث مع نفسه؟

كشفت إحدى الدراسات أن المواطن الإنجليزي يقضي ١٦-١٨ ساعة أسبوعيًا لمشاهدة الشاشات، وأن واحدًا من كل ثلاثة فرنسيين لم يقرأ كتابًا في حياته، و٣٠٪ من اليابانيين يستبدلون التلفاز بالكتاب كذلك، لا أريد أن أفكر حتى في حجم هذه الإحصائيات المحتملة لو أُجريت في بلادنا العربية.

من الواضح أننا كبشر قد وقعنا تحت سلطة وسائل الإعلام الجماهيرية، والتي لا تُخضِع جوانبنا الواعية فحسب، ولكن غرائزنا وعواطفنا أيضًا، بحيث تصير الآراء المفروضة علينا تبدو وكأنها آراؤنا الخاصة!

صرنا نعيش فيما يسميه علماء الاجتماع (الثقافة الجماهيرية)، وهي تختلف عن الثقافة الشعبية في أمرين، أولًا هي ليست ثقافة، ثانيًا هي ليست شعبية! هي مجرد صورة متكررة لعدد خرافي من المرات! فكر في الأمر على أنها آلات تصوير مستندات، نحن مجموعة كبيرة من المنسوخات. المشكلة أنه ليس من السهل التفطّن إلى صاحب النسخة الأصلية في الماكينة!

❁ في ظل الثقافة الجماهيرية يتحول الإنسان إلى (الإنسان الجمهور)، وهو المصطلح الذي أنشأه الأديب (جوزي أورتيجا)، ويعني به أن الجمهور تحول إلى مجموعة من الناس فاقدي الملامح. تحول الإنسان من (روح) إلى مجموعة من الحاجات. من (فرد) إلى مجموعة مُتمَاثلات. من (الوعي) إلى المصلحة، من (الفكرة) إلى الواقع، من (الحدس) إلى الخبرة، من الخوف من (الإثم) إلى الخوف من الأذى.



من جديد نسأل، ماذا يمكن أن يخسره الإنسان حين تصبح أفكار الجمهور هي مخاوفه، وسؤالاته هي محاراته، وإجاباته هي قناعاته، لا لشيء إلا لأنه قد تحول من إنسانه الفرد إلى إنسان جمهوره؟

❁ في سورة سبأ، يخاطب الله ﷻ الإنسان الجمهور، فيقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]. أي دعوني أنصحكم بنصيحة، تفكروا في أمر هذا الدين بتجرد و... بانفراد!

كثيرة هي الأسئلة الحَيْرَى بداخلك والتي تحتاج إلى أن تقابلها بمثل هذه النصيحة. تجرّد من سلطة ثقافة جمهورك، ومن ضغط واقعك المتلاعب، ومن إغراء هواك المتماثل. فقط قم لله وحدك، ثم تفكر!



سرعان ما ستدرك، أن ليس بنبيّنا من جنّة.

إن هو إلا نذير لنا بين يدي عذاب شديد!



قــد أحســن

❁ **حين تخلعين حجابك**، فبالله عليكي أخبري نفسك أنكِ فقط أحببتِ خلع حجابك، أنك تريدين أن تعيشي الحياة الماتعة التي لطالما راقبتيها خلف النظرات الخائفة والحسرات الكتوم. أخبري نفسك أنه اختبار آخر سقطتِ فيه، أن إيمانك أضعف من مراقبة الحياة الآخرة، أن الكثير من حب الله وخوفه كان قد تساقط منكِ دون أن تلاحظي، أن هذا ذنب آخر يضاف إلى القائمة الحزينة التي سوف نلقى بها ذلك الرب العزيز الرحيم.

❁ **وحين تتوقف عن الصلاة**، فبالله عليك أخبر نفسك أنك أكسل من أن تحافظ على وفائك مع ولي النعم، أن نفسك أكثر «نطاعة» من أن تهتم بأن تسجد في العِشاء بعد العَشاء لتقول: شكرًا. أنك أكثر انجرافًا في متاع الدنيا غير الماتع وبهرجها غير البهيج من أن تنتبه إلى كل ذلك الخراب الذي ينتظرك عند ميعاد نبضتك الأخيرة.

ذكروا أنفسكم بمدى غرابة العلاقة غير المتساوية بين سوء طوية أنفسنا وبين جمال الله، حين ندرك أن السبب الأكبر لأن نعصي الله هو علمنا بقدرته غير المحدودة على المغفرة! لا يوجد من يجرؤ على أن يعصي بسهولة إلهًا لا يغفر! مزيج فريد مخيف من الاغترار والانخداع والارتكان ومقابلة الإحسان بالإساءة لا يقدر عليه إلا الإنسان!



❁ **بالله عليكم**، أخبروا أنفسكم أن هذا هو كل ما في الأمر. تضاد بين أمر الله وهوانا، تماس بين ما نرغب فيه وما يسود بين الناس، تلاقٍ بين وسوسة النفس والشيطان. ليس لأن الحجاب غير واجب، أو أن الصلاة لا تفيد، أو أن الدين غير صحيح، أو أن الله غير عادل!

❁ **أخبروا أنفسكم** ألا داعيَ لتكبّد عناء العناد، وتكلّف مشقة المِدَقّة، لا داعي لاصطناع التمرّد، وعشق التفرّد، وادّعاء التجرّد.

❁ **أخبروا أنفسكم** أن الله يستمع إلى كل ما نقوله للناس، ولكنه مع ذلك يعلم السر وأخفى. أخبروها أن الله يحب أن يرى على وجه عبده العاصي دمعة حزن لا ابتسامة نصر زائفة. أخبروها أن الله يتجاوز عن كثير من الزلل، ولكنه سوف يخدع من يُخادع!

أخبروها أن العبد المنكسر لربه، المعظّم لما يقول سيده، الواقف عند حدود ملكه، المتوسل له خوفًا وطمعًا، قد أحسن.

وأن رحمة الله قريب من المحسنين!



هل هي نبيــة؟

❁ **يقولون إن من أحب شيئًا أكثر من ذكره، كم عدد المرات الكافية؟ مرتان؟ ثلاثة؟ عشرة؟ فماذا عن أربع وعشرين مرة؟**

❁ **عن حب الله لمريم العذراء**، حين تجد اسمها في كل مكان في القرآن، في سور ذكر العقود والأمانات، في سور ذكر الميراث والجهاد، في سور ذكر الغزوات والملاحم، وفي سورة كاملة باسمها كانت ولا زالت حديقة القرآن الغنّاء الملأى بذكر الحنان.

❁ **عن حب الله لمريم العذراء**، حين خطت بأصابعها الوليدة عتبة الدنيا فوجدت الله يتقبلها بقبوله الحسن وينبتها بنباته الحسن ويجعل عباده المحسنين يتساهمون ويتنافسون ويختصمون أيهم يكفل مريم، ثم لا يختار الله لها إلا أحسنهم جميعًا، زكريا النبي الذي سوف يتعلم من مريم أصول حسن الظن بالله. عن حب الله لمريم التي أحسنت الظن بالله.

❁ **عن حبه لها لما** كان يرزقها بطعامه لها متجاوزًا الأسباب المادية المعتادة وهي في المحراب، عن حبه بأن يكفل لها أن تأكل وتشرب دون أن تنقطع عن ذكره في محرابها الطينيّ البسيط، عن حب الله لمريم ولصوت مريم حين يتردد صداه يشكر الله، ويمجّد الله، ويثني على الله. عن حب الله لسماع مريم وهي تتحدث عن الله.

❁ **عن حب الله لمريم** لما ذكر في جملة واحدة أنه اصطفاها مرتين، أتراه اصطفاها على اصطفاء؟ أم اصطفاها من اصطفاء؟ أم اصطفاها لأجل اصطفاء؟! عن حبه لها لما أراد لها أن تعلم بذلك فأرسل ملائكته ينادونها، يبشرونها، يسعدونها. أرسل ملائكته يعلمونها كم يحب الله مريم.

❁ **عن حبه لها** لما أمر جبريل أن يتمثل لها بشرًا سويًا لطيف الخلقة والهيئة بعيدًا عن صورته الملائكية التي كانت لتفزعها، عن حبه لها لما أمره أن يطمئنها بأنه رسول من الله إليها لم يأتِ ليؤذيها، عن حبه لها لما ابتلاها بحملها بولد من غير بغاء ولا خطيئة، فطمأنها قبلها بأنه سيكون رحمة من لدنه وآية للعالمين. عن حب الله لمريم لما كان يكره إخافتها بشيء.

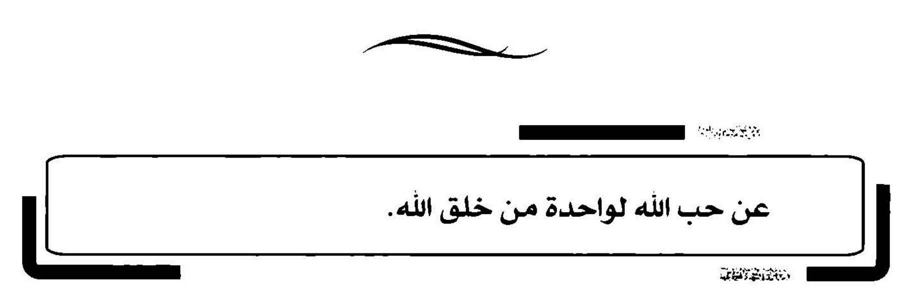
❁ **عن حبه لها** لما سجل في القرآن أنها تمنت الموت، لم تكن كلمات توجعاتها هيّنة عنده فيُهمل ذكرها أو يُجمل. عن حبه لها لما فجّر من تحتها نهرًا لتشرب، وأسقط من فوقها رطبًا لتأكل، ثم يأمرها بألا تكتفي بالأكل والشرب يا مريم، بل عليكِ أن تقرّي عينًا، عليكِ أن تفرحي. عن حب الله لمريم لما كان يكره لها أن تحزن بشيء.

❁ **عن حب الله لمريم** لما أمرها ألا تدافع عن نفسها بشطر كلمة، لا تتكبدي عناء الشرح والتفسير وانكسار مدافعة ظنون الناس يا مريم، سأفعل أنا كل ذلك. عن حبه لها لما أنطق عيسى الوليد في مهده ليدافع عن مريم بعد أن أمرها بأن تنذر للرحمن صمتًا ولا تكلم يومها إنسيًا.

❁ **عن حب الله لمريم** لما أفردها بوصف صدّيقة، لما أفرد ذكرها مع الأنبياء حتى أصاب علماء التفسير بالحيرة بشأنها: ترى هل هي نبية؟ ولكنها ليست نبية، الله يحبها فحسب.

❁ **عن حب الله لمريم** لما عادى اليهود، مقت اليهود، تبرأ من اليهود، وذكر أسباب ذلك، فكان مما قاله إن ذلك لأجل أنهم قالوا على مريم بهتانًا عظيمًا.

❁ **عن حب الله لمريم** لما أحصنت فرجها، وأخلصت قلبها، وأحبت ربها. عن حب الله لإنسانة تأكل وتشرب، وتفرح وتبكي، وتنشط وتفتر، وتصيب وتخطئ، وتتعب وتنام. عن حب الله لواحدة منا، من البشر، مثلنا. عن حب الله لفرد من جنسنا. عن حب الله لمريم العذراء التي لم تكن نبية أو معصومة، ولكن ظفرت بحب الإله.



عن حب الله لواحدة من خلق الله.



بأي عملة قد تقبل؟

❁ حين امتلأت معدتي البارحة بصنوف مختلفة من الطعام ونمت مرتاحًا على فراشي الوثير في غرفة باردة الهواء في صحبة زوجتي وابنتي، لا أشعر بألم ولا خوف، لا أشعر بغم ولا نكد، لا أذكر قائمة المآسي البائتة، أتقلب بين نعمة لك يا ربي وأخرى، حينها كنت أسأل نفسي، كيف سأقدر على أن أدفع مقابل كل هذا؟ وبأي عملةٍ قد تقبل؟!

❁ **أشعر** أني مدين حتى نخاع روحي، وديوني تثقلني يا ربي وتكسرني، قائمة ديوني تكون أول ما أذكره حين أسمع أحدهم يتحدث عنك بإجلال أو نطاعة. قائمة ديوني هي أول ما يخجلني على بوابة الآثام المغرية. قائمة ديوني هي أول ما يعيدني لرشدي حين تترنح بي الأحزان بين ضفتي الغيرة ورثاء الذات.

❁ **أشعر** أني مكبل بإحسانك بقيود من حرير، لم تؤلم يدي قط! أشعر أني محبوس في زنزانة مِنّتك، وهي ألطف لي من حريتي! أشعر أني مقهور بثقل عبء فضلك على كاهلي، وهو قهر ألذ من جميل دنياي لو اجتمع!

أحاول أن أشكرك بعملي فيكون كسلي أسبق، أحاول أن أشكرك بصدقتي فتكون نفسي أطمع، أحاول أن أشكرك بطاعتي فتسيء آثامي إلى سمعتي، وأحاول أن أشكرك بلساني فيعجز بياني عن حاجتي، وحين أقول سوف أشكر ربي بقلبي وهو يعلم، أجد أن شكري لك بقلبي يحتاج إلى شكر! كيف أقول

الحمد لله، وكل حمد لله يحتاج إلى حمد آخر؟ كيف أتخلص من قائمة ديوني يا ربي؟ كيف أدفع مقابل كل هذا؟ وبأي عملةٍ قد تقبل؟!

❁ **أنت وحدك من يعلم كم بلغت مساوئي،** كم بلغت حدود جرأتي، كم بلغت آفاق تصنّعي وتجمّلي. أعرض بضائعي على الناس وأنت فقط من يعلم مقدار ما خلطتُ في بضاعتي المغشوشة. أتحدث باسمك على منابر الوعظ وأنت تعلم كم ينبغي علي أن أخرس! وحين أسرق من قبس نور وحيك زيًّا أتجمل به، فأنت لا تنخدع بالأزياء. أنت تعلم من حالي ما يكفي كي أخاف لقياك!

❁ **ولكنك يا ربي تعلم أني مع كل ما اقترفت، مع كل من خدعت، مع كل ما تصنّعت، فإني ما نسيتُ يومًا قائمة ديوني!**



قائمة ديوني.. عقدة ذنبي الأكبر في هذي الحياة، هي ما أرجو أن يكون سبب خلاصي غدًا، حين ألقاك فلا تجد لي فضل عمل، ولا كبير ورع، ولكن تجدني صادقًا حين أقسم لك أني ما نسيت فضلك علي يومًا. حين أقسم لك أني عجزتُ دهرًا عن إجابة لسؤالي حين أسأل كيف يا ربي أدفع مقابل كل هذا؟ وبأي عملة يا ترى قد تقبل؟!



آخر مؤمن على الأرض

(الناس تترك الإسلام جدًا، الإلحاد ينتشر في العالم بشدة، سيأتي عليكم وقت لن يكون فيه مؤمن واحد، نحن نكثر ونتكاثر، نحن ننتشر ونتوغل، الأشجار تطرح الزيتون (آي ثينك) والطيور تتراقص، البشرية تتقدم وتفعل الأشياء).

هل يُفتَرَض لي أن أهلع أو أجن خوفًا حين (يصدمني) بهذه الأخبار (المفزعة)! في الحقيقة إن الأمر مضحك قليلًا أن تجد شابًا ناضجًا يتحدث معك بالبروتوكول المنطقي المعتمد في حضانة (بيبي مامي) عندما يتفاخر أحدهم بأنهم (بقوا كتير)، وأن (كل الناس بتقول كدة).

❁ **المشكلة** أنك حين تدعو إلى الله، ولأنك متحمس، يظن الطرف الآخر أنه بالغ الأهمية. المتبرجة حين تدعوها إلى الاحتشام والحجاب تعتبر أنها بطريقة ما قد أثارت اهتمامك، وربما فتنتك بجمالها كذلك! الشباب السكارى في الملاهي الليلية يثيرون اشمئزازك وشفقتك ولكنهم يتحدثون دائمًا عنك وكأنك تحسدهم أو تغار منهم! لا يوجد أي شيء جذاب في فتاة ثَمِلة مصابة بالغثيان وقد انصهرت أصباغها بالعرق يا عزيزتي.

❁ **وبالعودة إلى صديقي**، سفير (بيبي مامي)، فالأرقام تكذبك في الواقع، في بلادنا فظاهرة الإلحاد الآن لم تقترب حتى من حجم أو انتشار سابقتها في

الستينيات. ومقابل كل متسرب عن الإسلام فهناك أضعافه ممن يتحولون إليه في شتى بقاع الأرض.

في بلاد الغرب يكسب أنصار التصميم الذكي في البيولوجيا والفيزياء أراضيَ جديدة باستمرار، فلسفات الوضعية صارت تراثًا، العدمية صارت سبة، وكفر العالم بالماركسية المادية بعد أن افتُضِح وجهها القبيح.

❁ **ولكن، يا صاحبي**، ماذا لو كنتَ محقًا وكنتُ أنا مخطئًا؟ ماذا لو كنا نعيش عصر نهاية الإيمان بالفعل؟ ماذا لو كان الإسلام يحتضر، والإلحاد يسود؟ ماذا لو كنتُ أنا آخر مؤمن على ظهر الأرض؟!

يا صاحبي، أنت قد (تظن) أن هذا اليوم قد يأتي، ولكني أنا (متيقن) أنه سوف يأتي بالفعل! فالنبي ﷺ أخبرنا أنه لن تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله!

يا صاحبي، أنت تفتخر معي تارة بأنك فيلسوف متوحد لم يفهمه أحد، تغرد خارج السرب، وتثور على السائد. ثم تفتخر تارة أخرى بأنه يوجد غيرك الكثير والكثير من المفكرين، من أنت فيهما؟

يا صاحبي، نحن لم ندّعِ أبدًا أن نهاية البشرية هي نهاية سعيدة، بل بدأ الإسلام غريبًا ثم يعود غريبًا كما بدأ، وتقوم الساعة على شرار الناس.

يا صاحبي، أنت تجد في الدنيا أن أكثر الناس ليسوا صادقين، والصدق حق. أكثر الناس ليسوا أوفياء، والغدر عيب. فلمَ تتعجب حين لا نغتر بكثرتكم المزعومة؟ إنما أكثر الناس في ضلال، أكثر الناس حمقى!



يا صاحبي، ليس لنا إلا أن نشفق عليكم، نحزن عليكم، نهرع إليكم بالنصيحة، ثم من بعدها لو عاندتم فلن نسهر الليالي نفكر فيكم كما تظن، بل لا ننشغل إلا بأنفسنا ويطمئننا قول الله ﷻ حينها: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].



يا صاحبي، حين تجتمع يوم القيامة بكل علمائك وممثليك ومثقفيك وفلاسفتك وأذكيائك الكثيرين، فأرجو ألا تنسى أني ذكّرتك يومًا بقول الله -تعالى-: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٣٩].



❁ **ماذا تعني تلك النظرات الجائعة في الجامعة؟** يسميها الغربيون بنظرات الـ Check out بحرص شديد على إخفائها يقوم أصحابها بالتجوال بزاوية ٣٠ درجة عن اليمين والشمال حول موضع تركيز النظر باحثين عن فتاة/ فتى جميل يصلح.

❁ **هل من الممكن أن تعني نظرات الجامعة أننا كبشر في بحثنا عن الحب فإننا نبحث عن أجمل فرصة متاحة؟**

المثير للغرابة ما يحدث في الأسواق التجارية، حيث نحرص على الملابس الـ Fancy والأحذية النظيفة وتصفيفات الشعر المنمقة، ثم نخرج لاقتناص الفرص. يمكنك أن تلاحظ حينها نفس النظرات الجوّالة ونفس البحث المحموم، المختلف هنا أنه لا توجد فرصة غالبًا للتلاقي بعد ذلك، نظرات البنت الجائعة بحثًا عن الفتى اليافع الوسيم سوف تنتهي بأن تعود إلى بيتها مع علمها بأني قابلت اليوم عدد خمسة من فرص الغرام مع الفتى اليافع الوسيم. فقط، هذا هو كل ما في الأمر، مجرد ذكرى تحملها إلى البيت، والقليل من أحلام اليقظة، والكثير من الحسرات، والمزيد من الجوع!

❁ **هل من الممكن أن تخبرنا نظرات الأسواق التجارية، أننا في سعينا إلى الحب فإننا نستمتع بالشعور بأكبر عدد ممكن من الفرص السانحة؟**



❁ **نظرات المترو ومحطات القطار تبدو أغربهم جميعًا**، تجد نفس النظرات المحمومة التي يلقيها الشاب من أحد عربات المترو إلى عربة في الاتجاه المقابل! عمّ تبحث يا أحمق؟ سيكون أتعس أيام حياتك لو كانت هذه الفتاة هي فتاة أحلامك بالفعل، ستصير أحزن قصة حب لو بادلتك المشاعر ذاتها خلف الزجاج المزدوج لينطلق بعدها القطاران في اتجاهين مختلفين فلا تراها بعدها أبدًا!

❁ **ماذا تخبرنا نظرات محطات القطار؟** هل من الممكن أننا في بحثنا عن الحب نستمتع بأكبر عدد ممكن من الفرص السانحة منها والضائعة؟!

بعد البحث المحموم تأتي مرحلة الترشيح، عملية معقدة يقوم بها لاوعينا ولا نشعر بها غالبًا، حين نعطي كل فرصة منهم تقييمًا ما، هناك فئة المقبولين وهناك فئة المرفوضين ومن كل فئة هناك من لدينا فرصة معه ومن لا يجب أن نحلم كثيرًا معه على كل حال! وهكذا تصبح نتائج البحث مجموعة من الدوائر المتداخلة وعمليات رياضية تنتهي بقائمة مرتبة إلى حد ما بناءً على عدة عوامل، ومن أهم هذه العوامل عامل الإتاحة والإمكان.

قال عالم النفس الشهير كارل يونج أن العلاقات البشرية شبيهة بالتفاعلات الكيميائية، لو زعمت أن ثمّة تفاعلًا قد تمّ فلا بد من أن تجد تغّيرات أساسية حدثت لكل من المركّبين.

يمكنك أن تلاحظ غياب هذه الكيمياء عند الكثيرين، وهذا لأن عدم التكافؤ العاطفي يشوب معظم العلاقات الرومانسية، هناك دائمًا طرف أكثر حبًا لصاحبه، يسميها الغربيون بعلاقات: الواصل والمستقر،

Reacher and Settler وهذا لأن عامل الإتاحة في اختيار المحبوب جعل هناك من وصل إلى فرصة عالية بالنسبة له، وهناك من رضي بالفرصة المتاحة بينما نظرات عينه وقلبه ما زالت في بحث محموم!



أنت نبيلٌ فقط لو فهمت كيف تقدس علاقتك مع شريك حياتك وتجعلها أهم من النتائج التي خرجت بها من النظرات الجوّالة.

أنت خسيسٌ حقًا لو تعمدت أن تدخل الفتاة معك في علاقة مشاعر متبادلة بينما أنت تعلم أنها في أسفل القائمة عندك، فقط لأنك كنت تريد تزجية وقتك قبل وصول الفرصة الحقيقية السانحة.

أنت حمقاء إن جعلت من نفسك عامدةً (المتاح) فقط كي تتسلقي قوائم الشباب إلى أعلى غير عابئة بخطر الحصول على (مستقر) غير (مستقر)!

أنت نظيفٌ حقًا لو قررت أن كل هذا البحث المحموم لا يليق بك لأنك وجدت أن مشاعرك أكثر احترامًا من أن تدخل إلى قائمة أحدهم، ومشاعر غيرك أهم من أن تكون رقمًا في معادلاتك.

أنت ذكيٌّ حقًا لو توقفت عن تجويع نفسك بالمزيد من ذاك البحث الأحمق المحموم.







الآخر الوغد

منشور عن آداب الهاتف عليه عشرون كيلو لايكات. يبدو أن جميع الناس تؤيد كاتب المنشور أن من آداب الهاتف عدم الاتصال مرتين متتاليتين إلا للضرورة، فمن أين يأتي المزعجون إذن؟!

❁ **سأخبركم باللغز.**

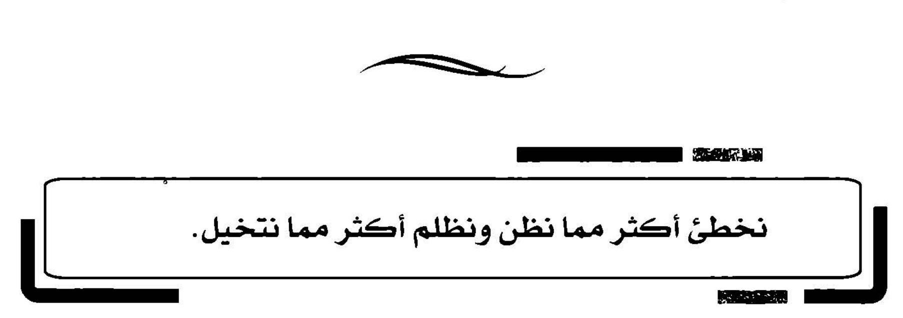
عن نفسي، عندما أسير في الشارع فإن أصحاب السيارات جميعهم أوغاد لا يتركون لك الفرصة للسير برغم أنك أولى منهم بالطريق، وعندما أركب سيارتي فإن كل السائرين همج لا يعرفون معنى النظام ويزاحمونك باستمرار.

عندما أكون أنا الطبيب في غرفة الكشف فإن المرضى المتضايقين من الانتظار جهّال لا يفهمون معنى الطابور أو الصف، وحين أكون مريضًا وأنتظر كثيرًا في العيادة فالطبيب الذي بالداخل كسول بالطبع أو مُحابٍ.

حين يعلق أحدهم باستظراف هازئًا من منشور لي فهو سخيف، وحين أمزح مع أحدهم معلقًا على منشور له فلا تعجبه مزحتي فهو متعجرف.

❁ **لسنا أشرارًا عن عمد**، نحب أن نعدل في كثير من الأحيان ولو على أنفسنا أو الأقربين، ولكن لا يثق أحد منا في ميزان غيره، لا نثق إلا في ميزاننا الخاص، نقسم أننا لن نطفف فيه ولن نكيل بمكاييل مغايرة، فقط ننسى إبهامنا الموضوع على رمانة الميزان!

❁ **ننظر إلى أفعالنا وأفعال الناس من زاوية رؤيتنا الشخصية**، وننسى أننا لا نقبع في مكان محايد. نحن في الحدث دائمًا متأرجحين، لا يمكن أن يكون إبهامنا في المكان الصحيح ونحن متأرجحون. رمانة الميزان لا تكون في المنتصف أبدًا.





هلع ليلة الكسوف

❁ كان صديقي يسخر من المتدينين الذين يهرعون إلى الصلاة عند الكسوف أو الخسوف. كان يقول: هذه ليست معجزة، وليست حتى آية يخوف الله بها عباده كما قال نبيكم، هذه ليست شيئًا. إنما هي ظاهرة فلكية مشروحة، كل ما هنالك أن تصادف مرور القمر بين الشمس والأرض أو الأرض بين الشمس والقمر. لا يوجد ما هو غريب أو معجز أو مخيف في ذلك.

لم أشأ أن أخبره أن قطر كرة الشمس أكبر من قطر كرة القمر بـ ٤٠٠ ضعف تمامًا، وأنها مع ذلك تبدو لنا في حجم القمر لأن المسافة التي تفصلها عنا أكبر من المسافة التي تفصل القمر عنا بـ ٤٠٠ ضعف تمامًا أيضًا! وأنه لولا هذه (المصادفة) العجيبة لما كان هناك أي كسوف.

لم أخبره أن هذا الضبط في الواقع عجيب! وأن هذه المفارقة بالفعل معجزة! وأن هذا الإحكام في الحقيقة مقصود! وأن كل هذا مخيف بحق! وأن هذه بالفعل آية يخوف الله بها عباده.

❁ **مخيف** أن نلاحظ كيف أن الحياة لا تستمر بغياب نور الشمس ولا تؤلف بغياب نور القمر. أن نلاحظ أن الأمور المعتادة التي نجدها في الحياة مثل ضوء الشمس قد نحرم منها لأسباب بسيطة مثل أن يحول جرم سماوي بيننا وبينه. مخيف أن نفهم كيف أن الله لو شاء أن يديم علينا الظلام فلن يتطلب

ذلك منه أن ينزل الملائكة أو أن يأتي في ظلل من الغمام أو أن تسقط السماء علينا كسفًا، بل في الحقيقة يكفي لذلك أن تمر كرة صغيرة حجمها إلى حجم كل من الأرض والشمس: تافه! إنه كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]!؟

❁ **مخيف** أن نفهم كيف أننا نعيش على قطعة من الصخر تدور في فضاء سرمدي، وتدور معها وحولها قطع أخرى من الصخور والغازات والنيران المشتعلة، لا يوجد ما يضمن ألا يرتطم مسكننا الأرضي بشيء منهم، لا يوجد ما يمنع ألا نفنى تمامًا في لحظة يختل فيها توازن هذه الحركة الدورانية، لا يوجد من يستطيع توقع مصيرنا إذا انتهت لعبة الكراسي الموسيقية بينها، إنه كما قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩].

❁ **مخيف** أن نجد كيف أن كل شيء محسوب بإتقان، موزون بإحكام، مقصود في صنعه، منضود في نظمه، كيف أن كل هذا التقعيد من رب العالمين لا بد له غاية، وكل هذا التعقيد لا بد له من سبب. كيف أن من أتقن كل هذا الخلق لا يمكن أن تكون من صفاته الغفلة أو الجهل أو النسيان. فنخاف من أفعالنا نحن، إذ إن هذا إله يجب ألا يُعصى بطمأنينة، أو أن يُجهل بأمن! وفي ذلك قول الله -تعالى-: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].



لم أشأ أن أخبره بكل ذلك لأني أعلم أنه لن يفهم شيئًا منه أبدًا!

من الجيد أن تشعر بالاشمئزاز

كنتَ من قبل تفكر في كلمات من نصحك وأنت صغير بأن تحرص على علاقات جيدة بالله حتى يتيسر لك كل شيء في الدنيا، فصرتَ الآن تسأل نفسك بصوت حرصت على إنكار أنه قد خرج منك بعد ذلك: فيمَ سيضرني ذلك حقًا؟ كل شيء يسير على ما يرام. مشاريعي لا تزال قائمة، إنجازاتي لا تزال تتوالى، علاقاتي على أكمل وجه. وحين تسير الأمور على غير ما يرام، فلأن الأمور السيئة تحدث دائمًا.

كمثل تفاحة سقطت من شجرتها ثم تُرِكت لتجف، كانت روحك هي الأخرى تجف ببطء حين اخترتَ أن تسير مبتعدًا عن منابعها الدافئة.

كمثل التفاحة التي تتبخر منها عصارتها ببطء، لم تكن تفطن إلى أن حرارة شمس الأيام وهي تتوالى سوف تجيد تغييرك من الداخل بينما سوف تبدو قشرتها حمراء وكأنها طازجة دائمًا.

❁ **سوف يكون عليك أن تنتظر حتى تفهم.**

❁ **سوف يكون عليك** أن تنتظر حتى تختبر مرارة الجفاف. تلك الليالي التي سيراودك فيها حنين مفاجئ، حنين إلى أشخاص رحلوا كان ينبغي عليك أن تكون قد نسيتهم من زمن، وآخرين دُخلاء لا تدري من دعاهم إلى قلعتك لم يكن ينبغي عليك أن تعبأ بهم إلى كل هذا الحد. حنين إلى أوطان هي أوطانك ولكنك لم تزرها قط، وإلى معالم مدينة حالمة من صنع وجدانك كل ما فيها

جميل، وكل ما فيها لن يتحقق. وإلى كلمات تحتاج حقًا أن تسمعها ولا تقدر على وصفها بأي لغة من لغات العالم.

❁ **سوف يكون عليك** أن تنتظر حتى يقرصك برد الذكرى، العجيب في الذكرى أنها دائمًا مؤلمة! سوف يكون عليك أن تنتظر حتى تلمع أمام عينيك الرغبات الفاتنة، ترى هل هناك ما هو أشد وجعًا من عطش تائه يطفو على مياه البحر؟

❁ **سوف يكون عليك** أن تنتظر حتى تشعر بالغربة وسط الزحام، وبالوحدة بين أحبابك، وبالعجز رغم أدواتك، وبالتيه أسفل بيتك، وبالقهر داخل مملكتك، وبالأسى العميق الغامض يوم احتفالك بنجاحٍ جديد.

❁ **سوف يكون عليك** أن تنتظر حتى تفهم أن كل شيء لم يكن أبدًا على ما يرام! يا إلهي، كيف ظننت يومًا أنني سوف أقدر على الفرار من هذا؟ لا يوجد مفر ولا مخرج من هذا. كيف كنت أؤمّل أن تصمد ثمراتي المتساقطة تحت نيران الشمس غير العابئة بأهمية عصاراتها الدافقة؟

❁ **سوف يكون عليك** أن تنتظر حتى تفطن إلى أن الله هو الركيزة الوحيدة لضمان أن تكون للحقيقة حقيقة، لضمان ألا يتمدد الفراغ ليطول بواطن الأشياء، لتفسير جمال الجميل، وحسن الحِسان، ومعنى الألم، وسبب المشقة، وغاية البلاء.

❁ **سوف يكون عليك** أن تنتظر حتى تفطن إلى أنك بدونِ الله مادة، بدونه أنت جماد، بدونه أنت لغز، وتعيش في لغز، ومن حولك لا يفسرون الألغاز، بدونه أنت تتخبط، تتحير، تتردد، تتقطع إلى أجزاء. بدونه أنت مريض لا يُرجى برؤه، جائع لا ينتظر الطعام، عاشق يعيش في صومعة لا يعدونه فيها بالزواج.

❁ **سوف يكون عليك** أن تنتظر حتى تدرك أنك مجرد مسكين قد جفّ، وهذا عالمٌ لا يرحم أصحاب الجفاف!

❁ **إذا كنت غارقًا في مستنقع ملوث فمن الجيد أن تشعر بالاشمئزاز!**

اسمح لنفسك بأن تتقزز من نفسك أحيانًا. اسمح لها أن تشعر بالقذارة العالقة، بالجرائم السوداء، بالذنوب الكريهة والعيوب المخجلة. أحيانًا من الأصلح لنفسك ألا تتصالح معها، ألا تطبّع العلاقات مع أفعالها، ألا تشعرها بأنك على ما يرام.

❁ **أحيانًا** من الأفضل أن تكون على غير ما يرام. احزن بعض الشيء واشعر ببعض الندم، بالقليل من الغم والكثير من الحسرة. أطل النظر إلى الأرض وفكر في أفعالك الخفية واشعر ببعض الدونية!

❁ **من الجيد أحيانًا** أن تشعر بالخواء الروحي، بالشقاء الكوني، بالفراغ النفسي من كل حبور. من المفيد أحيانًا أن تشعر بالحاجة إلى مغسلة لروحك المتسخة.

❁ **قد يخبرك مدربو التنمية البشرية** أن نظرتك لنفسك تحدد من ستكون، عليك أن تنظر لها برفعة واعتزاز إذن. من الجميل أحيانًا أن تتجاهل مثل هذا الكلام.

❁ اشعر بالصدق يتخلل روحك وأنت ترى نفسك على حقيقتها. صارع وساوس الشيطان التي تخبرك أنك لو رددت إلى ربك لوجدت حتمًا خيرًا من هذا منقلبًا.

اتهم حالك، تشكك في مقامك، تساءل عن ذاتك، ابك على خطيئتك.

اندهاش ورقة شجر

❁ أول ما سمحوا لي بحمل ابنتي على ذراعي تسربت إلى ذهني فكرة واحدة: يجب علي أن أحمي هذا الشيء الهش.

يجب أن أحميها من أن يصطدم شيء برأسها الليّن، أو تقرصها بعوضة جائعة، أو أن تسمع صوتًا مخيفًا. يجب أن أحميها من سقطتها على الأسفلت حين تتعثر في الركض، ومن بثور الحصبة الألمانية في المدرسة، ومن نظرات مدرس الحساب المخيفة. شعرت أني يجب أن أحميها كذلك من تلك الطفلة الحمقاء التي ستضايقها بهمزها، أو ذلك الوغد السمج الذي سيعبث بقلبها. تبًا، أشعر من الآن بالغضب منهم بالفعل!

تمنيت لو أستطيع إطلاق قدر من الحنان يكفي للإحاطة بالجهات الستة لهذه الطفلة النائمة ليحميها من جميع الأخطار الصغيرة والكبيرة. شعرت بأن هذه هي الإجابة على جميع الأسئلة. هذا هو الهدف المنتظر لكل ما سبق من خطوات دنياي العابثة.

❁ **أطنان الطعام التي أكلتها**، ألعاب طفولتي الملطّخة بالطين، كتاب الدراسات الاجتماعية ومعمل الكمبيوتر وكل أخشاب الآركت المنحوتة على شكل ميكي ماوس. عاطفتي الجياشة الهائمة على وجهها، وأسئلتي الوجودية عبيطة المحتوى، وارتدادات أصداء حدسي حين يخطئ، واحتباسات أشجان ظني حين

يصيب. كل هذا وكل ذاك كان من أجل (لين).

❁ **شعرت** بحب غير مشروط، بحنان جارف لم أجربه من قبل، بانبهارة طفل يرى قوس قزحه الأول، بحماسة مهاجر رأى معالم وطنه الجديد، باندهاش ورقة شجر استقبلت ريحًا في الصباح فتقلّبت قليلًا تقاومها ثم تركت أصلها وذهبت معها سعيدة إلى اللامكان.

❁ **شعرت** بأنني لست سبب وجودها، بل هي موجودة في علم الله منذ الأزل، وأنا كنت أستعمل إمكانيات الحياة في الفترة الماضية فقط كي أنجبها. شعرت أنها على الأرجح هي السبب في وجودي.

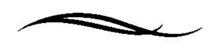
❁ **بالطبع** هذا كله غير صحيح! أعلم ذلك. كل نفس بما كسبت رهينة، وليس للإنسان إلا ما سعى، وفي خارطة الوجود فنحن أمام الله ﷻ مجموعة مستقلة من الأفراد، كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه.

أعلم كل ذلك وأدافع شعوري الأبوي الذي يخبرني أن حياتي كلها لطفلتي ومن بعدها من الأطفال بمزيج من الصعوبة والدهشة! أجاهد نفسي كي أحافظ على استقلال ذاتي وأشعر بدوار من أصيب بصدمة في مركز اتزانه، دوار لذيذ غير مؤذٍ ويجعله يتساءل ترى هل سيفيق منه؟ والسؤال الأهم: هل يريد أن يفيق منه؟!

❁ **هل هذا هو ما حملته لي يا أبي ولم تقل قط؟** هل هذا هو ما شعرتِ به يا أمي وحاولتِ شرحه لنا ولكنا لم نكن نصغي؟ هل هذا هو ما كان يختبئ صامتًا خلف قلوبكما مع كل فعل سلطوي أو نظرة حازمة أو ثورة غضب عارمة؟



❁ **هل هذه هي قطرة الرحمة التي أغرقتنا بها يا ربي** حين جعلت بيننا في الدنيا جزءًا من رحمتك وادّخرت عندك تسعةً وتسعين ليوم القيامة؟ هل هذه هي المظلة التي خلقتها لكل كائن جديد من خلقك، ضعيف مغلوب متهالك، يخطو عتبة دنيانا القاسية، لتحميه من أن يناله ضرر أو تصيبه لفحة أذى؟



هل هذا يا ربي الذي يدافعني ولا أقدر أن أقاومه هو فيض عطف من رحمتك؟





رميـــم

❀ **حين تناجي الله، فلا تُبالِ.**

لا تُبالِ بهندامك غير المنضبط، بعضلاتك المنقبضة على وضع غير مريح، بالحكة في أسفل ساعدك، بخصلات شعرك المتساقطة على عينيك، أو بالبعوضة على قدميك.

لا تُبالِ بكل التفاصيل الصغيرة. فهنا وفي هذا المحراب العظيم، تتوارى في خجل كل تفاصيلك الصغيرة.

❀ **حين تناجي الله**، فلا تُبالِ بكل تلك المترددات في صدرك، بكل المتحركات في وجدان ضميرك. لا تُبالِ بالأشياء التي تختفي قبل أن تولد، بالتساؤلات التي تتقاطع حين تتدافع، بالخواطر المخجلة التي تُعاد فور أن تُباد. لا تُبالِ بشكوكك، بظنونك، بجمودك، أو بالصدى الموحش القاسي الذي يعيده الشيطان في قلبك كلما ناديت وقلت: يا رب.

لا تُبالِ، فهنا وفي هذا المحراب العظيم، تتبدد كل الأصوات فور ما تسمع جلال الله يتبدّى من خشوع الصمت.

❀ **حين تناجي الله** فلا تُبالِ بمن أنت، ما أنت، أين أنت، لا تُبالِ بـ أنت، لا تُبالِ بـ هم أيضًا. لا تُبالِ بـ هي أو نحن. هنا، انتهت كل الضمائر، وصلت كل

العناوين إلى وجهتها، صارت كل الأشياء على حقيقتها. هنا، وفي هذا المحراب العظيم، لا يوجد إلا هو. لم يكن يوجد يومًا إلا هو. ولكنك لم تكن تعلم، الآن أنت تعلم. فماذا سوف تقول له؟

❁ **قد تقول له:** يا رب لا أراك ولا أبلغ ثناك. وثنائي عليك منقوص، واختيارات ألفاظي لا تليق، وحضور قلبي غير تام، وذنوب جوارحي قبّحت منظري، وآثام روحي لطّخت جوهري، ووصولي إليك غير مضمون، وعزم أمري غير مأمون، ووقوفي بين يديك شديد، وعرضي عليك يوم الدين أشد. وأجدني يا رب مع ذلك أقسى من كل ذلك. ودموعي أجف من أن تبكي، وأبخل من أن تتباكى.

❁ **قد تقول له:** يا رب أشعر بالخجل!

حينها فلا تُبالِ، فهنا، وفي هذا المحراب العظيم، كُتِبَ على كل ابن آدم نصيبه من الخجل.

❁ **قد تقول له:** يا رب أنا ذليل، أنا مُكبَّل. أنا محبوسٌ بالذنب منحوس، أنا مكبوسٌ بالوهم متعوس. أنا المدسوس بين الصالحين متخفيًا، أنا المنكوس في الظلمات مترديًا. يا رب أنا الكذاب، أنا المسرف المرتاب، أنا الذي كنتُ هنا أناجيك من قبل، وقلتُ نفس الكلمات وكانت أحقّ، وذرفت ذات العَبَرات وكانت أصدق. ثم لحقتُ بما لحقت، وفعلتُ ما فعلت، ولم أُراعِ وداد لحظة، أو أمانة عهد!

❁ **فماذا سوف تفعل فيَّ يا رب؟**

لا تُبالِ، فهنا، وفي هذا المحراب العظيم، لا يأتي الله برجل ليُناجِيَه، وهو يريد أن يُجافِيَه.



❁ **قد تقول له:** يا رب، ها أنا ذا. فردٌ من جملة خلقك، وغيري يوجد كثير. ويناجيك غيري كثير. فماذا يميزني أنا عنهم؟ ومن أكون إن لم أكن شيئًا عندك؟! وهل يوجد غيرك من يجعل العدم شيئًا؟ وهل يوجد غيرك من يرزق الآيس فيئًا؟

❁ **أنا الحيران، أنا الولهان،** أنا الوسنان بغفلاتي. أنا المستاء، أنا البطّاء، أنا الخطّاء بخطواتي. أنا المقطوع، أنا المدفوع، أنا المخدوع بخيراتي.



حين تناجي الله، سوف تجد أنك في الحقيقة مريض، مقذوف بالسهام، آخرُ في الزحام، مجرّد ميّت، أو حطام، أو رميم من العظام.

فحينها، لا تُبال. فهنا، وفي هذا المحراب العظيم، يحيي الله العظام وهي رميم.

لربما هو هناك الآن غضبان

❁ **ننسى الله ببساطة في كل لحظات النعيم**، نذكره فقط في الشدة، هل تعلمون ما الحزين في الأمر؟ أن الله لا يكره ذلك منا. لا يكره أن نذكره في الشدة. هو هناك دائمًا باسط ليديه لنتوب إليه ونلتجئ في الأوقات الصعبة، ولكن الحقيقة أننا للأسف لا نذكره الآن في هذه اللحظات القاسية لنتوب، ولكن لنتسخط عليه! سوف نحرص دائمًا على أن ننسى الله في كل مرة نشبع فيها، ولكننا لا ننسى أن نسأله في غضب عن سبب تأخر وجبة الطعام حين نجوع!

❁ **نتجاوز في كل يوم مراحل جديدة من الجرأة على الله**. نقطع بسرعة تلك المسافات نحو حدود سياج الإيمان البعيدة. نقف على عتبات الكبائر ونتساءل ترى إلى أي حد هي لذيذة؟ وبعد ما نشبع من الخطايا نقول: توبة. ونعلم ويعلم الله أنها ليست توبة، نحن فقط غير جائعين الآن.

❁ **تلين مبادئنا وتقسو قلوبنا**، ننسى خطايانا ولن ننسى أبدًا ما نراه من أفضالنا، تتضخم الأنا ويضعف الضمير، نصبح أسرع غضبًا، أسهل استسلامًا، أبرد حماسًا للخير.

❁ **نعامل الله بما هو أسوأ في كل يوم!**

يرزقنا الله بالنعم في خفاء فنتساءل هل هذه النعم من الله فعلاً؟ أنا لا أراه. يرزقنا الله بالنعم في كثرة فنتساءل هل يعطينا الله النعم فعلًا أم أنها



كانت في حياتنا دائمًا؟ يرزقنا الله بالنعم في لحظات الحاجة، فنأخذ حاجتنا، وقلّما نقول يا رب شكرًا. يرزقنا الله بالنعم في لحظات العصيان، فنتقوّى بها على المعصية. ثم لا نقول يا رب عذرًا.

يسترنا الله في الذنب فنصبح أكثر اطمئنانًا في المرة القادمة. يحسّن الله سيرتنا وسط الناس فنستمع إلى مدحهم ونزداد غرورًا. يعلمنا الله بعد جهل فنسكت برهة، وننظر للناس خلسة، ونقول في أنفسنا: نحن أعلى منهم وأجل!

يستمع الله لكل ذلك فيأمر ملائكته أن يمهلونا. وبعد أن يزداد ما نحن فيه من السوء يلهم ملائكته أن استغفروا لهم.

❁ يعاملنا الله بما هو أجمل في كل يوم!



هل تعلمون ما المخيف في الأمر؟

أن الله حين صبر على هذه الوقاحة منا كل هذه السنين البائدة، حين كان يستقبل منا القبيح بجميله، وذنبنا بستره، لا يعني كل ذلك بالضرورة أنه قد عفا عنا أو سامح! هو فقط حليم. لربما هو لم يسامحنا على ذلك قط!

لربما هو هناك الآن غضبان علينا تفصلنا عنه سنوات معدودة ثم نقبل عليه!





فوضى اليد الغريبة

❁ هل تثق في يدك اليسرى أنها ليست تحت سيطرة عدو خارجي قد حل فيها كشبح احتلّها ويوجهها لمصالحه؟! مرضى (متلازمة اليد الغريبة) لا يثقون في ذلك أبدًا!

أول وصف تاريخي لهذا المرض كان من الطبيبة الألمانية (كورت جولدشتاين) في ١٩٠٨ حيث سجّلت حالة مريضة تعاني من الشعور بأن هناك من يتحكم في يدها اليسرى، هناك حالات أخرى سُجّلت لأشخاص يحاولون التقاط قطعة ملابس فتلتقط يدهم قطعة ملابس أخرى تمامًا، وهناك منهم من يحاول عناق زوجته فتقوم يدهم اليسرى بلكمها في وجهها بدلًا من ذلك!

نال الدكتور (روجر سبيري) جائزة نوبل في ١٩٨١ لاكتشافه أن نصفي المخ غير متطابقين ويختلفان في الوظائف -على الأرجح أنت قد سمعت عن ذلك من كتب التنمية البشرية-. لاحظ الدكتور سبيري أنه عندما يقوم بفصل الاتصال العصبي بين نصفي كرة المخ يدخل المريض في متلازمة اليد الغريبة تلك.

نصف المخ الأيمن أكثر إبداعًا وخيالًا، والنصف الأيسر أكثر منطقية، ولكن الأيسر هو المُخوّل بإصدار القرارت النهائية في حالات الاختلاف. ويسيطر المخ الأيسر على الأيمن عن طريق قناة عصبية تدعى الجسم الثفني (Corpus Callosum) في حالة إصابة هذا الجسم أو قطعه جراحيًا -وهو

ما يقوم به الأطباء في بعض حالات الصرع الشديد- يفقد النصف الأيسر من المخ السيطرة على النصف الأيمن. ويُطلق على هذه الحالة اسم: المخ المنشطر Split Brain ولأن النصف الأيمن يتحكم في حركات الجانب الأيسر من الجسم، فإنه يستقل باليد اليسرى مثلًا لحسابه عن إرادة صاحب الجسد نفسه.

كأنه دولة داخل دولة، فإن المخ الأيمن إنسان داخل الإنسان! والبشر الطبيعيون مثلي ومثلك لا يظهر عليهم تلك الحرب الدائمة بين نصفي المخ الّذين هما كما أظهرت أبحاث سبيري أقرب لدماغين مستقلين أحدهما عن الآخر.

هل يمكن توجيه الأسئلة لهذين الدماغين بشكل مستقل بحيث لا يعرف كل منهما السؤال الذي وصل للدماغ الآخر؟! نعم.

فنصف مجالك البصري ككل يذهب للأيمن، والنصف الآخر يذهب للأيسر، فيمكن باستخدام نظارات خاصة توجيه رسالة بصرية سرية لكل نصف منهما، وهذه هي التجربة التي قام بها دكتور (مايكل جازانيجا) حيث سأل الدماغ الأيسر للمريض: ماذا تريد أن تصبح بعد التخرج؟ فأجاب: رسام. ولما سأل الدماغ الأيمن لنفس المريض رسم بحروف السكرابل كلمة: متسابق سيارات! لاحظ أن الدماغ الأيمن لا يملك السيطرة على اللسان، فأجاب حينها بطريقته الخاصة.

❁ إنه وكأن كلا دماغيْك يملك خططًا مختلفة للمستقبل!

ماذا يمكن أن يحدث للإنسان وهو نتاج حالة تنازع بين دماغين؟ يرى كل منهما نصف العالم، ويتحكم كل منهما في نصف الجسد، ويفكر كل منهما من زاوية مختلفة، وبطريقة مغايرة، وبينما يحاول أحدهما تسلق عوالم الخيال

والماوراء، يتمسك الآخر بالواقع وبالمنطق، وبينما يسيطر أحدهما على اللغة، يتحكم الآخر في العاطفة!

❁ **هل يمكن أن يكون هذا أحد الأسباب الكامنة حول الاضطراب الدائم والقلق المزمن الذي يعاني منه الإنسان بطبعه؟** هل يمكن أن يكون هذا هو سر الطموح الإنساني والحركة الدائمة وعدم القدرة على السكون كحال أي شيء تحركه قوتان متساويتان في القوة ومتضادتان في الاتجاه؟ هل يمكن أن يكون ذلك هو السبب في ازدواجية الرغبات الإنسانية التي لطالما حيرت الفلاسفة وتغنى بها الأدباء؟



الإنسان ذلك الكائن المضطرب الذي يتعلم في كل يوم أن ليس من اضطرابه فكاك، ذلك الكائن الناقص الذي تبرهن له التجارب أن ليس لنقصه اكتمال، ذلك الكائن المتحيّر الذي يتردد بين رغبتي وعيين، يختلفان في الهدف ويتفقان في الاحتياج!

الإنسان، ذلك المسكين!



ظل امتدادك المزيف

❁ **جاءتني رسالة مؤلمة**، تقول صاحبة الرسالة أنها تفاجأت بأن ابنتها ذات الأربعة عشر ربيعًا لها صور عارية على الإنترنت، وأن هذه الصور انتشرت وسط دائرة معارفها وأصدقائها بما جعل سمعة الفتاة في الحضيض. تقول صاحبة الرسالة أن ابنتها لم تنكر ذلك وذكرت أن كل البنات في الفصل في المدرسة تظهر صدرها للزملاء وإلا أصبحت محل سخرية منهم واستهزاء، حيث إنه فصل (بويز وجيرلز) على حد تعبير صاحبة الرسالة التي ختمتها بأنها تشعر بالندم ولا تعرف ماذا تفعل.

ما زال هناك احتمال قائم بأن تكون الرسالة من تأليف مراهق حزين حياته بائسة ويسعى إلى جذب الانتباه بأي طريقة كانت، ولو كانت رسالة حقيقية -ولا أستبعد ذلك- فأنا ليس لدي الكثير لأقوله لصاحبتها للأسف، التي أنا حزين بالفعل لأجلها وأجل ابنتها.

❁ **الفضائح ليست نهاية حياة الإنسان**، والله ﷻ لما خلقنا خلق لنا جهاز النسيان الرائع الذي يعيننا على تجاوز كل الآلام التي خلقها معنا في هذه الحياة. كما أن الله ﷻ يقبل التوبة من العبد، فإن لم يقبلها البشر فتبًا لهم في كل وقت وحين.

❁ **أنا متعاطف معهم بالفعل كإنسان**، ولا أسمح لنفسي باتخاذ ألمهم كوسيلة لتوجيه آرائي في الحياة، ولكني على النقيض أشعر بغصة في حلقي أحتاج إلى إفراغها بشكل ما. لذلك تحملوني في بضعة سطور قليلة قادمة قد يكون بها شيء من القسوة.

ما الذي كانت تتوقعه هذه الأم من فتاة في فصل مختلط في سن مخيفة مع مجموعة من الأولاد الذين هم (بويز)، ومجموعة من البنات الذين هم (جيرلز) في نمط اجتماعي يبدو عليه التحرر، ونمط ثقافي تبدو فوارقه نحيفة؟

❁ **ذكرتني تلك الرسالة برسالة أخرى** عن رجل سافرت ابنته إلى الولايات المتحدة في منحة علمية لمدة عام، وبعد أن انقضى العام رفضت العودة إلى بلدها، لأنها ألحدت هناك وتزوجت.

❁ **ولنحاول أن نتجرد قليلًا من كل الأقنعة الاجتماعية** التي نحاول أن ندعيها. أعلم أنك لن تعترف أبدًا بهذه الأشياء ولكني سأخبرك بها على كل حال.

❁ **حين توافقين / تشجعين / تهتمين بأن تلبس ابنتك ملابس مثيرة**، فربما أنتِ تفعلين ذلك لدواعي الموضة أو التحضّر المدني أو المظاهر الاجتماعية، أو ربما لأجل جذب أكبر عدد ممكن من المتقدمين للزواج لفرزهم وانتقاء الأفضل كما يفعل مربّي الماشية. ولكن لربما أنتِ تفعلين ذلك في الحقيقة لأن ابنتك هي امتداد لكِ بطريقة أو بأخرى، لربما أنتِ تفعلين ذلك لأنك تستمتعين بأن تلبس ابنتك ملابس مثيرة كما لو كنتِ أنتِ من يفعل.

❁ **وحين تتجاهل العلاقات الرومانسية** التي أنت غير متأكد من أبعادها بالضبط والتي يقوم بها ابنك في المدرسة أو الجامعة، فلربما أنت تعتبرها

علامة صحية على البلوغ والنضوج، أو لأن تفكيرك الرجعي جعلك تعتبر أن الكروموسوم (واي) الذي يحمله ابنك يعطيه الحق في فعل ما يشاء، ولكن لربما أنت في الواقع تستمتع بذلك كما لو كنت أنتَ الذي يفعل، بل وربما حتى أنت من داخلك فخور بابنك كما -مجددًا- يفعل مربي الماشية.

ربما لظروف ما كانت لنا حدود لم نحبها، فصرنا نقول سوف أرسم لأولادي حدودًا أبعد من ذلك بقليل، سوف أمنحهم الحياة التي كنت أتمناها لنفسي. وهكذا يصير أولادنا النسخة الأكثر تحررًا منا، النسخة الأكثر انطلاقًا في ملذات الحياة.



والآن (جيس وات)، هم لن يتوقفوا عند الحدود التي رسمتها لهم في خيالك، لأنهم ببساطة ليسوا أنت، ولأنهم لم يكونوا يومًا كذلك!

الضفدع الميّت على العرش الذهبي

❁ انتشر منشور على الفيسبوك، من النوع الذي يحمل دائمًا كلمات مثل: بعض الناس مثل كذا فافعل معهم كذا، نوعية منثورات الحكمة على ظهور التكاتك التي تضل طريقها دائمًا وتصل إلينا بطريقة ما وتتحدث جميعها عن خيانة الأصدقاء والبكاء على أطلال الوفاء.

كان المنشور يقول: (لو وضعت ضفدعًا على عرش ذهبي سوف يتركه ويقفز في المستنقع). ثم يختم المنشور بالطبع: بعض الناس تحن إلى أصولها مهما أحسنت إليها!

❁ **الحقيقة** أن الضفدع من البرمائيات والتي تملك جميعًا دماء باردة، ومعنى كلمة دماء باردة أي إن جسدها لا يملك طريقة لتنظيم حرارة الجسم مثلنا، فلو خرجت من الماء وعاشت على اليابسة سيجف جسدها تمامًا لأن جلدها رطب رقيق لن يحميها من حرارة الجو، وهذا هو سر أن البرمائيات تتردد طوال الوقت بين الماء واليابسة.

❁ **إذن** لقد كان الضفدع على حق، لأنه لو لم يقفز في المستنقع سوف يموت بأناقة بلهاء على ظهر العرش الذهبي.

❁ **نبهني أحدهم** أيضًا من قبل بأنه قد لاحظ أن الناس في الماضي لم يكونوا يضحكون كثيرًا وكانوا أقرب إلى التحفظ، والدليل على ذلك أنهم

يظهرون في صورهم القديمة في أوائل القرن العشرين وهم في عبوس كامل وضيق واضح يعلو وجوههم.

❁ **الفكرة** أن الكاميرات العتيقة في الماضي كانت تسجل الضوء الصادر لمدة طويلة جدًا، كان لا بد للناس وقتها أن يحافظوا على وجوههم جامدة عابسة حتى لا تتعب عضلات الابتسام أو الضحك الخاصة بهم، لأن التقاط الصورة فقط قد يستغرق عشرين دقيقة!

أمتعض من هؤلاء الذين يطلقون رأيهم فيما يجب أن يفعله الآخرون بشجاعة وثقة كاملة، من دون أن يضعوا في اعتبارهم الظروف الكاملة لهؤلاء الآخرين. والتي في كثير من الأحيان تختلف كليًا عن ظروفك الشخصية التي قد تكون ملائمة لهذا الرأي أو ذاك التوجيه.

يحدثك الناس بحماسة وثقة عن كل الخيارات الحكيمة التي يجب أن تتخذها في دراستك أو عملك أو زواجك. ولكن الحقيقة أن ثقتهم مثيرة للغموض، ما عدد التجارب التي خاضها هذا الرجل أو ذاك فيما يخص المجال الذي يوجهك فيه؟ في أغلب الأحيان هي تجربته الشخصية فقط. أي إنه سوف ينصحك بالمسارعة بالزواج من امرأة سوريّة فقط لأن زوجته لحسن حظه تجيد صنع الفتّوش!

❁ **ابذل النصح للناس جميعًا** في كل ما يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم، ومما عاهد النبي ﷺ عليه صحابته أن يبذلوا النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم. أنا فقط أدعوك إلى أن تقلل من تقديرك الشخصي لحجم قدرتك وكفاءتك في إدارة حياة المحيطين بك، خصوصًا لو امتد ذلك من مجرد

إدارة إلى تحكم كامل، وهذا ما سوف يحدث لو تعاملت بنفس هذه الثقة مع ابنك أو أخيك الصغير أو صديقك الذي يثق بك.

❁ **اطلب النصح من الناس جميعًا**، وشر الناس وأبعدهم عن تحقيق مصالحهم من يمشي بين الناس بدون نصيحة أو نقد أو تصحيح مسار. لكن عليك أن تمتص كل ما تسمعه بأذنيك وتبقيه هناك فترة كافية لمراجعته ومعالجته وتصفيته قبل أن يصل إلى قلبك. ليس هذا عن ثقة زائفة في النفس، ولكن لأنك في حياتك الخاصة، ومهما كان قرب الآخرين منك، ومهما كان حرصهم عليك، ففي كثير من الأحيان تكون أنت فقط من يعلم بالظبط أين يقرصه الحذاء، وقد يراك الناس وأنت تقفز في المستنقع، ولا يعلمون أنك لو بقيت على العرش الذهبي لَمِتَّ.



يقول المثل الإنجليزي: «مرتدي الحذاء هو فقط من يعلم أين يقرصه»! ويقابل ذلك عند العرب قولهم: «أهل مكة أدرى بشعابها».



دعوة للركض المفتوح

❁ حائط غرفة النوم كان يُهدم فوق رؤوسنا أنا وزوجتي، أو هكذا بدا لنا الأمر من هول الصوت الذي أيقظنا مفزوعين في صباح يوم الجمعة. تبين أنها أعمال إنشاءات وتجهيزات في الشقة المجاورة لنا. ذهبت إليهم، كان هناك عاملان يجهّزان الشقة الجديدة غير المسكونة بعد، طلبت منهم تأجيل العمل لبعد صلاة الجمعة على الأقل حتى يتسنى لنا النوم في يوم الإجازة الوحيد، فرد علي العامل: «يكفي ما نمتَه، وقد حان الوقت للاستيقاظ»! لا لم يكن يشبه الست والدتي في شيء إن كان هذا خطر ببالك.

كان الأمر غريبًا من الناحية الاجتماعية، ومن الناحية الأخلاقية أيضًا فالحق معي وليس له أن يضرنا هذا الضرر ثم يتبجح. وأي مشاجرة جسدية معه فهي محسومة (وسأحاول أن أدّعي أنها محسومة لأنه يمسك في يديه بعتلة وأزميل وليس بسبب كتلته العضلية). الحل الوحيد إذن كان أن أتصل بصاحب البيت الذي يعمل فيه لأشتكيه، طلبتُ من العامل رقم هاتف صاحب البيت فرفض بالطبع. وهنا فعلت الشيء المنطقي الوحيد في هذه المشاجرة، دخلتُ إلى بيتي والتهمتُ أعصابي على مائدة الإفطار!

❁ **في النهاية، ما هي السلطة؟** هي الضمان بأن كل شخص عنده شخص أعلى منه يخاف منه وينزجر بزجره، في حالة عامل الكهرباء ولأنه

لم يكن لدي وصول لهذا الشخص صرت في موقف ضعيف تمامًا لا أملك فيه أن أفعل أي شيء.

حتى أعتى وأعته مجرمي التاريخ من أصحاب السلطة المطلقة مثل ستالين أو كاليجولا أو كيم جونغ أون، كل هؤلاء لديهم من يخافون منه، ربما كان ولاء قادة جيوشهم أو حرسهم الشخصي والذين قتلوا كاليجولا بالفعل في النهاية، أو كان اتقاء غضب حلفائهم السياسيين مثل ستالين الذي كادت دولته تتدمر تحت طمع حليفه السابق هتلر.

۞ **لماذا** أشار الله ﷻ بعد ذكره إهلاك قوم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد إلى أنه لم يخش عاقبة ذلك؟ ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١٤، ١٥]. من ذا الذي جرؤ أن يتصور أن الله قد يخاف عاقبة أفعاله؟ أم أنه مجرد تذكير لنا بسلطة الله المطلقة وبأن الله لن يسائِلَه أحد ولن يراجعه مراجع؟

۞ **بل وماذا لو أراد الله -والعياذ بالله- أن يظلم؟** ماذا لو رغب في أن ينتقم من شخص كرهه بظلم أو بغير حق؟ من الذي سيقف في طريقه؟ من الذي سيعترض؟ هل يوجد من يخاف منه الله ﷻ؟! إن تحريم الله الظلم على نفسه هو الضمان الوحيد الذي حمانا من ذلك. لو أراد الله أن يظلم فلم يكن سيمنعه أحد، ولكنه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وإن تكُ حسنة يضاعفها، ثم يؤتِ بعد ذلك من لدنه أجرًا عظيمًا.

وجه الله دعوة واضحة حقيقية للجميع للفرار منه! دعانا لأن نولي هاربين ونجري تجاه آخر بقعة لا يقدر علينا فيها! ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ﴾ [الرحمن: ٣٣]. من يقدر على الركض فليركض



من هنا، سيكون هذا أفضل له! ولكن هل يستطيع أحد أن يفعل ذلك؟ وهل نقدر على النفاذ إلا بسلطان؟ وهل نقدر أن نصل إلى مكان خارج عن سلطات الإله؟

كيف لا نرتجف رعبًا ممن لا يوجد فوقه رئيس أو حوله رقيب أو يقف أي حلفاء بجانبه؟ كيف نأمن على أنفسنا من ذلك الذي لو أراد أن يعذب جميع خلقه لما استطاع أحد أن يمنعه؟ ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]؟! كيف لا نخاف عاقبة أفعالنا ممن لا يخاف من أحد عاقبة أفعاله؟!

❁ **علينا أن نخاف من الله!**

❁ **لأن الأمر مخيف بالفعل!**

❁ **فلو قال لك رجل إنه سيفعل فيك ما يشاء، هل تشعر بالحب، بالأمان، بالأمل أم بالخوف الشديد؟**

هل تشعر بالطمأنينة حين تتعامل مع صاحب سلطة مطلقة لا يوجد ما لا يستطيع أن يفعله؟

هل تشعر بكبير راحة حين تعلم أن رأيك فيما يخص ما يحدث فيك لن يعتبر، موقف الناس لن يهم، لا توجد منظمات تكافح من أجلك، لا توجد استئنافات للمحاكمات الخاصة بك، لا يوجد ما يمنع ذلك الحاكم المطلق من أن ينفذ فيك ما يريده؟

ما يريده فقط! هذا هو ما سيفعله فيك، ليس ما فيه راحة لك، ليس ما تظن أنك تستحقه، ليس ما كان في حسبانك. فقط ما يريده هو أن يتم، سوف يتم.

❁ **ولكن..**

ماذا لو كانت هناك وسيلة لجعلك تشعر بالراحة برغم موقفك الذي لا تحسد عليه؟ وماذا لو كانت هذه الوسيلة مهداة إليك من هذا الحاكم الجبار؟! ماذا لو كان يحرص على أن يخبرك بأنه غفور بعد أن يحكي لك عن بطشه؟ ماذا لو كان يؤكد لك أنه ودود قبل أن يذكرك بمجده؟ ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٤-١٦]!



ماذا لو كان هذا الفعال لما يريد اختار أن يفعل فيك ما تريد؟!



عوّامات إنقاذ تلتصق بالأسنان

❁ لو ذهبت إلى شاطئ بحر منعش جميل ووجدتَ لافتة معلقة مكتوب عليها: (نعتذر إليكم على عدم توافرسباحي إنقاذ. لا ننصح بنزول الماء إلا في حالة كنت تجيد السباحة).

ثم وجدتَ نفسك فعلًا لا تستطيع السباحة، ولكن منذ متى وأنت بتهتم بهذه التفاصيل؟ قلت لنفسك: صحيح أني لا أجيد السباحة ولكني ذكي، ووالدي مستشار وابن خالتي يدرس دكتوراه في أمريكا، هذا غير أن معي درجة الماجستير في الكيمياء الحيوية، يعني جوانب الـ awesomeness في حياتي كثيرة.

فبالتالي قررت أن تنزل المياة بالفعل، ومع ازدياد موجات البحر العالية اكتشفت حقيقة جديدة.. ما هذا؟ أنت تغرق!

قمت بالإشارة إلى الناس على الشاطئ ليقوموا بإنقاذك، فلم يتحرك أحد بطبيعة الحال وأشاروا لك على اللافتة المعلقة: لا توجد فرق إنقاذ محترفة هنا، المفترض أن تكون هناك، لكن الواقع للأسف يقول إنه لا يوجد، وهناك لافتة مسبقة بذلك بالفعل فليس عليهم خطأ، لم يخدعك أحد!

ولكن لأن الناس لن يتركوك تغرق فقد حاولوا مساعدتك بأي شيء، رموا لك حبلًا وعوامة، هذا أثار استغرابك جدًا، لأن العوامة تحتاج إلى أن تسبح لها

وتمسك بها بإحكام ثم تتمسك بالحبل وكل هذا يحتاج إلى جهد، وبصراحة لا يوجد لديك وقت لكل هذا الجهد، لأنك صحيح تغرق، ولكن لديك مشاغلك! وخطوبتك قريبة ولديك عمل خمسة أيام في الأسبوع، والدوري الإنجليزي مشتعل، والصراحة أنت أصلاً لا تحب مذاق العوامات، إنها تلتصق بأسنانك باستمرار.

❁ **لذلك قلتَ لهم:** بالتأكيد لا، ما هذا الهراء؟! لن أتمسك أنا في عوامات، ارتقوا إلى متطلبات العصر الحديث وأرسلوا لي فرق إنقاذ محترفة تأتي لي في مكاني وتسحبني بلطف بدون أن تصيب جلدي بالخدوش، يكفيه ما أصابه من حرارة الشمس، ويا حبذا لو يأتون لي في يوم خميس وجمعة فقط من ٧ لـ ٨ لأني منشغل في غير هذا الوقت، وأحذركم من أن تأتي فرقة الإنقاذ لي بدون ملابس رسمية! لأن منظر ملابس الصحر يضايقني الحقيقة ووقتها لن أتمكن من الخروج معهم لإخراجي، أم أنكم سوف تتركونني أغرق؟ والله يبدو أنكم تريدون تركي أغرق بالفعل!

❁ **فالناس على الشاطئ سوف يقولون لك:** والله يا سيدي الفاضل كنا نتمنى لو كان هذا موجودًا، ولكن للأسف هذا كل ما هو متوفر حاليًا، فنحن سوف نترك لك هذه العوامة هناك بحيث لو أردتَ أن تنقذ نفسك وتتحمل مضايقتها لك والتصاقها بأسنانك، وبالمناسبة لم ينصحك أحد بأن تضعها في فمك. وسنضطر نحن للرحيل لأن لدينا من المشاغل ما يكفينا -من أخبرك أن حياتنا تتوقف فقط على محاولات إنقاذك؟!- ولو لم ترد أن تساعد نفسك فسوف تضطر للغرق للأسف، هذا سوف يحزننا بشدة لا حول ولا قوة إلا بالله، وسلامنا لسيادة المستشار.



فالفكرة يا سيدي أن بحر الشبهات الذي تصر على أن تدخله لأنك مطّلع أو لديك نية طيبة فعلًا في المعرفة أو حتى (باحث عن الحقيقة) مثل الذين يتسلقون الجبال بحثًا عن رهبان الحكمة في أفلام (الأنمي) أو أيًا يكن، فنستأذنك فقط أن تتأكد أولًا من قدرتك على السباحة.

يعني يكون لديك أي خلفية عن العقيدة التي تعتنقها أصلًا وعن كلام علماء الدين في تأويل وتفسير الآيات والأحاديث المُشكَلة، وعن السبب الذي يجعلك صاحب هذه العقيدة بذاتها دون غيرها، هذا غير بعض مبادئ أساسية في العقل والمنطق والفلسفة سوف تحتاجها كي تفهم اللغة التي يتم الحديث بها فتستطيع أن تحدد من الذي يخدعك منهم. ويا حبذا لو خلفية لا بأس بها في أساسيات العلوم الطبيعية بما أنها الملصق الجميل الذي يغلفون به عبوات الطعام المفيدة ويغلفون بها صفائح الزبالة أيضًا، فمن المهم أن تعرف أكثر عن هذا الملصق وحدوده ويا ترى تحته توجد حلوى أم بعض سمك الفسيخ.

وقتها اسبح كما تشاء يا سيدي، البحر منعش الهواء والفضول يقتل القطط وكل فروع المعرفة البنائية مفيدة لا شك.

❁ **وأما لو خضت البحر دون تعلم السباحة**، أو كنتَ تظن أنك تقدر عليها وتبين العكس، فهذا خطأ من الوارد أن يحدث من أي واحد منا، والمفترض الصراحة تكون لدينا فرق إنقاذ على أعلى مستوى.. ندوات وصالونات ثقافية، وفيديوهات تعليمية بمونتاج رائع شبيه بأفلام هوليود حتى لا تصاب بالملل أثناء المشاهدة، وأفلام وثائقية شيقة، ومدارس فلسفية تتشاجر بأناقة في المجلات الثقافية، وتقريب للتراث القديم في صور جديدة براقة لامعة تليق

بكل متخصصين الكيمياء الحيوية، ومناظرات، ومؤتمرات علمية وثقافية، و(ترابيزات بلياردو وبنج).

❁ **لكن للأسف** الواقع يقول إن كل هذه الأشياء غير موجودة بصورتها الكاملة الجميلة، ولا توجد فرق إنقاذ محترفة لانتشالك، أنا آسف أني أخبرك بهذه الحقيقة الموجعة ولكن لا أريد أن أكذب عليك.

فما هو موجود الآن عوامات إنقاذ لزجة قد تكون قبيحة المنظر، ومن سيتولى إلقاءها لك أناس غير متخصصين في الفلسفة والعلوم الطبيعية بملابسهم الرسمية كما كنت تتمنى، للأسف سوف يكونون أصحاب مهن عملية ومشاغل مختلفة كتبوا كتبًا ومقالات ومدونات وصنعوا فيديوهات غير شيقة في وقت فراغهم وسموها (عوامات اضطرارية لهؤلاء الرائعين الذين خاضوا البحر دون تعلم السباحة).

❁ **والكتب للأسف** قد لا تكون على نفس مستوى عقلك المنطقي المرتب وقد تضايق رفاق (المغالطات المنطقية كيدز) كما أن صفحاتها لا تحتوي على صور أو موسيقى تصويرية جذابة وقد تكون فيها مصطلحات غير مفهومة بالنسبة إليك وتصيبك بالملل سريعًا، هذا غير أنك أصلا لا تحب الكتب! هل ستقرأ كتبًا في عصر السمارت فون؟! ارتقوا يا أهل الكهف. أنا أريد فيديو دقيقتين أسمعه أثناء التهامي لشطيرة العشاء ينهي كل شيء ويجيب عن لغز الوجود وفلسفة العلوم ومآلات الحيرة الإنسانية وتوقعات الفانتازي في الدوري الإنجليزي.

فالرد سوف يكون مثلما اتفقنا: والله هذا هو كل الموجود وسيحاول هؤلاء الناس إن شاء الله عمل ما هو أفضل، ولكن إلى أن يحدث هذا أريدك أن ترهق

نفسك قليلا مثلما أرهقتَ نفسك أثناء اقتحام البحر وتحاول تقرأ أو تشاهد الفيديوهات غير المثيرة على الإطلاق التي تم صنعها على عجالة. وحين تخرج من البحر بالسلامة فهناك مدرسة سباحة صغيرة -غير لائقة بك أيضًا- تم إنشاؤها لمحبي البحار لضمان عدم غرقهم مرة أخرى، تمام؟

❁ **لو أنك لا تريد**، ومصرٌّ على الغرق، فنحن سوف نكون في غاية الحزن والله، لا حول ولا قوة إلا بالله، سوف نذهب نحن إلى مشاغلنا، وسلامنا لسيادة المستشار.



❁ **وذكرني يا رب بنفسي** التي قد ضاعت مني.

❁ **ذكرني بنفسي** التي دخلت بها عالمك الرحب حين كانت صغيرة، تهفو إلى متع الحياة البريئة، فلما اقتربت منك عرفت أنها قد وصلت إلى جهة وصولها مبكرًا، وكان كل أملها ألا تحيد عنك يومًا. ذكرني يا رب بنفسي التي أراها اليوم بعد أن حادت عنك كثيرًا.

❁ **ذكرني بوعودي** التي عاهدت بها صورة المرآة، بأحلامي التي خططتها بقلمي القصير، بكلماتي التي تفوهت بها في المدرسة بصوتي الطفولي أعلن فيها حبي لك، بالعبارات التي نقشتها على جدران قلبي مقتبسًا إياها من آيات القرآن. ذكرني يا رب باقتباساتي من القرآن.

❁ **ذكرني بأمواج البحر** التي راقبتها تتدافع على الصخور فارتعبت من زمان تتدافع فيه الفتن على قلبي كما يتدافع هذا الموج، من زمان يُحال فيه قلبي إلى جلمود مثل هذا الصخر، من زمان تترسب عليّ فيه لَطَخات الأيادي الآثمة مثل هذه الطحالب الخضراء اللازبة. ذكرني بخوفي من طحالب الحياة اللازبة.

❁ **ذكرني بالوردات** التي قطفتها من الحديقة أتأمل فيها جمال صنعك وتساءلت عن الجمال الكامن في الإمكان، وبالعَبرات التي مسحتها عن وجهي سريعًا في المحاضرة حين عرّفوني على كمال رحمتك في خلق الإنسان، وبملمس حصير المسجد الخشن على جبهتي حين تساءلت إن كانت أعواد الحصير سوف

تشهد لي يوم القيامة أني قد ذقت حلاوة الكلام معك. ذكرني يا رب بكل تلك الكلمات التي أجريتها على لساني يوم تكلمتُ معك.

❁ **ذكرني بصلاتي** الخاطئة المتعجلة المتعثرة المترنحة في صفوف المسجد الأخيرة التي كانت أفضل من صلاتي كبيرًا حين صليتها بوقار واتزان الكبار وبداخلي قلب متعجل متعثر مترنح لم يلحق حتى بصفوف المسجد الأخيرة. ذكرني يا رب كم كنت أرجو أن أُنتشَل من الصفوف الأخيرة.

❁ **ذكرني بأعمالي الصغيرة** التي وضعت فيها رجائي فيك فراقبتها تكبر أمام عيني حتى تصل إليك. بأبحاثي عن معنى الحياة التي اتبعتها حتى وصلت لحافة عالمنا الداني. بأسرار آمالي التي علقتها على مشيئتك فصرت أسير منتشيًا في هذه الحياة بكأس أملي فيك. ذكرني يا رب بحلاوة انتشائي من مذاق أملي فيك.

❁ **ذكرني بارتجافات قلبي عند آثامي الأولى**، بانتحاباتي في الأسحار الأولى، بابتساماتي وقت الأحزان الأولى. بنظراتي إلى السماء عندما تعلمتُ القليل عن قدرتك. ذكرني يا رب بتلك الهمسات التي سبّحتُ بها حين أبهرتني قدرتك.

❁ **ذكرني يا رب بجذوري**، ذكرني بنبتتي وبذوري. **ذكرني** بما كان به حبوري، بما كان منه نفوري. ذكرني بخفة روحي وبانتظامة حضوري. **ذكرني** بشروري.



ذكرني يا رب بنفسي التي قد ضاعت مني في شروري.



❁ قيل إن إبراهيم عليه السلام لما شبّ وتكلم، قال لأمه: من ربي؟ فقالت: أنا. قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك. قال: فمن رب أبي؟ قالت: اسكت!

هي من المرويّات الضعيفة، ولكنها على كل حال تبدو كشيء يمكن لإبراهيم عليه السلام أن يفعله في طفولته!

❁ **أذوب حبًا لسيدنا إبراهيم**، ولو سألتني عن الصورة الذهنية التي أملكها عنه فهي صورته شابًا وهو جالس على تلة من طين يابس مسندًا يديه خلف ظهره ناظرًا إلى السماء مبتسمًا بطمأنينة من وصل إلى بغيته رغم وعورة الطريق.

خلّد الله في القرآن ذكر نظرته إلى السماء لما كان يبحث عن ربه، أتراه ذلك الكوكب الساطع؟ أم ذاك القمر المنير؟ أم هذه الشمس الحارقة الكبيرة؟ أم ترى أن الله هو من خلق كل هذه الأشياء الجميلة ثم احتجب عنا بنوره لأنه أجمل من أن نراه في هذه الدنيا القبيحة؟

❁ ترى هل لحظة الحقيقة التي أضاءت لإبراهيم دربه كانت هي السر وراء ذكر الله لنظرته للنجوم لما اعتزم أن يحطّم أصنام المدينة؟ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨، ٨٩]. هل كان يذكّر نفسه بمكنونات قلبه يومئذ؟



❁ **أذوب حبًا لإبراهيم** عليه السلام لما أتذكر أنه البطل المجهول الذي أطلق علينا نحن اسمنا المميز ثم اختفى في الظلال، لما كان يبني البيت فيقول هو وابنه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة: ١٢٨]، فاستجاب الله له -كالعادة- وأمرنا أن نتذكر بطلنا المجهول: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

لم يكن عليه السلام تشوبه القسوة، كان حليمًا على الناس رحيمًا بهم بقدر إنابته لربه الذي علمه الحلم والرحمة. كان يناجي ربه في أبيه، ويجادل الملائكة في قوم لوط، ثم لما كان يرى المحاربين لله عز وجل كان يتوارى حلمه أمام غيرته على حقوق ربه، فيقول لهم بأعلى الأصوات وأوضحها: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦].

امتلأ قلب إبراهيم حبًا لربه فلما وهبه بإسماعيل أحبه، فاختبره الله ليظهر علم الله فيه: هل تغيرت محبته له سبحانه. ابتلاه الله بكلمات ووصايا فأتمهن على أكمل ما يكون فقال له الله سوف أجعلك للناس إمامًا. وقف إبراهيم على صخرة ليّنة ليبني البيت الحرام فأمر الله أمة الإسلام بتعظيم أثر قدميه وأن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى. أعطاه الله خاتم الجودة الإنسانية لما أوجز مكنونات قلبه في كلمتين فقط، فقال عنه: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢١]!

إبراهيم عليه السلام لم يكن يحب الفساد وخراب العنف في البلاد، فكانت أول دعواته لأهل مكة لما بناها أن يجعل هذا البلد آمنًا لأهله. لم يكن يسعد برؤية آلام الفقراء إذ يمسهم الجوع فدعا ربه أن يرزق أهلها من الثمرات. لم يكن يطيق أن يرى الضلال وعنت التعب وراء الوجهة الخاطئة فدعا ربه أن يبعث فيهم نبيًا يعلمهم ويؤدبهم ويزكيهم.

هو ذلك المناظر البارع الذي أحرج الجبار الأبله الذي كان يظن أنه يحيي ويميت. هو ذلك الفتى اليافع الشجاع المندفع بالحق لما حطّم أصنام مدينته أملاً في أن يفيقوا من غفلتهم. هو ذلك الباحث عن طمأنينة الإيمان الكاملة وعين اليقين الناظرة لما طلب من ربه أن يريه إحياءه للموتى. هو ذلك الخائف من ظلمات نفسه، المقدّر لزلات ضعفه، المعترف بوجود هواه، لما دعا الله خائفًا أن يجنبه أن يعبد الأصنام. وهو ذلك المضياف الكريم الذي لما جاءه أضياف أغراب عنه ذبح لهم عجلًا سمينًا بأكمله، ثم شواه وطيّب لهم الطعام.



لو سألت نفسك عن صفات الإنسان الذي يحبه الله ﷻ فتذكر أن الله اصطفى من البشر صاحب هذه الأفعال كي يتخذه خليلًا.





الـروزنـامــة

❁ **في الوحدة الصحية**، وعلى المنضدة أمامي وضعتكِ أمكِ أيتها الرضيعة صفريّة العمر مُجعّدة الوجه منكمشة الجسد مرتعدة الأوصال، هل هذا هو يومكِ الأول في الحياة يا عزيزتي؟ سوف تحبين الأمر هنا. الحياة هبة من الله ونعمة من لدنه حتى وإن كرهناها، مرحبًا بكِ معنا أيتها الصغيرة الحمقاء.

هل تبكين من مرآي أمامكِ؟ لديكِ كل الحق فأنا طبيب ولكني غريب عنكِ، من أدراكِ أني لست مؤذيًا؟ أم تبكين لأنكِ ما زلتِ لا ترين شيئًا أمامكِ وتعيشين في ذاك الغموض المضيء الذي نبدأ به ظلمات دنيانا الأكثر غموضًا؟ أم أن بكاءكِ بسبب برد أجهزتي المعدنية القاسية على صدركِ الدقيق؟ أم يؤذيكِ الهواء؟ الأصوات الصاخبة في الخارج؟ ضوء الكشاف الضعيف؟ لكم أشفق عليكِ يا صغيرة، تبدئين الحياة بكل هذا الضعف! هل حِيَلُكِ معدومة إلى هذا الحد؟

أري بعين الخيال أوراق الروزنامة تتطاير كما في الأفلام، والأيام تتوالى عليكِ وكل يوم يحمل معه الجديد. أراكِ تضحكين لأمكِ أول مرة وتجرّبين السير فتتمايلين، وتجرّبين الركض فتعثرين، وتجرّبين القفز إلى القمر فتتعلمين معنى العجز والحدود. أراكِ يا صغيرة يُبين عنكِ لسانك، أراكِ تشرحين لأمكِ كيف رسمتِ حرف الألف، كيف جريتِ في الألعاب، كيف بكيتِ حزنًا حين عانقتِ

صاحبة الدراسة قبل رحيلها إلى بلدان بعيدة ثم نسيتِ كل شيء عنها بعد ذلك. رأيتكِ يا صغيرة تتعلمين الحزن قبل أن تفهمي الحنين.

تتشكل تضاريس وجهك بإحكام بديع، تصبحين جميلة. تترتب أحبالك العصبية في أماكنها الصحيحة، تصبحين رشيقة. تتفتح أنويتك الدماغية في الأوقات المناسبة، تصبحين نبيهة. تتعلمين البيان، تتقنين الحجاج، تسافرين بوعيكِ بين الحقول والأزمنة. يكتمل نضجكِ، تتبلور كينونتكِ، تتقوقع روحكِ، وتتعقد أفكاركِ وتستقل عن الجميع. تصبحين أنتِ وهم. تصبحين أنتِ وتتشككين فيهم هم.

أراكِ تمرضين فترتجفين، تأخذين الدواء فتنتعشين. أراكِ تبكين فتيأسين، تمر أحزانك فتمرحين. أراكِ تجرّبين الحب، تتعذبين. أراكِ تمنحين الحب، أراكِ تنتشين.

أراكِ يا صغيرة تصبحين غير صغيرة. أراكِ تتعرفين على ثمرات الحياة المحرّمة، على لذة الإثم، على حسرة الخطيئة، على خبث الطوية التي فاجأتكِ بعد أن ظننتِ أنك من القديسات، أراكِ فهمتِ أنه لا وجود للقديسات. أراكِ تتغيرين.

أراكِ يا صغيرة تصبحين غير صغيرة. أراكِ تصدقين وتتصدقين، تُؤمَنين وتُؤلَفين، تتقنين الوفاء لجميل الماضي، تتفهمين كيف تسامحين، تتعلمين الرحمة على من لا يستحق، العدل مع من تكرهين، وخز الضمير بعدما تأثمين. أراكِ يا صغيرتي تتجملين.

كنتُ شاهدًا عليكِ اليوم تأخذين هبة الحياة من ربك الإله، ولكن أوراق الروزنامة المتطايرة أرتني الكثير. أرتني كيف ستصبحين مثلنا، مزيجًا حرّيف

المذاق مميز الرائحة معكوف الأطراف من الحسن والقبيح، من الأسود والجميل. أرتني كيف ستكبرين لتصبحي ذلك المخاصم المجادل. كيف ستمترين في الله وتُمارين، وتتسخطين على أقداره وترفضين، وتنسين رقابته عليكِ وتتناسين، وتغفلين عن أمره وتتأففين. وتعصينه بالعطايا التي أخذتيها منه، وتحاربينه بدعوى القيم التي علمتيها عنه، وتفارقينه بغفلة الحياة التي أورثكِ إياها.



أراك يا صغيرة تصبحين مثلنا جميعًا، أراك كيف خلقك الله من نطفة، فإذا أنت ذلك الخصيم المبين!





لِبس الستّات!

❁ **هناك ظاهرة** لها عدة أعوام قليلة في مجتمعنا يمكن تلخيصها في ثلاث كلمات: (ماذا حدث للبنات؟!) بتلاشي الكثير من مظاهر الحياء (رحمه الله) عمومًا وفيما يتعلق بالحياء الجسدي خصوصًا، مع ركن آخر لهذه الظاهرة بتجريم الكلام فيها نهائيًا.

❁ طبعًا موضوع الحجاب هذا صار (تابوهًا) جديدًا، وصار هناك نوع جديد من تقسيم الناس: الشخص الـ (كول) الذي لا يهتم بموضوع الحجاب، والشخص الـ (ريتاردد) الذي ما زال يتكلم عن لِبس الستّات! (الكلمة فصيحة بالمناسبة).

ومن المهم بالنسبة إليهم الحفاظ على لفظ (لبس الستات) هذا لأنه يعطي للموضوع طابع الخصوصية المشوبة بالتفاهة، بحيث الذي يتكلم في هذه المسألة وقح و(هايف) في نفس الوقت.

لو أنتِ امرأة تتكلم عن الحجاب وتنتقد التبرج: مبروك! أنتِ معقدة نفسيًا لأن أهلك أجبروكِ على الحجاب منذ الصغر وتريدين صبغ العالم بعقدك الخاصة.

لو أنت رجل تتكلم عن الحجاب وتنتقد التبرج: ألف مبروك هذه المرة.



أنت مكبوت جنسيًا تتمنى أن تغتصب النساء من داخلك وكلامك محاولة لتبرير هذه الرغبة المكبوتة.

۞ **ويقول من يؤمن بنظرية التطور** منهم أن البشر تطورت من حيوانات شبيهة بالشمبانزي تزحف عارية على لحم بطونها، إلى كائنات حساسة تتحدث عن العورة والعرض والخطيئة والحرام والعيب، ثم يهتفون بذكاء: علينا الآن أن نتجاهل كل هذه الصفات الإنسانية ونعود إلى النظام المفتوح، حيث القيود الوحيدة المعتبرة هي السلامة الصحية أو إجبار من لا يريد شيئًا على شيء يريده شخص آخر.

ولكن الفكرة أننا -وحسب عقيدتك الخاصة- (تطورنا) من هذه المرحلة مما يقرب من ٢٠٠ ألف عام، يعني نحن الآن نعود في سلم التطور للوراء! ونعكس ما قامت به الطبيعة بالانتخاب الطبيعي، وقد قامت به لسبب وجيه بالتأكيد!

يعني الطبيعة قالت لك أنت كإنسان ضعيف البنية تمامًا استطعت أن تسود الكوكب لأنك الحيوان الذي رفض أن يكون كذلك، هذا سبب لك ميزة استثنائية في الصراع من أجل البقاء، بتكوين شبكة علاقات اجتماعية مترابطة تبدأ من الأسرة، وتحويلك من كائن لا يسعى إلا وراء الطعام والشهوة إلى كائن لم يتوقف أبدًا عن الرفض المتعالي على العالم (الطبيعي).

أنت الآن ترفض ما فعلته الطبيعة فيك، وتتمنى العودة للخلف والتقهقر برجعية غير مسبوقة إلى الوراء!

۞ **الحجاب في فلسفته الأساسية** رفض للطريقة (الطبيعانية) التي تسير بها الأمور حين تحكمها الغرائز والموارد المتاحة!

كمثال على ذلك، لنعد إلى ما بدأنا به هذا المقال..

الظاهرة المنتشرة مؤخرًا، تلك التي لا يمكنك أن تخطئها بإحصاء ديموغرافي بسيط بنسبة المتحولات من التبرج إلى الحجاب والعكس، ومقارنة هاتين النسبتين ببداية الألفينات على سبيل المثال.

نحن هنا نتعامل مع تحولات سريعة على مدار مدى قصير من السنين، عادة فالأسباب الاجتماعية تأخذ نصيب الأسد في مثل هذه التغيرات القصيرة أكثر من الأسباب الفكرية العامة التي تأخذ عددًا أكبر من السنين عادة ليتم تغيرها في مجتمع ما.

البعد المفضل عندي لتفسير هذه الظاهرة من ضمن أبعاد كثيرة هو البعد الاقتصادي!

في مجتمع متخبط مثل مجتمعنا لا يستطيع أن ينفتح ولا يريد أن يتدين، يصبح منحنى العلاقة بين (الرغبة) و(الوصول) غريب الشكل! الرغبة كأشد ما يكون، والوصول لم يعد أيسر من ذي قبل. وفي ظل الظروف الاقتصادية الأشد صعوبة أصبح الشباب لا يستطيع أن يتزوج، أو أصبح الزواج بالنسبة إليه هو أن يدفع كل مدخراته فيما يشبه عملية شراء لبطيخة، لا يعرف عنها شيئًا قبل الزواج، ولن يستطيع تكرار فرصته من جديد! فبالتالي لم يعد حتى يرغب في الزواج.

كل فتاة -وبشكل لا إرادي- ترسم دائرة من هؤلاء الذين يملكون القدرة على الزواج، ثم دائرة أخرى من هؤلاء الذين يريدون الزواج منها بالذات، ثم عليها أن تختار من هؤلاء أفضل فرصة متاحة لشاب تريد هي الزواج منه في النهاية.

❁ **ما الحل؟**

الحل في تكبير دائرة من يرغب بها كي توسّع دائرة الاختيار. الأمر كله إحصاء!

ولأنها طبقت على نفسها نفس شروط ومعايير تسويق السلع التجارية انطبقت عليها ذات القواعد، الخاصة بالعرض والطلب، فبالتالي وجب عليها أن تزيد العرض كي تحصل على طلب أكثر!

ولا أذكر عدد من راسلني من البنات ليبحثن عن استشارة مفادها: (أريد خلع الحجاب كي أتزوج، زميلاتي المتبرجات يحصلن على فرص أكبر)، في حين وصلني عدد آخر من الرسائل لبنات خلعن حجابهن لهذا السبب تحديدًا.

❁ **هنا نلاحظ** أن هذه الطائفة من البنات يلمنك على شيء يقمن به هن باستمرار! يعيبون على المجتمع أن يقوم بتشييء المرأة Objectification والتعامل معهن كسلعة، بينما هم الممارس الأول والأكبر له في المجتمع فعلًا.

والفلسفة الإسلامية ببساطة لو تم تأملها بإنصاف فيما يتعلق بحجاب المرأة هو كسر هذه الحلقة المريضة، لا المرأة سلعة يجب أن تعرض نفسها، ولا الرجل الذي اجتذبته بهذه الطريقة سيكون رجلًا وفيًا على كل حال، وبالنسبة لزوج تم اجتذابه بطريقة (الفاترينة) فالعرض بعد الزواج سوف يستمر في الشوارع بطبيعة الحال!

عندما تكون هذه نوعية جذبك لشريك حياتك، فما النوعية التي تتوقعينها لشريك الحياة هذا حين ينجذب بها؟!

❁ **جزء كبير آخر من أسباب الرغبة في التبرج** هو الاحتياج إلى (الإحساس بالجمال من خلال الاستمتاع بإعجاب الناس بكِ). وهذا بالمناسبة ليس وليد خيالي المريض وإنما من واقع الرسائل التي أتلقاها أيضًا. وهي بالمناسبة غريزة طبيعية عند الأنثى ومتفهمة، تكلم عن مثلها الله ﷻ لما قال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨]. ولكن كما هو الحال مع أي غريزة، ما هو الوقت والمكان المناسبان لصرفها فيه؟ ومن الشخص المستحق لذلك؟

من السيئ كفاية أن تكون هذه الرغبة مجرد اصطياد لشريك حياة مناسب كما قلنا، ولكن الأسوأ لو كانت هذه الرغبة لن تتوقف عند مجرد الزواج وتستمر إلى ما بعد ذلك: هذا معناه أن نظرة زوجك لكِ في البيت بإعجاب لن تغنيكِ عن الحاجة لنظرة الغُرباء في الشارع؟ وأنك -اعذريني- سوف تستمتعين بالإحساس بجمالك وبلفت الأنظار إليكِ من رجل غريب عنك حتى وأنت متزوجة؟ فساعتها اسمحي لي أن أسألك: هل سيعطيكِ هذا إحساسًا بقيمتك الإنسانية التي تكنّينها لنفسك من الداخل؟!

وحين ينظر شاب بإعجاب إلى ملابسك الضيقة أو المكشوفة -هل إعجابه كان بروحك؟ بشخصك؟ بأفكارك؟ بعقلك الجميل؟ برؤيتك للعالم وأفكارك الفلسفية؟ أم أنك تعرفين أن إعجابه فقط بكل تلك الأشياء التي تقع بالنسبة له في نطاق يجعلكِ مجرد وسيلة لاستمتاعه متجاهلًا أي شيء آخر فيكِ.

❁ **من جديد، هل هذا هو الشعور الذي تملكينه لنفسكِ في نفسك؟!**

البنت التي تلبس ملابس ضيقة مثيرة تغارين منها وترين أنها أنيقة وجميلة؟ حسنًا، ولكن ماذا عن تلك التي تلبس تنورة قصيرة من تصميم جميل



وألوان زاهية؟ صارت أجمل؟ جميل، وماذا عن التي تلبس ملابس بحر فاتنة؟ صارت أجمل وأكثر فتنة، أليس كذلك؟

ولكن بالنسبة إليكِ وبكامل غض النظر عن موقفك الديني فبالتأكيد هناك فاصل لما ترغبين أن يظهر من جسدك للأغراب فعلاً، هناك حد ما يفصل بين ما هو Classy وما هو Trashy من وجهة نظرك بالتأكيد.

فكرة الحجاب ببساطة هو تحديد لهذا الفاصل وضبطه بمعيار الإثارة الجنسية (لكل تلك الأسباب المذكورة بالأعلى).

❁ **فقط، هذا هو كل ما في الأمر!** تحديد للفاصل الذي تحددين أنتِ لنفسك شبيهًا به، ثم وصف لهذا الفاصل بأنه ما لا يكشف ولا يصف ولا يشف جسدك.

الله ﷻ حين أمرك بالحجاب لم يكن يريد المزيد من العذاب والعنت لكِ، لم يكن يريد لكِ إلا التعزيز والمآل الحسن، يريد أن يخفف عنكِ وعن جميع عباده ويعلم كما نعلم من أنفسنا أن الإنسان قد خُلِق ضعيفًا.



الله يريد لك القيمة بعيدًا عن التسليع والرُخص!



❁ أول شيء رأيته للـ (خ. ك.) أعلمني أن هذا الشاب يدّعي (السألة) فقط كي يشتهر، وكانت خاتمة لغز قصته في أذهان معظم الناس حين نشر صورته أمام محل ذهبه الجديد.

❁ بالمثل لما رأيت (ش. س.) امتعضت، وتعجبت من تفانيه في العمل وإخراج وتصوير وتمثيل كل هذه المقاطع الكثيرة (جدًا)، لكن في يوم من الأيام نشر صورة له أمام سيارته الفارهة الجديدة شاكرًا جمهوره على دعمه له حتى وصل للـ (النجاح) أفهمني ذلك كل شيء.

مشكلتي مع هذا وذاك ذوقية بحتة وليست أخلاقية، في النهاية من حق أي أحد أن يصنع من نفسه أضحوكة لو أراد، دعك من أن المسألة نسبية ولربما هناك من يراهما أظرف من أنجبت البشرية.

بينما هناك من يمتد خلافي معه فعلًا إلى المبادئ والقيم، خذ عندك مثالًا (أ. ص.)، هو شاب متحمس يصنع مقاطعه المرئية العلمية منذ كان في الثانوية، مؤخرًا نشر إعلانًا عن كورسه الجديد عن الأسماء الحسنى وعلاقتها بـ (علم السيطرة على الأرض)، واصفًا نفسه في مقدمة الكورس بأنه -حرفيًا- الشاب الذي أنار الأرض كلها فكرًا وعلمًا في سن الخامسة والعشرين. بالطبع الكورس المُعلن عنه مدته ساعتان من الزمن وثمنه ٢٥٠٠ جنيه فقط بعد الخصم

لعيونك أخي الحبيب. أمين لديه غالبًا بعض الأمور النفسية التي تحتاج إلى استشارة مختص ولكن من جديد نلاحظ أن كل شيء يمكن تفسيره في نطاق رغبة المال الضيقة.

وهناك من يقع خلافي معه في نطاق أخلاقيات المهنة، الطبيب (ر. إ.) مثال قوي على ذلك، في بدايته كان يدّعي أنه استشاري أمراض القلب ومساعد شخصي لمجدي يعقوب وأجرى المئات من عمليات القلب المفتوح، وهو في الحقيقة مجرد ممارس عام لا يحمل أي شهادة فوق البكالوريوس -دعك من أن مجدي يعقوب لم يره من قبل-. في رأي كثير من استشاريي أمراض القلب الحقيقيين فرامي يروّج لخرافات مستمرة قد تودي بحياة المرضى، ولكن في النهاية كشفه في عيادته الخاصة قد يصل إلى ١٠٠٠ جنيه.

لا يمكن أن نتهم أيًا من الأسماء السابقة بالجشع أو المتاجرة من أجل المال أو الاحتيال لأننا لسنا قضاة، ولو كنا قضاة فنحن لم نسمع كل الأطراف أو نأخذ بأسباب الحكم الرشيد.

لكن يمكننا فقط أن نلاحظ ببساطة أن الشهرة والظرافة وجنون العظمة والتعالم هي رغبات وليدة ومسكينة بالمقارنة بالوحش الأكبر: الرغبة البشرية للأوراق الخضراء والذهب الأصفر وكل ما يلمع وكل ما يُجمع وكل ما يُكال. الرغبات البشرية في كثير من الأحيان يمكن فك رموزها وتبسيط تعقيدها إلى رغبة بسيطة وهي البحث عن المال. فنحن كما قال الله ﷻ، نحب المال حقًا حبًا جمًا.

❁ **علّمنا** محققو القصص البوليسية أن نبحث دائمًا عن الدافع، وعلمتنا الحياة أن الدافع في الحقيقة هو الذي يبحث عنا. لذلك كان في نظري من أجمل

وأقوى عبارات القرآن تلك العبارة التي قالها مؤمن آل ياسين لقومه: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس: ٢١]!

الأنبياء الذين تكبّدوا عناء دعوتهم لم ينالوا من أجل ذلك مالًا أو رفاهية، مات النبي موسى في تيه الصحراء، ومات النبي محمد ودرعه مرهونة، وكاد النبي أيوب أن يموت من الجوع، عليهم جميعًا الصلاة والسلام.



عزوف أي داعٍ عن طلب المال يجعلنا نتساءل في تعجب، واهتداؤه في نفسه يجيبنا عن التساؤل ويزيل عنا التعجب، ويجعلنا نفهم ببساطة أن الأنبياء ليسوا مثلنا. هم دعاة الرحمة، وفرسان الأناة، وأعمدة النقاء، وينابيع البراءة، وأبطال القيم، وأغلفة الجمال، وأنوية الأناقة. هم اختيارات الله الذي كان قد كشف مسبقًا عن مكنونات صدور العالمين.





الــدرويـــش

❁ **ذهب إلى** عجوز يتأمل على إحدى القمم، وقال له يا سيدي ما الحكمة من هذه الحياة؟ فأخرج الحكيم صحيفة مهترئة من (الأفيستا)، وأخرج بتؤدة نظارته السميكة وقال: «الزرادشتية تقول لك لو سعيت إلى نشر السلام على الأرض فقد حققت حكمتك من الحياة». دمعت عين الفتى وقال في نفسه: صدق من قال اطلبوا العلم ولو في الصين.

ثم ذهب إلى كاهن هندوسي في معبده وقال له يا سيدي ما الحكمة من هذه الحياة؟ انقطع الكاهن عن تأمله ونظر في صحف البهاغافادا وقال له: «يا بني الهندوس يؤمنون أن الحكمة من الحياة هي أن تصفو بروحك وتتوحد مع الروح العليا لهذه الكون». ابتسم وقال: فعلًا الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

ثم ذهب إلى راهب بوذي في أحد الأديرة المتجمدة في التبت، وقال له يا سيدي ما الحكمة من هذه الحياة؟ فقطع الراهب تأمله وفتح صفحات السلات الثلاث وقال له، يخبرنا (بوذا) أن الحكمة من الحياة هو تخليصها من المعاناة المتأصلة في وجودها بالطريق الثماني النبيل. تأثر الشاب وقال بالفعل ما أحكم الأصمعي حين سُئِلَ: بم نلتَ ما نلتَ؟ قال: «بكثرة سؤالي وتلقّفي الحكمة الشرود»!



ثـم ذهـب إلى راهـب أرثوذكسـي في أحـد أديـرة اليونـان فقـال له: يا سـيدي مـا الحكمـة مـن الحيـاة؟ فتـح القس عينيـه ونظـر له وكأنـه تفاجأ ثم فتـح الكتاب المقدس وقال: «يا بنـي، نحن نؤمن أن الحكمة من الحياة هي أن تتقبل حب يسوع لـك ليحـررك مـن خطايـاك». تأثـر الفتـى وقال في نفسـه: حقًا كما قـال فولتير قد أختلف معك ولكنـي سـأموت دفاعًا عن حقك في قول وجهة نظرك.

ثـم ذهـب الفتـى إلى شيخ مسـلم في أحـد المسـاجد، فقـال لـه: يـا سـيدي مـا الحكمـة مـن هـذه الحيـاة؟ ابتسـم الشـيخ وفتح القـرآن وقال: «يا بنـي....» قاطعه الفتى: «يا إلهي! ما هذا؟ هل سوف تتكلم معي بالقرآن؟ إذا كنت أصلًا أنا أشك فيـه يـا درويش يا مرتكب المغالطـات المنطقية يا (مُهزّأ)!



عسى أن يشعر بالأناقة

مثل أبطال الأفلام كان يحب أن يموت بأناقة، يحب أن تكون آخر نظراته على الدنيا ببسمة ساخرة من خلف زجاج عويناته المبللة بمطر الخريف.

كان يحتاج إلى أن يشعر أنه ليس كالآخرين، في اللحظة التي فطن فيها إلى أن الفتاة الجميلة في القطار تثير إعجاب جميع الراكبين نفر منها بشدة. كيف يتحمل أن تعجبه نفس الفتاة التي تعجب الجميع؟ كيف يتحمل أن يحمل بداخله نفس الشهوات ونفس الرغبات الجائعة ويكون مجرد واحد آخر من الحالمين بنفس الأحلام البشرية المُعادة؟ يحتاج إلى أن يشعر أنه أهم من ذلك.

ربما لذلك في لحظات القسوة الأخيرة شعر بغيظ عارم تجاه نفسه، الأشياء التي أرادها في هذه اللحظة كانت مريضة إلى حد الرثاء، مخيفة إلى حد التقزز، بسيطة لدرجة التفاهة، وباردة كقطعة زجاج مهملة على قارعة الطريق كانت يومًا ما تحوي شيئًا دافئًا.

حين كان صامتًا حزينًا في ذلك الحفل الصاخب أثار غيظه أن حزنه الوقور كان يخفي أسمج الصرخات الراغبة، لكم تمنى لو كان ما يخفيه بداخل رأسه عن أعين الناس المتسائلة أكثر طهرًا من ذلك الذي يدور في مخيلاته فعلًا، لكم كان يتمنى لو كان يشعر من داخله بروح نظيفة غير متلطخة بتلك الأوحال اللزجة السوداء، لكم كان يتمنى لو لم يتحول خلال السنوات الأخيرة

إلى كل شيء كان يمقته في الناس في قديم الزمان، لكم كان يتمنى لو كان أنيقًا من داخله كما تدّعي ابتسامته الهادئة الذكية.

❁ **في هذه اللحظة القاسية اشتاق إلى السجود**، إلى قراءة القرآن، إلى البكاء خشوعًا في محراب الذكر. كان أكثر فهمًا لنفسه من أن يعتبر هذه صحوة إيمانية على طريق الهدى، كان يعلم جيدًا أنها مجرد هروب من دائرة اللاتميز، كانت صحوته الإيمانية الوقتية محاولة لانتشال زجاجته الباردة المملة من طريق الناس ووضعها على أعلى رفوف غرفة المعيشة الوقور.



كان يحتاج إلى أن يتقرب إلى الله الآن لأنه فقد شعوره بالأهمية، ومن قرارة نفسه يعلم أنه لا يوجد في هذا الكون إلا شيء مهم وحيد. كان يحاول أن يلصق نفسه به، عسى أن يشعر بالأناقة مجددًا!





غابات المطاط

❁ لما طلب الملك من وزيره أن يبطّن أرض الغابة بالمطاط حتى لا تتأذى قدماه أثناء الصيد، اقترح عليه وزيره توفيرًا للجهد والنفقات أن يحيط قدم الملك نفسه بالمطاط، فكانت هذه فكرة اختراع (الكوتشي)، لا أصدق هذه القصة على كل حال لكنها مثال جيد على فكرة من يلوّن رؤيته للعالم بمقاييسه الخاصة.

❁ **كان لي صديق وأنا طفل وكنت أحبه،** وكان بقية أصحابي لا يشاركونني الرأي ويرون أنه من غير اللائق أن نلعب معه، لأنه ابن البوّاب، ظللت متعجبًا من كلامهم، ليس لأني متواضع، ولكن لأني لم أفهم ما المشكلة في مهنة البوّاب؟! إنه رجل شجاع ونشيط ولا أراه إلا وهو يعمل، كان يبدو لي إنسانًا جيدًا هو وابنه، توفي صديقي هذا في حادث مأساوي بعد أن وقع من أعلى ذات العمارة التي كان يحرسها والده وهو يلعب. بعد أن مات محمد، كرهت أصحابي الذين كرهوه، كنت أشعر أن الورقة اللاصقة السوداء التي وضعوها على جبينه لفقره، خُلّدت معه في مكان أفضل، لقد رحل مع لاصقته وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة منا جميعًا.

لا يكتفي البشر بوضع الأوراق اللاصقة على الفقراء، فهم يحبون وضعها على كل من لا يصطبغ بألوان مقاييسهم الخاصة. هذه فتاة بدينة، فلننبذها جميعًا. وتلك وجهها فيه نمش وحبوب، كيف تجرؤ؟ لن نجعلها تنسى. وهذا

شاب أسمر، يا له من مسكين. وذاك ولد منطوٍ دعونا نسخر منه ولنسمّه عبقرينو لدواعي الظرافة. وأما هذا الولد المختبئ هناك فهو في كلية أدبية، لن نسمح له أن يظن أنه يتساوى مع خرّيجي كليات القمة.

ولأن مقاييس البشر المثالية مختلفة ولن تنتهي، فإنك ستتفاجأ يومًا بأنك قد حصلتَ على لاصقتك الخاصة من دون أن تفطن، وضعها عليك أحدهم ثم جرى. لتبدأ في التعرف على لاصقتك ببطء، في البدء تظن أن في الأمر مزحة ما، لا يمكن أن يكونوا جادين في ذلك، هل بالفعل سيتم تصنيفي في سوق الزواج كدرجة ثانية لأن درجاتي في الكيمياء لم تدخلني كلية الصيدلة؟! هل سيتعامل معي الناس فيلاحظون بشرتي السمراء قبل صفاء ضحكتي ناصعة البياض؟! هل هذه اللاصقة الحمقاء تعني أن ثقافتي الواسعة لا تعني شيئًا لأني غريب الأطوار مُعادٍ للحفلات؟!

حين يدرك كل منا لاصقته الخاصة التي وضعها عليه المتخلفون من البشر، سوف يحاول طلاءها بمميزاته الأخرى، سوف ينجح بذلك في إخفائها عن الكثير من البشر ولكنه لا ينجح في إخفائها عن نفسه أبدًا! سيظل دائمًا مدركًا لثقل لاصقته وإحساسها المزعج على جبهته حتى ولو صارت باهتة غير ملحوظة لمعظم الناس من حوله. أنت ترى، مشكلة اللاصقة البشرية العتيدة أنها تبدأ على جبهة أحدهم ثم تصير على روحه ذاتها!

❁ كيف تجرؤ؟!

كيف تجرؤ على أن تحقّر من ذاتك بناء على مقاييس مجموعة من البشر كانوا أحمق من أن يفطنوا أن المطاط يُلبس في القدم ولا تُفرش به الغابات؟



كيف تجرؤ على أن تشعر بالعار لشيء لا يعيبه إلا أن الناس قد نسيت جماله؟

كيف تجرؤ على أن تكون أكثر جبنًا من أن تمتد يدك إلى تلك اللاصقة المجرمة فتمزّقها بأيدٍ ثابتة غير مرتعشة؟



كيف تجرؤ على أن تنسى أنك إنسان كامل الإنسانية، كامل القدرات، كامل الروح والنفس والخطرات، ثم ترضى بعد ذلك بالعيْش في غابات المطاط؟



لــــو

❁ سينتقل البطل آنيًا عبر كابينة هاتف متنكرة ليصبح في مجرة أخرى في جزء من الثانية، بعدها يحارب جيوش موسوليني بعد أن استنسخوه وصار أكثر سفالة، وبعد أن يخسر سيعود بالزمن ليصحح أخطاءه كاملة ثم ينتهي الفيلم بشكل سعيد ولزج.

❁ هذا هو الخيال العلمي التجاري الذي نعرفه جميعًا من ثقافة الـ Pop Art ولكن العلم كعادته يأتي كمدرس جغرافيا مسن وعابس ولا يحب النكات ليشرح لنا أن كل هذا ليس علميًا على الإطلاق.

❁ فالانتقال الآني ربما يتم تحقيقه فيزيائيًا باستخدام نظرية الكوانتم ولكنه سيؤدي إلى قتلك في الحال. والاستنساخ مستحيل بيولوجيًا تمامًا أن يتم من خلية ميتة، فبالتالي لن يستنسخوا هتلر أبدًا أو أي واحد آخر من الأوغاد. وأما السفر عبر الزمن فكل ما يمكن أن نحلم به هو أن (نجري) بشكل ما بأسرع من الضوء فننتقل بشكل ما إلى المستقبل، وأما الماضي فمستحيل تمامًا يا صاحبي، هذا ضد قواعد الفيزياء.

❁ حتى بالتغاضي المؤقت عن مشاكل السفر عبر الزمن الفيزيائية يمكننا أن نلاحظ أن المعضلة الأكبر لدى كتاب الخيال العلمي بخصوص هذه النقطة تتمثل في التغييرات، ماذا لو غيّر ذلك المسافر شيئًا في الماضي له تبعات

على المسافر نفسه؟ ماذا لو عاد وقتل جده؟ هذا معناه أنه لن يوجد أبدًا لأن جده مات شابًا، ولكن لو لم يوجد فكيف عاد بالزمن ليقتل جده؟!

❁ **يذكرنا** ذلك باصطلاح علمي شهير آخر هو (تأثير الفراشة)، حيث تقول القصة الكلاسيكية أن رجلًا عاد إلى زمن الديناصورات فقتل فراشة، ثم عاد لزمنه فلم يجد العالم كما هو! لقد كانت الفراشة التي قتلها هي المسؤولة عن مجموعة من الحوادث أدت إلى العالم الذي يعرفه.

هذا جعل الكثير من كتاب الخيال العلمي المخضرمين مثل إسحاق أزيموف وجوان رولينج وستان لي يبتكرون قواعدهم الخاصة التي ترسخت لدى قارئيهم للتعامل مع لعبة (الممكنات) الوَعِرَة هذه. فالبطل عندهم لديه إمكانية محدودة للتغيير، لا يمكنه أن يغير شيئًا حدث بالفعل في المستقبل، هو أقرب إلى مُلاحِظ، كشبح أو طيف.

❁ **الندم!** أشد العذابات التي ابتكرها العقل البشري إيلامًا! التساؤل المستمر عمّا إذا كنت أخذت الاختيار الصحيح، إن كنت تزوجت من الشخص المناسب، أو دخلت مجال الدراسة الأفضل، أو امتهنت المهنة التي تليق بك.

الندم لديه القدرة على أن يضيف أطنانًا من الملح على حياتك فتصبح غير قادر على استساغتها فقط لأنك فطنت إلى أنها كانت من الممكن أن تكون أفضل، فقط لو فعلت كذا، أو اجتنبت كذا، لكانت حياتك الآن أجمل بكثير. وبرغم أن الندم يبدو لنا وكأنه ذكي وحكيم ويجيد التفكير والحسابات، إلا أنه ليس كذلك على الإطلاق.

❀ **الخطيئة الكبرى** التي يقع فيها النادم أنه يفترض أن هناك مسارًا آخرَ كان من الممكن أن تسير فيه الأحداث، بينما الحقيقة ستكون قدرتنا على التغيير -إن نجحنا بالعودة فعلًا- محدودة، لأننا سوف نغير مسار الأحداث الذي انتهى بنا إلى تلك اللحظة الحكيمة التي فطنّا فيها أننا نحتاج إلى التغيير! لو عدت بالزمن لسرت حسب قواعد المخضرمين من كتاب الخيال العلمي: مجرد شبح، يراقب ولا يتحرك، لا يمكنه أن يقوم بعمل شيء، أو يعيد الاختيار، أو ينجو من حتمية القدر.

الندم، إنما هو محض عذاب لمن لم يسعه إيمانه بأن يفهم ما قاله النبي ﷺ: «واعلَمْ أنَّ ما أخطَأَكَ لم يَكُن ليُصيبَكَ، وما أصابَكَ لم يَكُن ليُخطئَكَ، واعلَمْ أنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبر، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ معَ العُسْرِ يُسرًا».





سعادة التفاصيل

❁ التفاصيل البسيطة الكفيلة بإسعادي هي تلك التفاصيل التي تذكرني بقيمي الداخلية التي أقدّسها كثيرًا.

❁ **يسعدني** أن يبتسم لي طفل بعد أن أُسكِتَ بكاءه بقطعة حلوى. يسعدني أن ألاحظ تلك الانتقالة التي تمت في وجدانه بين الخوف مني والحذر من أن أبطش به وبين الاطمئنان إليّ كصديق قديم جديد بالثقة. يسعدني أن أشعر أن هناك من يقدر على أن يؤمن بي بهذه السرعة والسهولة.

❁ **يسعدني** أن تتشبث بي زوجتي في أوقات الخصام حين تخاف من صوت يفزعها. يسعدني أن أشعر أنني أرقد في قاع محيط وجدانها، لا تقدر أمواج الغضب أن تخرجني منه بسهولة. يسعدني أن أجدها تخاصمني بوعيها وتطمئن إليّ بلا وعيها.

❁ **يسعدني** منظر عجوز حيّنا المصاب بالشلل الرعاش وهو يرفع يديه بعد الصلاة إلى أعلى السماء داعيًا الله ﷻ. يسعدني أن ألحظ رغمًا عني تلك الحاجة الملحة التي يتوجه بها إلى ربه في ذلك المشهد الدرامي البديع لرجل تهتز يداه وهو يمدها إلى مولاه. يسعدني أن أتخيل كيف سيعامل ربّه اللطيف تلك الأيادي المتأرجحة المرفوعة إليه.

❁ **تسعدني** عناية أمي بالتفاصيل، والتذكيرات، والتنبيهات المعادة.

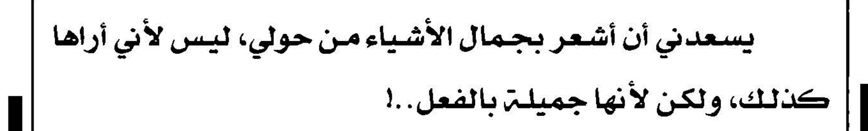
يسعدني أن أجد فيها كل هذا الحماس لتصير حاجاتي على أكمل وجه. يسعدني أن أشعر باطمئنان ذلك الذي ما زال يملك حنان أمه عليه.

❁ **يسعدني** صوت الباعة الجائلين في أزقّة الحارات الضيقة. يسعدني كيف يتعلق رزقهم بقدرة أصواتهم على الوصول إلى مسامع هؤلاء الذين تتوافق حوائجهم مع بضاعتهم الصابحة. يسعدني أن أتذكر ذلك وأنا أستمع إلى عبارتهم اللازمة في وسط الكلام وهم يقولون: ارزقنا يا رب.

❁ **يسعدني** اختلاف تعبيرات وجوه الناس في الطرقات المزدحمة. يسعدني أن هذا متعجل وهذا متضجّر وهذا متحمس وذاك ضحوك. يسعدني أن أشعر بتوزيع الله لأرزاق مشاعرنا وحالاتنا حين يسأله من في السماوات والأرض فيكون كل يوم في شأن.

❁ **يسعدني** ما تفعله القهوة في انضباط مزاجي وتركيزي وحماسي للعمل. يسعدني أن أفكر في رأفة الله بحال البشر حين خلق نبات البن. يسعدني أن أطمئن أن ضعفي الإنساني يعلمه ذلك الإله القيّوم.

❁ **يسعدني** أن ألاحظ رفرفة الطيور في السماء وهي تروح وتغدو، إنها تلعب، لا شك في ذلك. يسعدني أن ألاحظ أن الله ﷻ خالق الكون بوسعه المتصف بعلياء كماله وبكمال علوه، قد خلق هذا الطير على هذا اللعب بجناحيه يتقلب في الهواء هنا وهناك. يسعدني أن أشعر بأن الله جميل، أجمل بكثير مما نظن.



يسعدني أن أشعر بجمال الأشياء من حولي، ليس لأني أراها كذلك، ولكن لأنها جميلة بالفعل..!



الزواج من سمكة الرنجة

❁ بالنظر إلى أمثال البريطانيين عن الحب يتبين لنا أنهم أخذوا الصدمة على مهل! ففي القرن الرابع عشر ظهر المثل: [الحب أعمى]، وهو ما يصلح كملاحظة مبدئية. ثم في أوائل القرن السادس عشر ظهر المثل الشعبي: [لا يمكن للمرء أن يحب وأن يكون حكيمًا في الوقت نفسه]. ثم في منتصف نفس القرن ظهر المثل: [تزوج في عجلة واندم على مهل]!

❁ **أما الإيطاليون** فقد فهموا الدرس أسرع على ما يبدو فكان المثل الإيطالي: [الزواج الجيد يدوم ثلاثة أيام، والزواج السيئ يدوم طوال العمر]. بينما العرب كانوا أسبق منهم جميعًا بالمثل العربي: [حبك الشيء يعمي ويصم]، وهو أثر مرويّ بطريق ضعيف عن النبي ﷺ

❁ **الحب أعمى فعلًا**، كما تخيّل الإغريق الحب (كيوبيد) على أنه طفل (مكلبظ) أعمى يرمي سهامه على العاشقين، وسبب اشتهار الحب بصفة العمى أننا حين نقع في الحب، لا نرى حينها عيوب المحبوب، ولا نرى أحدًا آخر -والذي قد يكون أكفأ وأنسب- غير المحبوب.

❁ **يأتي العلم ليدلي بدلوه** في الأمر فيخبرنا بتفسير العاطفة الشديدة التي نشعر بها في الحب الرومانسي، حيث تكون منطقة المخ المتعلقة بالمشاعر هي الأكثر نشاطًا بينما تكون مناطق المخ التي تتحكم في التمييز والتفكير النقدي

معطّلة عن العمل، وهي نفس الملاحظات البيولوجية التي لاحظوها في الحب الأمومي، لذلك يقول أبناء نابولي: [حتىٰ الصرصور جميل في عين أمه] وهو شبيه بقول آخر للمصريين نعرفه جميعًا فلا داعيَ لذكره.

طبقًا لحسابات بعض البيولوجيين لا يمكن أن يستمر ذلك النوع من الحب الرومانسي بعد الوصال أكثر من عامين! نعم، نحن نتحدث عن حسابات قاموا بها بالفعل يمكنها أن تتنبأ بالمدة التي سوف تستمر فيها في علاقتك العاطفية الخاصة! لا أشتري ذلك بضمير مطمئن على كل حال!

يقولون إنه وبعد أن تنتهي هذه المدة يعود التفكير النقدي المميز لكامل طاقته، يمكنك حينها أن تبصر عيوب محبوبك كاملة بدون عتامة كيوبيد إياها التي كانت تقبع فوق مجال الإبصار! ماذا سوف ترى حينها؟ وهل تقدر على إكمال العلاقة؟ كل الاحتمالات ممكنة، على حسب قدرتك على تحمل هذه العيوب يكون (حظّك) و(نصيبك)! أنت اخترت جائزتك من محل الهدايا وأنت معصب العينين، ربما تكون قد أمسكت بساعة روليكس، أو بسمكة رنجة، وسوف تكتشف بعد فوات الأوان غالبًا، بعد زواجك من الروليكس أو من الرنجة.

❁ **المشكلة الأكبر في ذلك السر الذي فضحه علم البيولوجيا** عن سبب الوقوع في الإعجاب والحب من الأساس، إن الأسباب البريئة الخاصة بتلاقي الأرواح والتي ما انفكّ الشعراء يقنعوننا بها ليست صحيحة دائمًا، يتحدث البيولوجيون عن الهرمونات والفرمونات والصور الذهنية الباطنية عن شريك الحياة المرغوب منذ أن كنا في الطفولة وإلى آخر الفضائح التي لا يحب أحدنا أبدًا أن يعترف لنفسه أنها لربما كانت سبب وقوعه في الحب فعلاً! والأمر

بطبيعته لا يمكن أن يكون ماديًا تمامًا، ولكن لا شك أنه يؤثر بشدة في عملية الانجذاب.

❀ **أتى الإسلام بحل طريف للغاية لهذه المعضلة:** حاول أن تختار وأنت في كامل قدرتك البصريّة وكامل تفكيرك السليم! غضّ بصرك، لا تختلط مع الجنس الآخر بما فوق الحاجة، لا تسمح بعلاقات الزمالة أن تتطور إلى صداقة، ولا للمحادثات الضرورية أن تخرج عن الحد، لا توقع نفسك في العمى، لا تفتح مخزونك العاطفي الفياض الذي خلقتَ به لأي أحد، تأكد أولًا أنه هو الشخص السليم بينما أنت محتفظ بعينيك، بعيدًا عن كيوبيد الأحمق.



الإسلام يدعوك إلى أن تدخل إلى محل الهدايا بدون عصائب على عينيك، ويعلّمك كيف تميّز روائح الرنجة من مسافة بعيدة، ويدرّبك على الطريقة الأمثل كي تنجح في التقاط الساعة الروليكس!



هنـاك الكثير ممـا يمكن المجادلـة بشـأنه فيمـا يخص المثليـة الجنسية Homosexuality ربما الكثير من الألسنة تم إحراجها بعد أن عكف العلم المُسَيَّس على محاولة إثبات الأصل الجيني لها، ولكن بعد الكثير من البحث كانت آخر دراسات مجلة Nature في ٢٠١٩ تقول باختصار: احم! لم نجد شيئًا.

❁ **لم يثبت علميًا أبدًا** أن المثلية الجنسية Homosexuality لها سبب جيني، وهي انحراف نفسي سلوكي، وتعتبر جزءًا من قائمة طويلة من الأمراض النفسية التي تتعلق بالانحراف الجنسي Sexual Perversion -بالرغم من أن الغرب قد قرر شطبه من هذه القائمة، بالطبع منذ انطلاق الثورة الجنسية في السبعينيات- وهذه الأمراض Paraphilia أصحابها يعانون من الانجذاب الجنسي القوي تجاه أشياء مختلفة عن الوضع الطبيعي، مع صعوبة السيطرة عليها.

❁ **هنـاك من يقول ما ذنب الشخص الشاذ؟** هو مخلوق هكذا، حتى لو لم يكن هناك سبب جيني، فأمر واضح لدينا أن الأمر ليس برغبته الخاصة، هو لا يشتهي الجنس الآخر، لماذا نطالبه بالعلاج النفسي -والذي هو صعب فعلًا- لمجرد أن الدين يمنعه من ذلك؟

حسنًا، المفاجأة أن قائمة البارافيليا تشمل الكثير والغريب من الانحرافات الجنسية الأخرى، وجميعها بسبب مرض ما، ليس عن رغبة صاحبه.



مثل حب ممارسة الجنس مع الأطفال Pedophilia ، ومع الموتى Necrophilia ، ومع الحيوانات Zoophilia ، ومع شخص يبكي أو يتألم Dacryphilia ، ومع كبار السن والعواجيز Gerontophilia ، ومع أشياء غير حية Sexual fetishism ، ومع شخص نائم أو فاقد الوعي Somnophilia ، ومع شخص مشوّه Teratophilia ، ومع الأشجار Dendrophilia ، ومع السيارات والآلات الميكانيكية Mechanophilia ، ومع الأقدام Podophilia ، ومع الأنوف Nasophilia ، ومع الأشياء القذرة أو المتسخة Mysophilia ، ومع المعاقين عن الحركة Abasiophilia ، ومع ذوي الأطراف المبتورة Acrotomophilia ، وحب التحرش بشخص لا يوافق على ملامستك له Frotteurism ، وحب الإيذاء الجسدي لمن تمارس الجنس معهم Sadism ، وحب تلقي الأذى من شخص يمارس الجنس معك Masochism، وحب الاغتصاب Biastophilia، وربما أكل أجزاء من المُغتَصب كذلك Anthropophagolagnia، وحب الاختناق أثناء ممارسة الجنس Asphyxiophilia، وحب ممارسة الجنس على المسرح أو أمام الناس Autagonistophilia، وحب القتل أثناء ممارسة الجنس Erotophonophilia، وحب إظهار الأعضاء الجنسية لشخص لا يوافق على ذلك Exhibitionism ، وحب شرب الدماء أثناء الجنس Hematolagnia ، وحب تعذيب الحيوانات للوصول للنشوة الجنسية Zoosadism!

قل لي إذن ما ذنب الشخص الذي لا يصل لنشوته الجنسية إلا بالاغتصاب أو التحرش أو الأطفال أو الجثث؟!



❁ **نصوم** عاشوراء احتفالًا بنجاة موسى ﷺ، وكثير من مناسك الحج والعمرة هي اقتفاء لآثار إبراهيم ﷺ وأهله، ومعظم أدعية القرآن هي أدعية دعا بها الأنبياء والصالحون من قبلنا، معظمهم لم يتحدث العربية، وبعضهم لا يمتون بصلة قرابة أو نسب للنبي محمد ﷺ.

❁ **وأما تاسوعاء** فنصومه فقط كي نخالف اليهود والنصارى!

فلسفة الإسلام في التعامل مع الأديان من قبله مثيرة للعجب، فهو يصر على إظهار وتأكيد وترسيخ كامل الانتماء لأصحاب الرسالات من قبله والذين اتبعوهم بحق، مع إصرار مقابل في الاتجاه مساو في القوة للتبرؤ والتملص والتنصل من أتباع نفس الأنبياء الذين اتبعوهم على باطل وشوهوا طريقتهم وأساؤوا إلى سمعتهم بعد ذلك.

الإسلام لا يقدم نفسه كدين مساو لغيره، بل يقدم نفسه كصاحب حق الانتماء الحصري والوحيد لرسالات السماء قبله، عقيدة الإسلام ما هي إلا امتداد زمني متصل لعقيدة آدم حين خلقه الله ﷻ بيديه.

الأمر أكبر حتى من ذلك؛ فالإسلام يقدم نفسه على أنه دين الحيوانات والطير والجماد من مخلوقات الله الذي له أسلم من في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا.



❁ **تلك القوة** والثقة التي تترسخ في عقيدة المسلمين بالنظر إلى دينهم ليس فقط بكونه الدين الصحيح الوحيد الموجود الآن على ظهر الأرض ولكن بكونه الدين الصحيح الوحيد الذي وُجِدَ يومًا على ظهر الأرض منذ خلقها الله عز وجل.

❁ **تلك القوة** لا تثير أي ريبة أو شكوك بطمأنينة زائفة، على العكس، هي صفة لا بد من أن تكون موجودة في دين يدعي أنه نزل مباشرة من خالق الكون، بجبروت يليق بالإله الجبار، بعزة تليق برب العزة، بحق أحاديّ الجهة والمنشأ يليق بالله الحق، بإيمان بنفسه ويقين يليق بربنا المؤمن المهيمن.



من أتعس الأشياء التي قد تسمعها هو حين تجد من يتكلم عن الجنة بقلق، تجد أحدهم قلقًا ويتساءل: يا ترى في الجنة طائرات أم سننتقل بالخيل؟ يقولون إن الجنة ليس فيها عري! ما هذا؟ لن يكون هناك شواطئ للعراة في الجنة؟! هل من الممكن أن يكون هناك ما هو أسوأ، وتكون الجنة خالية من البكيني أيضًا؟! وهل هناك أنهار عسل في الجنة؟ يع! أنا لا أحب العسل! وما موضوع الحور العين هذا؟ أنا لا أريد لزوجي أن يكون له حور عين! ثم ألن نمل من الحياة الطويلة في الجنة؟ أنت لا تفهم، نحن سنعيش هناك كثيرًا، لا، أقصد كثيرًا جدًا يعني. ثم سنكون بدون عمل أو انشغال هناك -ولا حول ولا قوة إلا بالله-!

❁ يعني وصل بهم الأمر لدرجة أن فكروا في الجنة فوجدوا أنها (مش أد كده)!

بغض النظر عن أن الجنة فيها كل ما تشتهيه الأنفس وزيادة، وأنه لا يوجد في الجنة من سيشعر بالضيق أو الحزن أو الغيرة أو الملل، وأنه لا يوجد فيها مما كان موجودًا في الدنيا -اللهم إلا تشابه الأسماء-، وبغض النظر أن من يتكلم كذلك يشعرك أنه قد استلم جواب تنسيقه واستلم عقد تمليك هناك في الدور الرابع.



بغض النظر عن كل ذلك، فما رأيكم ألا ندخل النار ثم نعيش إلى الأبد في غرفة ضيقة بمروحة سقف ونأكل كل يوم حساء البصل؟ والله هذه سوف تكون صفقة ممتازة بالنسبة إلى أن النار مكان سيئ للمعيشة! لا أنت لا تفهم، هي مكان سيئ جدًا فعلًا!

❁ وهناك ما هو أتعس حتى...

يصلي أحدنا في اليوم فروضه الخمسة بالكاد بمجموع ١٧ دقيقة في اليوم، لا يصوم إلا ثلاثين يومًا في العام مع ٣٠ مسلسلًا لتسلية صيامه خلالهم. يخرج من أمواله ٢،٥٪ ويحسبهم بالآلة الحاسبة تحسبًا للجنيه الزيادة الذي قد يخرج خطأ للصدقة خارج نطاق الواجب.

ثم كل المعاصي التي يقدر أن يطولها بيده تصبح طريقة لمعيشته معتادة، ولا يمنعه من غيرها إلا القدرة فقط. لا يعرف معنى الهم الدعوي أو العبادة التطوعية أو العمل الخيري.

ثم في النهاية يقول: «تخيل لو ظهر أن أمر البعث وهم في النهاية، ولا يوجد يوم قيامة، كم مقدار ما خُدِعنا؟! وأضعنا حياتنا دون حساب في النهاية!»

❁ **اعذرني**، ولكن... أليس من المفترض أن تفرح حينها؟! ألا يكون هناك بعث ولا سؤال عن كل ما فعلتَه في حياتك. من أين أتيتَ بكل هذا التفاؤل فيما يخص طريقة حسابك؟!

❁ دعني أنقل لك بعض المحفوظات اللطيفة من كلام الصحابة والتابعين!

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: «يَا لَيْتَنِي إِذَا مِتُّ كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا». وعنها أيضًا: «وَاللَّهِ



لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً، وَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَدَرَةً، وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْنِي شَيْئًا».

وعن أبي بكر الصديق: «طُوبَى لَكَ يَا طَيْرُ، مَا أَنْعَمَكَ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ، تَأْكُلُ مِنْ هَذِهِ الثَّمَرَةِ، ثُمَّ تَمُوتُ، ثُمَّ لا تَكُونُ شَيْئًا؛ لَيْتَنِي مَكَانَكَ!». وعنه أيضًا: «لَيْتَنِي كُنْتُ خَضِرَةً تَأْكُلُنِي الدَّوَابُّ».

ولَمَّا طُعِنَ عُمَرُ رضي الله عنه، قيل لَهُ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ مَا أَمَامِي قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ مَا الْخَبَرُ!». وفي رواية: «لَوَدِدْتُ أَنِّي تُرِكْتُ كَفَافًا، لا لِي وَلا عَلَيَّ!».

وعن عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه: «لَوْ وُقِفْتُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أُصَيَّرَ رَمَادًا، أَوْ أُخَيَّرَ إِلَى أَيِّ الدَّارَيْنِ أَصِيرُ، لاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا!».

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَوْ وُقِفْتُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَهُمَا، أَيُّهِمَا مَنْزِلِي، أَوْ أَكُونُ تُرَابًا، لاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ تُرَابًا!». وعنه أيضًا: «وَدِدْتُ أَنِّي إِذَا أَنَا مِتُّ لَمْ أُبْعَثْ».

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ عز وجل، خَلَقَنِي يَوْمَ خَلَقَنِي شَجَرَةً تُعْضَدُ».

وعن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: «يَا لَيْتَنِي رَمَادًا تَذْرِينِي الرِّيحُ!».

وعن كَعْبٌ: «وَدِدْتُ أَنِّي كَبْشُ أَهْلِي، فَذَبَحُونِي، ثُمَّ طَبَخُونِي، ثُمَّ أَكَلُونِي!».

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَبِنَةً مِنْ هَذَا اللَّبِنِ لا عَلَيَّ وَلا لِي».

وكان الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ: «لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أَمُوتَ فَأَرِي الْقِيَامَةَ،

وَأَهْوَالَهَا، وَالْبَعْثَ، وَالْحِسَابَ، ثُمَّ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَبَيْنَ أَنْ أَكُونَ كَلْبًا، فَأَعِيشَ مَعَ الْكِلابِ عُمْرِي حَتَّى أَمُوتَ، ثُمَّ أَصِيرُ تُرَابًا، لاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ كَلْبًا حَتَّى أَمُوتَ، ثُمَّ أَصِيرُ تُرَابًا، وَلا أَرَى الْجَنَّةَ وَلا النَّارَ، هَنِيئًا الْجَنَّةُ لأَهْلِهَا، أَلَيْسَ لا أَرَى الْقِيَامَةَ وَلا أَهْوَالَهَا؟!».

وعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: خَرَجَ هَرِمُ بْنُ حَيَّانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ يُرِيدَانِ الْحِجَازَ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَسِيرَانِ عَلَى رَاحِلَتِيهِمَا، إِذْ مَرَّا عَلَى مَكَانٍ فِيهِ كَلأٌ حَلِيٌّ وَنَصِيٌّ، فَجَعَلَتْ رَاحِلَتَاهُمَا تُخَالِجَانِ ذَلِكَ الشَّجَرَ، فَقَالَ هَرِمُ بْنُ حَيَّانَ: «يَا ابْنَ عَامِرٍ، أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ شَجَرَةٌ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرِ، أَكَلَتْكَ هَذِهِ الرَّاحِلَةُ، فَقَذَفَتْكَ بَعْرًا، فَاتُّخِذْتَ جَلَّةً؟» قَالَ: «لا وَاللَّهِ، لَمَا أَرْجُو مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ»، فَقَالَ هَرِمُ بْنُ حَيَّانَ: «لَكِنِّي وَاللَّهِ، وَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرِ، أَكَلَتْنِي هَذِهِ النَّاقَةُ فَقَذَفَتْنِي بَعْرًا، فَاتُّخِذْتُ جَلَّةً، وَلَمْ أُكَابِدِ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ، وَإِمَّا إِلَى نَارٍ، وَيْحَكَ يَا ابْنَ عَامِرٍ! إِنِّي أَخَافُ الدَّاهِيَةَ الْكُبْرَى»، قَالَ الْحَسَنُ: «كَانَ وَاللَّهِ أَفْقَهَهُمَا وَأَعْلَمَهُمَا بِاللَّهِ ﷺ».

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَيْسَرَةَ يَقُولُ: «لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي»، فَتَقُولُ لَهُ امْرَأَتُهُ: يَا أَبَا مَيْسَرَةَ، أَلَيْسَ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ؟ هَدَاكَ لِلإِسْلامِ، وَعَلَّمَكَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ أُخْبِرْنَا أَنَّا وَارِدُونَ النَّارَ، وَلَمْ نُخْبَرْ أَنَّا صَادِرُونَ عَنْهَا!».

وعَنْ مُرَجَّى بْنُ وَادِعٍ الرَّاسِبِيُّ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَطَاءٍ السُّلَيْمِيِّ، وَهُوَ يُوقِدُ النَّارَ تَحْتَ قِدْرٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا: يَا عَطَاءُ، أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ حُرِّقْتَ بِهَذِهِ النَّارِ وَلَمْ تُبْعَثْ؟ قَالَ: «وَتُصَدِّقُونِي؟ فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي حُرِّقْتُ بِهَا، ثُمَّ أُخْرِجْتُ، ثُمَّ أُحْرِقْتُ، ثُمَّ أُخْرِجْتُ، ثُمَّ أُحْرِقْتُ، وَأَنِّي لَمْ أُبْعَثْ!».

وعن صَالِحٍ المُرِّيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِعَطَاءٍ السُّلَيْمِيِّ: مَا تَشْتَهِي؟ فبَكَى ثُمَّ قَالَ: «أَشْتَهِي وَاللَّهِ يَا أَبَا بِشْرٍ، أَنْ أَكُونَ رَمَادًا، لا يَجْتَمِعُ مِنْهُ سُفَّةٌ أَبَدًا فِي الدُّنْيَا ولا فِي الآخِرَةِ!». قَالَ: فَأَبْكَانِي وَاللَّهِ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ النَّجَاةَ مِنْ عُسْرِ يَوْمِ الْحِسَابِ.

وقَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: «يُمَنُّونَنِي الأَجْرَ الْعَظِيمَ وَلَيْتَنِي نَجَوْتُ كَفَافًا لا عَلَيَّ وَلا لِيَا».

وعن عَلِيِّ بْنِ زُفَرَ قَالَ: «اسْتَرَاحَتِ الطَّيْرُ فِي السَّمَاءِ، وَالْحِيتَانُ فِي الْبِحَارِ، وَالْوَحْشُ فِي الْقِفَارِ، وَأَنَا مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِي!».

وقَالَ مَطَرِّفٌ: «لَوْ وُقِفْتُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَقِيلَ لِي: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ، أَنْ أُخَيِّرَكَ أَيُّهُمَا تَكُونُ دَارَكَ، أَوْ تَكُونَ رَمَادًا هَامِدًا؟ اخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا هَامِدًا».

وقال حُذَيْفَةُ بْنُ قَتَادَةَ الْمَرْعَشِيُّ: «يَنْبَغِي لَكَ لَوْ أَنَّكَ لَمْ تَعْصِ اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَنْ تَمَنَّى أَنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ!».

وكَانَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ، يَقُولُ: «مَا سَأَلْتُ اللَّهَ الْجَنَّةَ قَطُّ، إلا وَأَنَا مُسْتَحٍ مِنْهُ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أَنْجُو مِنَ النَّارِ، وَأَصِيرُ رَمَادًا».

وعن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، يَقُولُ: «وَدِدْتُ أَنِّي أُفْلِتُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ، لا لِي، وَلا عَلَيَّ».

وعن مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: «لَوْ كَانَ لأَحَدٍ أَنْ يَتَمَنَّى لَتَمَنَّيْتُ أَنَا أَنْ يَكُونَ لِي فِي الآخِرَةِ خُصٌّ مِنْ قَصَبٍ، وَأُرْوَى مِنَ الْمَاءِ، وَأَنْجُو مِنَ النَّارِ».

وكَانَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ يَقُولُ: «يَا لَيْتَنَا لَمْ نُخْلَقْ».



من جديد أسأل، من أين لك هذا التفاؤل البالغ الأحمق؟!



عاهة

❁ **أريد أن أخبركم** -وبدون سبب واضح- أن الكثير من ملحدي العرب عبارة عن عاهات فكرية!

❁ **وأنا والله لست من مؤيدي السباب** أو تراشق الألفاظ لأن هذا يجيده كل الناس ولا ينصر أي فكرة، لكن هناك مجموعة من الأفكار والأحوال لا يصلح تسميتها باسم لطيف في النهاية، فكان الاختيار ما بين العاهة ولفظ آخر أقل منه أدبًا.

والمتأمل لحال الملحد العربي سيكتشف أنه لم يكن عليه أن يتأمل في حال الملحد العربي لأنه بشكل عام شخص غير جدير بالاهتمام، ومن جديد نتكلم عن الكثيرين منهم وليس الكل.

تجده لا يقرأ في الكتب فعلًا إلا نادرًا، ولم يقرأ حتى كتب رموز الإلحاد الجديد ولا يعرف فعليًا شيئًا عما يقولونه، بينما يستقي معلوماته من مقالات المدونات وفيديوهات يوتيوب، ولفظ يستقيها هنا مقصود لأنه يتعامل مع المعلومات التي يأخذها منها مثلما تتعامل أنت مع عصير القصب: تشربه في شربة واحدة دون أن تحاول التفكير في مذاقه.

ليست لديه أي رؤية فلسفية متماسكة عن العالم، وهويته مختلطة ما بين فلسفات متضاربة من ليبرالية ومادية وحسية وعقلانية لا يمكن تصور

اجتماعها في شخص واحد إلا شخص لا يفهم أي شيء مما قاله أي فيلسوف على مر التاريخ.

ليست لديه فكرة عن كيفية بناء المنهج العلمي ولا تاريخ تطور العلم ولا أساسيات العلوم الطبيعية، وبرغم هذا قد أعطى لنفسه الحق أن يكون ممثل المؤسسة العلمية العالمية في قرية بهنباي مركز ديرب نجم.

في السوشيال ميديا وفي حياته الشخصية يتمحور حول الجنس بطريقة تثير الملاحظة بشكل عنيف. وحين يختلف فكريًا مع أحدهم يجد أن أفضل لفظ للتعبير عن إهانته له هو أن يصفه بالأعضاء الجنسية للست والدته. وحين تناقشه في الحقيقة يتنكر في زي حارس الفضيلة الذي يشمئز من أخلاقيات الأديان التي تُشيّئ المرأة!

لا يستطيع أن يقرأ القرآن بشكل صحيح، ويخلط باستمرار بين الأحاديث النبوية والآيات القرآنية من كثرة جهله بكليهما. وبرغم ذلك يصر أنه يعرف وحده كيف تم تجميعه فعلًا، ويجلس في موضع المعلم لقراء القرآن: هلم إلي أشرح لكم ما لا تعرفونه عن ذلك الكتاب الذي جمعت علومه كلها!

لا يعرف عن الشعر العربي إلا كلمة : الشعر الجاهلي -والتي بدورها لم يقرأ عنها شيئًا في الغالب غير بعض الكلمات المتناثرة هنا وهناك في المدونات إياها، فضلًا عن قراءتها هي نفسها.

لا يعرف في المنطق غير كلمة المغالطات المنطقية -والتي يمارس بنفسه سبعًا أو ثمانيًا منها باستمرار في كل ساعة يتكلم فيها.



عنده القدرة على أن يتكلم بالكثيرمن الأشياء الغبية كبيرة يفسر بها العالم ذات نفسه لا يوجد أي دليل وبدون أي تأنيب ضمير من ناحيته.



لا أعرف في الحقيقة لماذا الملحد العربي بالذات تجتمع فيه هذه العيوب بهذه الكثرة أكثر من غيره من الملحدين، هل من الممكن أن يكون للأمر علاقة بالچينات أو بالماء الذي نشربه أو بنظام التعليم، أو ربما أن الأشياء الغريبة التي نأكلها في العالم العربي مثل (المفتقة) أو (المغات) تسبب تأثيرات كامنة ما في الإنسان بحيث تجعله حين يلحد يصبح عاهة فكرية!

لا أعرف بالضبط.



❁ **أنت شخص** بريء يقوم بحريته الشخصية في إقامة علاقات مع الجنس الآخر ومتحرش قذر يجب عليك أن تُقذف بالحجارة في نفس الوقت حتى تقوم الفتاة بالرد عليك وتختار لك أحد المصيرين!

❁ **لو عرضتَ** على الفتاة ممارسة الجنس معك -لأنك تشعر بشكل ما أنك (راجل جدًا) سوف تملأ عينيها- ثم قبلت، لا يوجد لوم عليك، كل من سيحاول أن ينتقدك مصيره متحف التاريخ الطبيعي من المتدينين الذين يدعون إلى الفضيلة ويحاربون حريات الناس الجنسية.

❁ **ولو عرضتَ** عليها لذات السبب فرفضت وشعرَت بالإهانة (وهذا حقها)، فأنتَ أصبحتَ متحرشًا سوف يقذفه المجتمع بأكمله بالسباب (ومن جديد، هذا حقهم).

❁ **حتى العرب تحدثوا عن هذه الظاهرة**، مثلما قال (سُحيم عبد بني الحَسحَاس):

رأيتُ الحَبِيبَ لا يُمَلُّ حَدِيثُه	ولا يَنفَعُ المشنوءَ أن يتودَّدا

إذ ما الذي سيحدد إن كان حديثك لا يُمَل منه أم هو تودد كريه لا ينفعك غير مقدار حبها/ بغضها لك في الحقيقة؟!



يخبرونك أن الفارق بين الاثنين في كلمة (لا) التي تقولها الفتاة. عليك أن تتوقف بعد (لا) الأولى حتى لا تتحول للنمط الثاني.

❁ **ولكن،** ماذا لو كانت هذه الكلمة غامضة قصدتها الفتاة ولم يفهمها (طالب العلاقة/ المتحرش)؟ ماذا لو كانت قد قالت (لا)، وهو ظن أن بإمكانه إقناعها بالمزيد من المغازلة التي لن تضر أحدًا في رأيه؟ ماذا لو كانت قالت (نعم) لعدة مرات وقررت أن تغيرها لـ (لا) في وقت ما؟ من المسؤول عن هذا الـ Confusion الذي أصاب هذا المتحرش القذر المسكين؟!

وتظهر لك الأفلام السينمائية أحدهم يقوم بمحاولة إجبار أنثى على علاقة جنسية ولسبب ما تقرر أن تلين له بعد دقائق من التمنع: هذا الشخص هو بطل الفيلم الذي حظي بليلة طبيعية جدا على طريقة (السمكة والصياد) التي هي لعبة جنسية شهيرة في كل الثقافات، الأنثى تتمنع قليلاً ثم تغرقك في اللذة بعدها بموافقتها.

ويظهر لك فيلم آخر نفس التصرف ولكن الأنثى تصر على التمنع إلى النهاية: هذا الشخص مغتصب ومن المستحيل التعاطف معه وسيموت بعد أن يركل بطل الفيلم مؤخرته إلى مزبلة التاريخ.

مع أن كلا من كلمة (لا) هنا وهناك قيلت بنفس النبرات ونفس الانفعالات تمامًا، واختار كل من الرجلين نفس الفعل ونفس الاختيار، ولكن أحدهما حظي بحظ حسن فقط!

الحرية مكفولة للجميع لإقامة ما يحبونه من العلاقات المحرمة، وليس لنا أن نتدخل بالقلق أو اللوم المجتمعي من علاقة خارج الزواج، قبل الزواج، بين جنسين متماثلين أو أيا يكن. فقط إلى اللحظة التي تقرر فيها الأنثى رفض عرضه وحينها يتحول إلى مجرم في نظر الجميع، وبأثر رجعي!

❁ **هذا هو المنطق الذي يصدرونه لنا**، وهذا هو القانون الذي من المفترض أن نسير عليه في حياتنا كي نرضيهم قربانًا لحماية حمى الحرية الجنسية التي تحولت لتابوه غير مسموح لأحد بنقده.

❁ **العلاقات المحرمة كلها محرمة** -سواء برضا أو بعدم رضا الأنثى-، وتزداد الحرمة بالتأكيد في الحالة الثانية.

❁ **عاقبوا المتحرش مجتمعيًا قدر ما تستطيعون**، ولكن يجب عليكم أن تقروا أن عدم اعترافكم بالقيم المجتمعية الضابطة للحياء سيجعل المتحرش يظهر وكأنه فقط يُعاقَب على سوء حظه!

وهناك بعد آخر أكثر عمقًا فيما يخص التحرش.

❁ **حين ترخي حبل الحريات الجنسية إلى آخره**، ماذا يمكن أن يفعل ذلك في الشباب الذين لم يعتادوا -ولو للحظة- على ممارسة الفضيلة؟! هل لنا أن نتوقع أن يربي ذلك لدينا مجتمعًا من أصحاب اللباقة ودماثة الخلق الكافية للتوقف عند الحدود الواهية التي رسمها له المجتمع المتحرر؟!

ربما لهذا نجد أن أكثر الدول تحررًا هي أكثر الدول في نسبة الاغتصاب والتحرش الجنسي، هناك العشرات من الإحصائيات في ذلك في الثلاثين سنة الأخيرة، وأحيلك في ذلك إلى محرك بحثك المفضل للتأكد من ذلك.

❁ **لماذا ذلك؟**

الفكرة أن هوى النفس وشهواتها لا يمكن منطقيًا اتباعهم إلى النهاية، وبكامل غض النظر عن العقيدة الدينية التي اخترتها لنفسك ثم مدى تمسكك بها نفسها وإحكامها على حياتك، فلن يكون لك أبدًا -وفي سياق أكثر المجتمعات تحررًا- الحق في أن تأخذ الـ Full Maximum من متعتك الخاصة دون أن تجد أحدًا يقول لك: يجب عليك أن تقف عند هذا الحد!

وسواء كان هذا الحد هو حريات الآخرين، أو كان آداب اللياقة العامة في مجتمع ما، أو كان حبك لشريك حياتك الذي من الممكن أن تفقده لو نظرت إلى غيره، أو كان مجموعة من الأوامر وجدتها في كتاب قديم تؤمن بأنه من عند الله فعملت بما فيها.

❁ **في النهاية**، فالنتيجة واحدة، سوف تدرك في مرحلة ما أنه مهما كثرت محاولات التطبيع مع النفس فلا بد من المواجهة في النهاية، ومهما كانت نفسك عزيزة عليك أن تمنعها من شيء تشتهيه، فمن اللازم عليك أن تضطر إلى منعها فعلًا في يوم من الأيام.

❁ **وقتها لن ينجح غير من تدرب على المقاومة!** وبالنسبة لمن سيكون هذا حاله فسيحتاج أشد ما يكون إلى تلك الألفاظ التي يستخدمها... خمّن معي!: المتدينون!

❁ **مجاهدة النفس** والصبر عن المعصية ومقاومة الهوى وكل هذه الكلمات المعقدة التي نسمعها في خطب الجمعة ونتخيل أنها ليست لنا نحن ولن نحتاجها.

في الحقيقة كلنا فعلا -عاجلًا أو آجلًا- سوف نكون في أمس الحاجة إليها. هناك فقط من سيتفاجأ بذلك في وقت الحاجة دون أن يتدرب عليها ولو مرة واحدة في حياته!



في النهاية، أنت إنسان ولستَ مجرد مادة، ولن تنطبق عليك قواعد معاملة الحيوانات، والدين هو أكثر وسيلة فعالة في تحويل بوصلتك من الطين للسماء، وكلما تعاملتَ مع نفسك على هذا الأساس بشكل أسرع كلما قلت حجم خسائرك.

الطماطم اليــوم

[مطلوب سكرتيرة حسنة المظهر تعمل موظفة استقبال في مركز طبي عدد ساعات العمل ٨ والمرتب ١٢٠٠و يشترط أيضًا اللباقة وحسن الاستقبال.. الاتصال على رقم ٠١١١١XXXXXX].

الإعلان حقيقي وحتى رقم التليفون حقيقي فأخفيت معظمه، يمكنك التواصل مع صاحب هذا الرقم ليؤكد لك أن كل هذا حقيقي، وأن هذه هي قواعد اللعبة الجديدة. مطلوب منكِ كفتاة باحثة عن لقمة العيش، أن تعملي بالطاقة القصوى للعمل، ٨ ساعات في اليوم، ٦ أيام في الأسبوع، مقابل.... ٤٠ جنيهًا في اليوم!

❁ **الآن أنتِ تعملين**، فمن المفترض في ألف باء مرتبك أن يكفيكِ أنتِ شخصيًا -دون أن نطمع في أن تنفقيه على بيت على حد الكفاف أو أم مسنة أو أب عاجز-، أنتِ فقط من المفترض أن تأكلي ثلاث وجبات يوميًا مع الدواء عند الحاجة وملابس تكفي لكي تكوني (حسنة المظهر) مع إيجار السكن والكهرباء والمياه والمواصلات وفاتورة الهاتف المحمول، كل ذلك عزيزتي بـ ٤٠ جنيهًا. أو ٣٨ جنيهًا فقط لو كان الشهر ٣١ يومًا.

❁ **قد تظنين** أيتها الفتاة أن هذا كل شيء. الحقيقة لا، لقد بدأنا للتو!

المطلوب أن تكوني فتاة حسنة المظهر، فلو ضغطت عليكِ الحياة أو شردتِ في التفكير ترى كيف سأقضي يومي الحالي ب ٣٨ جنيهًا رغم أن المواصلات في الطريق للعمل فقط التهمت خمسة جنيهات. فقد يؤدي ذلك إلى التخفيف من

سحر ابتسامتك أو تكوّم التعرجات على جانبي فمك العابس قليلا، حينها لن توفري الأحلام الكافية لزبون الشركة الذي تجلسين لاستقباله، لن يعجب الأمر رب العمل صاحب رقم الهاتف بالأعلى، وقد يزجرك أو يهينك أو يذهب بكِ ويأتي بأخرى، وإلا فماذا تظنين في الأغلب قد حدث لزميلتك السابقة قبل وضع هذا الإعلان؟

❁ **تقول لي:** هذه شروط مجحفة، لن يجد من تقبل. لكنه في الحقيقة سوف يجد! العرض والطلب يضمنان له أن يجد، ومع الوقت فأرباب الأعمال قد يخفضون في الأرقام المعروضة إلى أن يصلوا: مطلوب عامل يهب نفسه لي عبدًا مملوكًا مقابل لقمة عيشه وألا أدعه يموت (في الحقيقة لا أجد كبير فرق بين الإعلانين)، حينها سوف يجد أيضًا، وسوف يتقدم هؤلاء في صف ويقابلهم الـ HR ليحدد إن كانت الشركة ستسمح بشرائهم مجانًا أم لا.

❁ **في النهاية** فرب العمل هذا بعد أن يلتهم كل يوم أحلام الفتاة، بعد أن يعتصر شبابها وبهجة أيامها في أعماله التافهة -سوف يكتب على الفيسبوك بصعبانية بهاتفه الآيفون وهو يلتهم شطيرة ضخمة: الأسعار زادت، والبنزين ارتفع، وحسبي الله ونعم الوكيل في الظالمين.

❁ **المشكلة** أن كل واحد من أرباب الأعمال هؤلاء لن ينظر إلى نفسه كمستغل أو كظالم، بالنسبة إليه طالما هذا هو (سعر السوق) فليس عليه حرج.



نتعامل مع أحلام البشر وحيواتهم وساعات أيامهم وعرق جبينهم كما نتعامل تمامًا مع الطماطم، اليوم سعرها ثمانية جنيهات، من الحماقة إذن أن تشتريها بتسعة!

عزيزي المواطن احذر من العاهرات

❁ **تخيل لو** وضعت صورة لمجموعة من البنات بحجاب، وبجانبها صورة لأخرى بدون حجاب، ثم أشرت إليها بسهم وكتبت تحتها: (عزيزي المواطن احذر من العاهرات! عند رؤيتك لأي عاهرة قم بالمسارعة بالإبلاغ عنها إلى شرطة مكافحة الدعارة. العاهرات ينشرن الأمراض الجنسية ويسئن إلى قيم الوطن).

❁ **ماذا لو قمت بعمل ذلك؟** ما كم الشتائم التي ستوجهها لي (عن وجه حق كامل)؟ غباء، عنصرية، قلة أدب، ضيق أفق، غير مجموعة مختارة بعناية من الشتائم الحقيقية التي تكتب عادة في الكتب المحترمة على هيئة نجوم.

لكن في المقابل يكون الأمر طبيعيًا جدًا أن (ستيروتايبينج) شبيه يقام ضد كل شاب ملتح! وفي منتصف العام (٢٠١٩) وجدنا صورة على فيسبوك مثل التي حكينا عنها في بداية المقال، مجموعة من الناس بدون لحية يمسكون بواحد آخر له لحية، ومكتوب تحتها كلمات لحث المواطنين على سرعة الإبلاغ عن الإرهابيين!

❁ **نسيت أن أقول** إن هذه الصورة كانت على الصفحة الرسمية لدار الإفتاء المصرية!

❁ **الصراحة** لقد أعجبت بالمثال الخاص بي لذلك سوف أستخدمه عدة مرات أخريات في هذا المقال، فأرجو أن يتسع صدرك لي ولا تمل مني سريعًا.

الـ (ستيروتايبينج) لن يتوقف عند حد اللمز بالألقاب، بل سيمتد إلى حرمانك كملتحٍ من ممارسة حياتك الطبيعية. وسيكون أمرًا طبيعيًّا تمامًا أن تتعايش مع فكرة وجود أماكن في مصر لا يجوز لك أن تدخلها، على سبيل المثال وعلى المستوى الشخصي لم أتمكن من حضور حفل زفاف أختي لأنه قد تم منعي أنا وزوجتي عند البوابة، بينما شرح لنا حارس الأمن أن دخول المنتقبات والملتحين إلى المكان ممنوع!

قام زوج أختي بعدها بإرسال من شرح لحارس الأمن أن: (يا أيها الغبي، هذا أخو العروسة).

ولكني بعدها رفضت أنا أن أدخل، وادّعيت أن ذلك لأمور تتعلق بالكرامة، بينما في الحقيقة ما منعني من الدخول هو تذكري أني كنت نسيت متفجراتي الخاصة في البيت، مما أحزنني للغاية، هذه كانت آخر واحدة من أخواتي الأربع تتزوج، ولم أفجّر في فرح أي واحدة منهن Am I even a family, bro؟!

يبقى ذلك ألطف كثيرًا من ذلك النادي في القاهرة الذي صور أحدهم لافتة معلقة على بوابته تقول: (ممنوع دخول الملتحين والمنتقبات والحيوانات)!

❁ **فبالله عليك تخيل** لو كتبتُ على باب عيادتي كطبيب مثلًا: (ممنوع دخول المتبرجات والرجال مرتدو السلسلة)؟ ما رأيك؟

لا بالطبع لن أذكر سيرة الحيوانات، لأنني لن أنحط إلى هذه الدرجة بالتأكيد.

ولو لم يعجبك هذا المثال فإليك المثال الأخير..

وهو هذا المثال الذي حدث الآن والله عزيزي الإنسان سبحان الله أثناء كتابتي لهذا المقال الآن على هاتفي المحمول في (المترو)، حيث أتى أحد كبار السن

الطيبين ونظر لي شذرًا قائلًا: «خفف من لحيتك، حتى لا يظن أحد أنك إرهابي».

لقد أحببت الرجل ولمسني صدق خوفه على سلامتي وشكرته ومتأكد أنه لا يقصد أي إساءة، ولكن من جديد تخيل لو ذهبتُ أنا لتلك الفتاة هناك الخارجة معي من ذات عربة قطار المترو وقلت لها بعد أن أنظر لها شذرًا: «أتمنى لو كانت تنورتك أطول من ذلك حتى لا يظن أحد أنكِ......».

بالطبع قبل أن أكمل الجملة سأجد نفسي في فيديو عليه خمسة عشر مليونًا من المشاهدات لأننا نعرف جميعًا أن البنات الآن يستخدمن تقنية التصوير الآني في الأماكن العامة عن طريق أجهزة إلكترونية بالنانو منثورة فوق العينين مع الـ (آي شادو) أو أيًا يكن. ومصر بأكملها كانت لتكون في وصلة سباب موجهة لشخصي، ومن جديد عن حق كامل.

يعني الستيروتايبنج لم يعد مجرد أفكار بلهاء عند الناس، ولكن صار واقعًا مجتمعيًا نحن أنفسنا كملتحين تعودنا عليه، نجهز بطاقاتنا الشخصية أثناء اقترابنا من أحد الكمائن في المواصلات ونقرأ ما تيسر من القرآن على سبيل الاستغاثة. سائق سيارة الأجرة من تلقاء نفسه يأخذ المنعطف الأطول حين يضطر أن يأخذنا إلى وجهة قريبة من مديرية الأمن أو أحد الكنائس أو حتى منفذ القوات المسلحة لبيع حلاوة الوطنية الطحينية.

أعلم بالطبع ما تريد أن تخبرني به، تريد أن تهتف في ذكاء ووقار يليق بأهل الحكمة: (نحن لا نقول إن كل الملتحين إرهابيين، ولكن كل الإرهابيين ملتحون). هل تعلم سيدي أن هذه الكلمة لو قلتَها عن المسلمين في أمريكا فمن الممكن أن تتم محاسبتك بتهمة العنصرية والإسلاموفوبيا؟ لأنهم فهموا هناك

قبلنا للأسف أنها طريقة مختلفة في الحقيقة لقول نفس الشيء.

الأذكياء -بالفعل- منكم سيقولون إن المثال لا ينطبق لأن -يا غبي، الذي هو أنا- العاهرات يلبسن في العادة حجابًا أو نقابًا حتى، يحتجن إلى التخفي باستمرار وسط ملابس المجتمع المعتاد، لا يشترط أن تكون متبرجة حتى لو أرادت أن تفعل.

ساعتها اسمح لي، أولًا أهنئك على ذكائك وأخبرك أني كنت أنتظرك من بداية المقال، وأقول ثانيًا: إن هذا هو ما أريد أن أصل إليه في النهاية والله العظيم. أن الإرهابيين الذين ينفذون أحد مهامهم التدميرية أو يحاولون تفجيرفرح أختي يعرفون أن أجهزة الأمن ومعهم قطاع عريض من المجتمع سوف يبحثون عن اللحية، الأمر بسيط، سوف يحلقونها بسهولة قبل التحرك بالفعل ليتماهوا وسط الجميع!

أي إن الـ (ستيريوتايبنج) العبقري الخاص بنا في حصر الإرهاب في اللحية ليس فقط غير صحيح، وإنما خدم الإرهابيين في إهدائهم الطريقة المثلى للإفلات من الشبهات!



من المفترض أن كل الناس يفهمون ذلك حتى (وحيد حامد) في فيلم الإرهابي في التسعينيات! لماذا نسيت تراث عادل إمام يا صديقي؟ المتبرجات نسيْنه بسبب الزهري، أما أنت ما عذرك؟ آه لقد تذكرت أنت تلبس سلسلة، فمن المؤكد أن السبب هو المخدرات.

آسف!



جلادستون

❁ **خيار الإلحاد أو اللادينية** عمومًا بمختلف عقائدها يظهر وكأنه عقلاني جدًا في مواجهة العدد الكبير من الأديان والطوائف، ويظهر لك وقتها المُنَظِّر للفكرة -والذي يدعي في الأغلب أنه ليس مُنَظِّرًا- ليقول لك: انظر كم مليون إنسان على دين غير ذلك الذي وُلدتَ عليه؟ هل معقول كل هؤلاء خطأ وأنت فقط على صواب؟!

ساعتها يصيبك نوع من أنواع (ضجيج) الاحتمالات، والتشويش النابع من فكرة أنه أكيد أنك لستَ جلادستون (نعرفه في العربية باسم محظوظ، ابن عم بطوط في قصص مجلات ميكي)، والذي يجب أن يفوز باليانصيب في كل مرة، وأنه ما زال من الوارد أن تكون قد خُدِعت مثلما تظن أن كل هذه الملايين غيرك قد خُدِعوا. وغيرك أيضًا ليس جلادستون لذات السبب، فبالتالي يبدو الأمر عقلانيًا جدًا أن الإجابة الأقرب للصواب هي: لا شيء مما سبق.

لكن الحقيقة الاعتماد في الإلحاد على هذه الفكرة بمجردها أمر في منتهى السذاجة. وككل شيء ساذج في وطننا الحبيب، فالشباب يقومون به للأسف باستمرار.

❁ **وسبب السذاجة** أن كل خيارات اللادينية هي اختيارات في النهاية، وسواء قلت إلحاد أو لا أدرية أو ربوبية أو شيئية أو إله غير شخصي.... إلخ.

فأنت في النهاية اخترت اختيارًا ما أيضًا، وفصله عن الأديان ظلم وانحياز غير مبرر، في النهاية يمكن النظر لجميع الأديان على أنها أفكار أو عقائد مثلها مثل أفكار اللادينية بالظبط.

يعني من المفترض أن نضم اختياراتك اللادينية -بالغة الحكمة من وجهة نظرك- لقائمة الاختيارات الموجودة التي نفرتَ منها أنت لمجرد أنها كبيرة جدًا، ولم تقم في الحقيقة بأي شيء إلا مجرد أنك كبّرتها أكثر. فما دامت هناك حقيقة مطلقة في مكان ما فقانون الاحتمالات ليس في صالحك حين تقول إن الحقيقة المطلقة في الإلحاد مثلًا -مثلما تمامًا لم يكن في صالحي حين أقول إنها في الإسلام-.

هذا بغض النظر بالطبع عن امتلاك الإسلام لأدلة مستقلة على صحته بشكل مستقل تمامًا عن استمداد صحته أو خطئه من فكرة الاحتمالات وعدد الاختيارات البديلة.

❁ **في النهاية هناك اختيار ما**، وهذا الاختيار هناك فئة ما أيضًا محظوظة أنها وُلِدَت عليه، هذا كله لا يمكن إنكاره.. جلادستون موجود بالفعل في عالم العقائد والأفكار.

خروجك من هذه الفكرة الصائبة لمجرد أنك لا تصدق أنك قد تكون وُلدتَ عليها -غباء. وثباتك على فكرتك الخاصة لمجرد أنك متأكد أنك وُلدتَ على ما هو صواب -ضيق أفق.

❁ **فبالتالي** من المفترض أن نقوم بتنحية هذه الطريقة الساذجة تمامًا في التفكير، ولا تجعل أي ضجيج أعداد ما تشوش عليك اعتقادك، ويبقى في

النهاية معايير الصواب والخطأ العقلية والتاريخية والحسية هي التي ستحكم على أي فكرة، وليس السذاجة الخاصة بـ: (غيرك يرى أنه على صواب مثلما ترى أنت أنك على صواب) وكل هذه الأجواء اللزجة.



وفيما يخص الاعتقادات فهذه هي أهم أفكار سوف تعتقدها في حياتك فلا يُنصَح بأي أشياء لزجة عمومًا!



يأتي مع الليل

الليل حيث يتراقص الشباب الفتيُّ على الأنغام الجديدة، يحتفلون بقوتهم، بسطوتهم، بصحبتهم، بشغفهم بالحياة. وعلى ناصية الطريق اثنان يتهامسان عن الأحلام، وفتاة تتسارع في مشيتها كي تفر من الزحام، وامرأة يافعة تراقب من شرفتها وتتحسّر على رحيل أشياء من كل تلك الأشياء القديمة التي يأتي بها الليل.

الليل حيث تتطقطق الفحمات في نارجيلة الرجال على المقهى، وتسمع أصوات أحجار رقعة الطاولة الصاخبة، هي صاخبة أكثر مما ينبغي، وكأن أصحابها يحاولون شق سكون الليل بصوت يؤنسهم، في المقهى نادلٌ شابٌّ مُحطّم الآمال، وعاملٌ متعب قد أنهكه العمل، وفتى صغير يسعل بعد أن جرب الدخان لأول مرة، ورجل مُسنّ يراقب حركة الناس بالخارج ويحنّ إلى أشياء من كل تلك الأشياء الجميلة التي يأتي بها الليل.

المشفى لا يغلق أبوابه في الليل، الطبيب الذي قد يقهر المرض بعلمه وبداخله يعلم أنه تقهره أشياء سخيفة لا يظن الناس أنها قد تنال منه، والمريضة الكبيرة التي يتسابق الناس لإسعافها بينما تنظر لهم بصمت وتنظر للأعلى نظرة من اشتاق إلى الرحيل، ودعواتٌ تخرج من كل غرفة وتتشابك في الردهات وتصعد إلى الباري تريد الإجابة كلها، وعامل الاستقبال يرى كل ذلك ويراقب

إيمانه وهو ينمو مع كل تلك الأشياء الحكيمة التي تأتي في الليل.

تسودّ الرغبات في الليل، وتتلوث البراءة بلا حياء. الحب يصير شبقًا، والخوف يصير يأسًا، والفقر يصير كفرًا، والشكوك تتشابك، تنمو بلا توقف، تطال كل شيء، وعلى عتبات النوم نزور غرفات عقولنا المحرّمة، ونتعرف على الإنسان الحبيس الهزيل الذي سجنّاه بين جدرانها منذ كنا في الطفولة.

في الليل نزور نسختنا الأصلية بشكل خافت. في اللحظات التي تفصلنا عن الموتة الصغرى، نهمس لها بهمسات غامضة، همسات اشتياق أو سباب أو حب أو لعنات، همسات من كل تلك الأشياء الخبيئة التي يكشفها لنا الليل.



لا يوجد كبير غرابة في أن يختار الله أن يقترب منا في سمائنا الدنيا في وسط سكون ذلك الليل.



❁ **وأسراري يا رب بيني وبينك كانت كثيرة.**

آلام رقبتي من كثرة انحناءات رأسي في ظلمة نفسي وظلمة شارعي وظلمة الليل، كانت هذه الآلام دائمًا هناك، لم يلحظها أهلي حين أخذت أدلك رقبتي وأنا أنظر إلى السقف محدقًا في اللاشيء، لم يلحظوا كيف أني وفي هذه اللحظات الطويلة التي سرت فيها في الشارع المظلم متفكرًا في حصاة الأرض، كيف أني وصلت -أو ظننت أني وصلت- إلى سر الحياة ذاتها، إلى مرافئ الوصول لبحث الأنفس عن الأشياء التائهة في الحصاة.

لم يلحظ أهلي كذلك تلك الورقات المطوية بعناية في شق عمارتنا القديمة، رسمتُ فيها رموزًا عبثية تمثل لي قدس أقداس روحي، رسمتُ منضدة وحمامة ونخلة وبعض الدبابيس، كنت أحاول جاهدًا تجريد وجداني إلى أشكال وخطوط ذات معنى، كنت أبحث عن المعنى في وسط ضجيج الحياة في المدرسة.

لم يلحظ أحد في مدرستي كم أنا متيّم بالكتاب الذي استعرته من المكتبة، لم يلحظوا ابتساماتي المتسعة وأنا أضحك على المعلومات الصماء المسلية، لم يلحظوا كم أنا مغرم بهذه البقعة أمام الكانتين أشرب الشاي بهدوء وأستمتع بأني الوحيد الذي يستمتع بالمعلومات الصماء وسط صخب ألعاب النشاط.

لم أكن أفهم النشاط حين أراقب النملات الصغيرة، لم العجلة؟ لم الحركة؟ هذه النملة يمكنني أن أراقبها طوال اليوم، إنها سوف تسرّ إليّ بكنه الحياة، سوف تهمس لي فاضحة رغبات الناس الذين مرت عليهم، سوف تقول لي أخيرًا سر الرغبات، سوف أعلم عمّا يبحث الناس. ولكني أملّ سريعًا من النملات، وأحوّل نظري إلى وجوه المارة، لم يلحظ المارة أني أحدّق بهم كثيرًا، هذه الندبة، ذلك الحاجب، تلك الشعيرات، أحاول استخلاص اللغز من كل هذا، ماذا يعني كل هذا؟ ماذا تخبرنا وجوه المارّين من أمام بوابة الجامعة.

لم أحب الجامعة كثيرًا، كانت مليئة بالعباقرة وأنا كنت أتعجب منهم، كيف أكون عبقريًا، كانوا يقولون اجمع شتات أمرك على شيء واحد، هذا كان ضربًا من الخيال بالنسبة إليّ، كيف أختزل الحياة في شيء واحد، هل هذا ممكن حقًا، ترى ماذا سيكون جمال هذا الشيء؟! أريد ذلك الشيء، أريده بشدة.

لم أخبر أحدًا بسبب ألم رقبتي، ولا بورقتي المطوية في شقوق عمارتنا التي تهدمت الآن بالفعل، لا يعرف أحد شيئًا عن بقعتي المفضلة أمام الكانتين أو الطريق المعقد التي اتخذته النملة الصغيرة أمامي، لا يعرف أحد تشكيلة اللوحة التي رسمتها ملامح المارة من أمامي، ولا بعثراتي في الجامعة وأنا أركض خلف الشيء الجميل.

كانت أسرارًا بيني وبينك يا ربي، لا ينقصها أن يعرفها الناس الآن، لأنك -أنت فقط- من يعلم كيف أن كل بحثي عن معنى الحياة انتهى بعلمي أنك كنت أنت ذلك الشيء الجميل.

ولكن لماذا؟ لماذا تمنى البط أن يظل أسود؟ ولماذا انتحب الرجل الذي لا يستطيع الطيران؟ وكم عدد الملايين المحبوسة في الكهرمان؟ وما سبب هلع ليلة الكسوف؟ ولو سألوا الشامبانزي عن أهم ما يميز الإنسان، فكيف سيجيب في رأيك؟

ماذا عليك أن تفعل إن كنتَ لطخة طين تعيش في مستنقع ملوث، أو إن وجدتَ نفسك وحيدًا في كونك الخاص؟ وما الطريقة المثلى كي لا تلتصق عوامات الإنقاذ بأسنانك أثناء مكافحة الغرق؟ ولماذا قرر الجميع فجأة أن يتحدثوا عن لبس الستات؟

لماذا الآخر دائمًا وغد؟ ومن هو متحرش شرودنجر؟ وكيف تقايس الزنا؟ وما هي سفينة ثيسيوس الخاصة بك؟ وكيف تنجو من دوار الصورة الكبيرة؟ وكيف تأخذ حذرك من أن تتزوج من سمكة الرنجة، أو أن تصيبك لعنة الإنسان الجمهور؟

ربما هذه أسئلة مهمة، ربما تشتمل على بعض الحكمة مختلطة بالقليل من الهراء، ربما ستغير من طريقة تفكيرك في الحياة، أو ستجعلك تعايش الكون الواسع بنفس قد صارت أوسع من ذي قبل. وربما تساعدك على أن تقترب أكثر من ذلك الذي لو اقتربت منه لاقترب منك كل شيء آخر.

ولكن المؤكّد أنك لن تتفق مع جميع الإجابات..!





دار المعالي

الإسكندرية
زيزينيا - ٢٣ شارع رياض - أمام مدرسة الناصرية

01100468848 - 01147974749 - 03/5752766